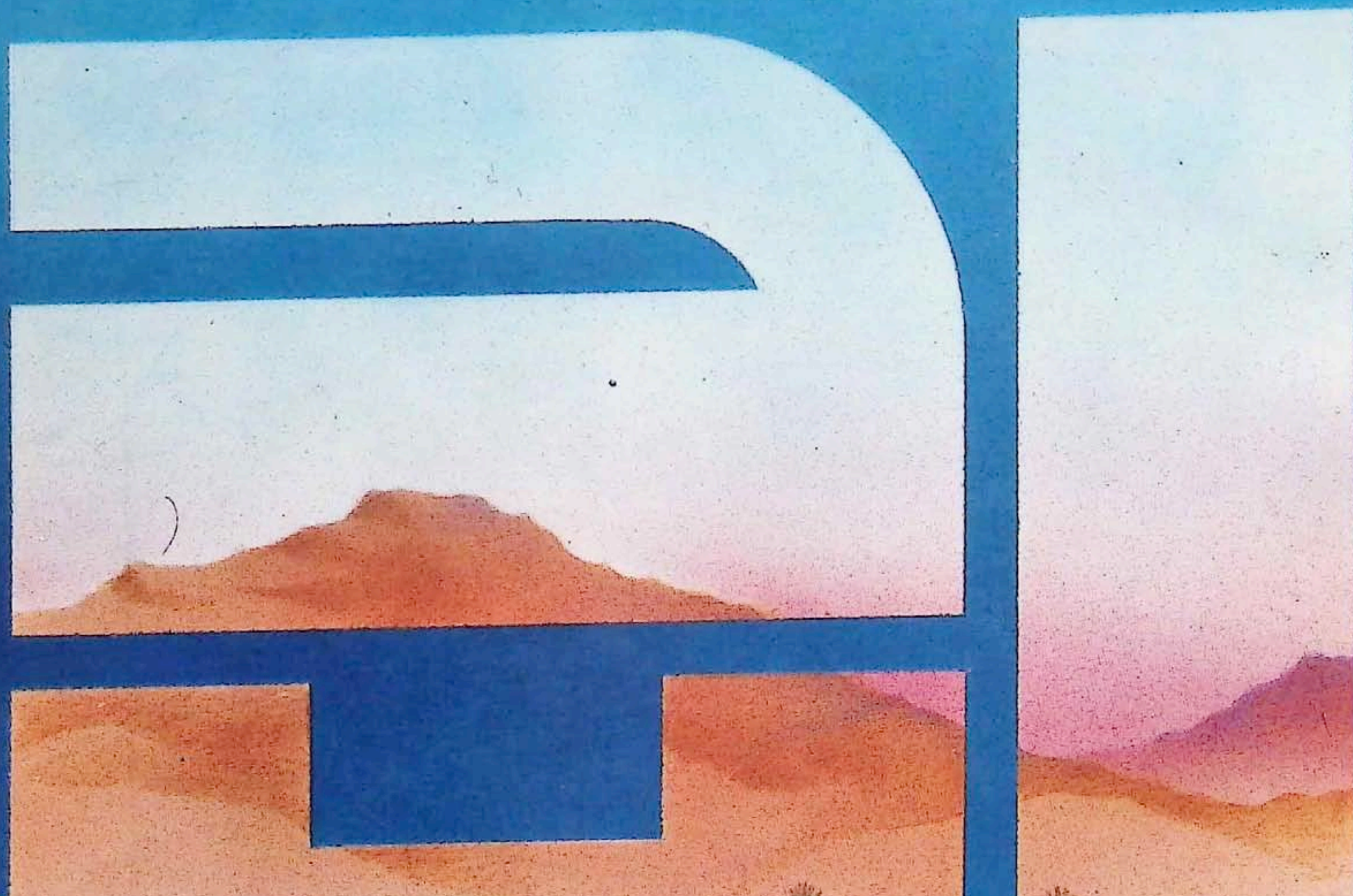
الجغرافية الأدبية

من كتاب صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار

تأليف الشيخ محمد بن عبد الله بن بليهد



حققه وصححه وعلّق عليه

الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن محمد بن حسين

الجزء الثاني

الجغرافية الأدبية

من كتاب صحيح الأخبار عمّا في بلاد العرب من الآثار

تأليف الشيخ

محمد بن عبد الله بن بليهد

الجزء الثاني

حققه وصححه وعلق عليه

الأستاذ الدكتور / محمد بن سعد بن محمد بن حسين

الطبعة الأولى
١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

٥

عَمْرُو بْنُ كُلْثُوم التَّغْلبيُّ

عمرو بن كلثوم التغلبي[1]

مات قبل هجرة رسول الله ﷺ باثنتين وخمسين سنة تقريباً

هو عمرو بن كلثوم التغلبي الذي ينتهي نسبه في تغلب بن وائل ثم يمتد إلى جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان.

ذكر المواضع الواردة في معلقته :

١ ــ ألا، هُبِّي، بِصَحْنِكِ، فأصْبَحِينا وَلَا تُبْقِى خُمُورَ الأنْدَرِينَا

مُشَعْشَعةً، كَأَنَّ الْحُصَّ فِيهَا إذَا مَا الْمَاءُ خَالَطَهَا سَخِينَا

الأندرين: اسمُ قرية[2] في جنوبيِّ حَلَب، بينها وبين حلب مسيرة يوم للراكب، في طرف البرية، ليس بعدها عمارة، وهي الآن خراب ليس فيها إلا بقية جدران، وأهل تلك الناحية يعرفونها بهذا الإسم، وكانت تُبَاع فيها الخمور في الجاهلية، وهي التي عناها عمرو بن كلثوم وقد اختلف أهل اللغة وأهل المعاجم في لفظها؛ فمنهم من قال: إنها جمع أندريّ ــ بياء النسبة ــ فلما جمع اجتمع فيه ثلاث ياءات، فحذفت ياء النسبة كما قالوا «الأشعرين» في جمع أشعرى، وقال الأزهرى: الأندر: قرية بالشام فيها كروم، وجمعها الأندرين. الأندرين

قلت: وقال صاحب تهذيب اللغة (١٤/١٢٢) في مادة (مدر)الأمدرنيا بدلاً من الأندرينا.

٢ ــ وقال عمرو بن كلثوم :

---

(١) قلت انظر ترجمته في:
طبقات فحول الشعراء ١٢٧، الشعر والشعراء ١/٢٣٤ الأغاني ١١/٤٦، معجم الشعراء ١٢٧ سمط اللآلي ٢/٦٣٥، شرح شواهد المغني ١/٢١ الخزانة ١/٥١٩، وفي رجال المعلقات ١٩٥ انه توفي سنة ٥٢ قبل الهجرة.

(٢) انظر معجم البلدان ١ / ٣٤٥.

صَدَدْتِ الكأس عَنَّا، أمَّ عَمْرٍو   وَكَانَ الْكأسُ مَجْرَاهَا الْيَمِينا
وَمَا شَرُّ الثَّلَاثَةِ. أمَّ عَمْرو   بِصَاحِبِك، الَّذِي لاتَصْبَحِينَا
وَكَأسٍ قَدْ شَرِبْتُ بِبَعْلَبَكٍّ   وَأُخْرَى، فِي دِمَشْقَ، وَقَاصِرِينَا

بعلبك بَعْلَبَكُّ : اسم لمدينة من أعمال دمشق، وكان بها صنم لقوم إلياس النبي عليه السلام، وهو الذي قال الله جل ذكره فيه (أَتَدْعُونَ بَعْلاً وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِين[١])، فلم يطلق هذا الاسم على هذه المدينة إلا بعد أن وضع هذا الصنم فيها، وهو معظم عند اليونانيين، وقد أطال الكلام عليه أهل المعاجم وذكروا فيه روايات كثيرة، وهذا الاسم معروف إلى هذا العهد عند جميع أهل تلك الناحية.

دمشق دمشق: معروفة بدمشق الشام، وهي عاصمة سوريا اليوم، قال في معجم البلدان[٢]: دمشق البلد المشهور، قصبة الشام، وهي جنة الأرض بلا خلاف، لحسن عمارة، ونضارة بُقْعَة، وكثرة فاكهة، ونزاهة رقعة، وكثرة مياه، ووجود مآرب، هذه عبارة من عبارات المعجم، وقد أطال عليها صاحب معجم البلدان، ومما قيل في دمشق وحسنها ونضارتها من النثر والنظم قول أبي المطاع بن حمدان في وصف دمشق :

سقىٰ الله أرض الغوطتين وأهلها   فَلِي بِجنُوب الغُوطَتين شُجونُ
وماذقت طعم الماء إلا استخفنِي   إلى بَرَدَي والنيربَيْنِ حنينُ
وقد كان شكي في الفراق يروعنى   فكيف أكون اليومَ وَهْوَ يَقِينُ
فوالله مافارقتكم قاليا لكم   ولكن مايقضى فَسَوْفَ يكون

وقال الصنوبرى :

صَفَتْ دنيا دمشق لقاطنيها   فلست ترى بغير دمشقَ دُنْيَا
تفيض جداول البِلَّوْرِ فيها   خلال حدائق ينبتن وشيا

(١) الأية من سورة الصافات /١٢٥.
(٢) انظر معجم البلدان ٧٢/٤.

مُكَللة فواكههن أبهى الـ ـمناظر في مناظرنا وأهيا
فمن تُفَّاحه لم تعد خدا ومن أترجَّةٍ لم تعد ثديا

وقال البحترى :

أما دَمشْقُ فقد أبدت محاسنها وقد وَفَى لك مُطْرِيها بما وعدا
إذا أردت ملأت العَيْنَ من بلد مستحسن وزمان يُشْبه البَلَدَا
يُمْسِي السحابُ على أجبالها فرقاً ويصبح النبت في صَحْرائها بددا
فلست تبصر إلا وَاكِفاً خَضِلاً أو يانعاً خَضِرا أو طائرا غَرِدا
كأنما القَيْظُ ولّى بعد جَيْئَته أو الربيعُ دَنَا من بعد مابَعُدَا

وقال أبو محمد بن عبد الله النقاد يمدح دمشق :

سَقَى الله ما تَحْوِى دمشقُ وحَيَّاها فما أطْيَب اللَّذَّاتِ فيها وأهناها
نَزَلْنَا بها واستوقفتنا محاسن يحنُّ إليها كلُّ قلب ويهواها
لَبِسْنَا بها عيشاً رقيقا رِدَاؤهُ ونلنا بها من صَفْوة اللهو أعْلَاهَا
وكم ليلةٍ نادْمتُ بدر تَمَامِهَا تَقَضت وما أبْقَتْ لنا غَيْرَ ذكراها
فآهاً على ذاك الزمانِ وطيبه وقلَّ له من بعده قَولتى آها
فيا صاحِبِى أمَّا حملت رسالةً إلى دار أحباب لنا طاب مغناها
وقُلْ ذلك الوَجْدُ المبرِّحُ ثابتٌ وحرمة أيام الصبا ما أضعناها
فإن كانت الأيام أنْسَتْ عهودَنا فَلَسْنَا على طول المَدَى نتناساها
سَلَامٌ على تلك المعاهد أنها مَحَطُّ صباباتِ النفوس ومَثْواها
رعى الله أياما تَقَضَّت بقربها فما كان أحلاها لديها وأمراها

وقال آخر في ذم دمشق :

إذا فَاخَرُوا قالوا مياهٌ غزيرة عِذَابٌ وللظامى سُلَاف مُرَوَّق
وقد قال قوم جَنَّةُ الخلد جلَّقٌ وقد كَذَبوا في ذا المقال ومَحْرَقُوا

فما هي إلا بلدة جاهلية بها تكسد الخيراتُ والفسقُ يَنْفُقُ
فحسبهُم جيرون فخراً وزينة ورأس ابنِ بنت المصطفى فيه عَلَّقُوا

ودمشق باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

قاصرين وقاصرين: بلدة عظيمة مما يلى بالس، قال في معجم البلدان[١]: بالس بلدة بالشام بين حلب والرقة، سميت فيما ذكر ببالس[٢] بن الروم بن اليقن ابن سام بن نوح عليه السلام، وكانت على ضفة الفرات الغربية، فلم يزل الفرات يُشَرِّق عنها قليلاً قليلاً حتى صار بينهما في أيامنا هذه أربعة أميال.

قال البلاذري في فتوح البلدان: سار أبو عبيدة حتى نزل عراجين، وقدم مقدمته إلى بالس، وبعث جيشاً عليه حبيب بن مسلمة الفهري إلى قاصرين، وكانت بالس وقاصرين لأخوين من أشراف الروم أَقْطِعَا القُرَى التي بالقرب منهما، وجُعِلا حافظين لما بينهما من مدن الروم، فصالحهم أهلها على الجزية أو الجلاء، فجلا أكثرهم إلى بلاد الروم وأرض الجزيرة وقرية جسر منبج، ولم يكن الجسر يومئذ، وإنما اتُّخذ في زمن عثمان بن عفان رضي الله عنه للصوائف، ويقال: بل كان له رسم قديم، وأسكن بالس وقاصرين قوماً من العرب والبوادي، ثم رفضوا قاصرين، وبلغ أبو عبيدة إلى الفرات، ثم رجع إلى فلسطين، فكانت بالس والقُرَى المنسوبة إليها كقاصرين وغيرهَا في حدها الأعلى والأوسط والأسفل أعذاء عشرية، فلما كان مسلمة بن عبد الملك توجَّه غازياً إلى الروم من نحو الثغور الجَزَرية عسكر ببالس، فأتاه أهلها وأهل بوبلس وقاصرين وعابدين وصفِّين، وهي قرى منسوبة إليها، فسألوه جميعاً أن يحفر لهم نهراً من الفرات يسقى

(١) انظر معجم البلدان ٤٦/٢ ثم انظر فتوح البلدان للبلاذري ص ١٥٧.
(٢) قلت وتسمى اليوم مسكنة ويسكنه قوم من بنى خفاجه، وهي بين الرقة وحلب، واقعة على الطريق بين المدينتين.

أرضهم على أن يجعلوا له الثلث من غَلّاتهم بعد عشر السطان الذي كان يأخذه، فحفر النهر المعروف بنهر مسلمة، ووفَوْا له بالشروط، ورمَّ سور المدينة وأحكمه، فلما مات مسلمة صارت بالسن وقُرَاها لورثته، فلم تزل في أيديهم حتى جاءت الدولة العباسية وقبض عبدُ الله بن على أموال بنى أمية، فدخلت في تلك الأموال، فأقطعها السفاح محمد بن سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس، فلما مات صارت للرشيد فأقطعها ابنه المأمونَ، فصارت لولده من بعده.

والداعي إلى ذكر بالس أن قاصرين لم تذكر إلا معها في تلك العبارات، وقاصرين باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، يعرفها أهل تلك الناحية.

* * *

٣ ــ وقال عمرو بن كلثوم(١) :

فَمَا وَجَدَتْ، كَوَجْدِي أُمُّ سَقْبٍ ... أضَلَّتْــهُ، فَرَجَّــعَتِ الْحَنِيْنَــا
وَلا شَمْطَاءُ، لَمْ يَتْرُكْ شَقَاهَا ... لَهَا، مِنْ تِسْعَةٍ، إلَّا جَنِينَا
تَذَكَّرْتُ الصِّبَا وَاشْتَـقْتُ لَمَّـا ... رَأَيْتُ حُمُولَهَا أصُلاً حُدِينَــا(٢)
فَأعْرَضَتِ الْيَمَامَـةُ وَأشْمَخَرَّتْ ... كَأسْيَـافٍ، بِأيْـدِي مُصْلتِينَــا

اليمامة: اختلف أهل اللغة في تسميتها اليمامة واشتقاقها، قال الأصمعي: اليمام ضَرْبٌ من الحمام البري، واحِدَتُهُ يمامة، واستدل في آخر هذه العبارة بقول المرار الفقعسي : **اليمامة**

---

(١) البيتان الأول والثاني متأخران في رواية المعلقات عن الثالث والرابع.
(٢) قلت : ورواية الخطيب التبريزي لهذين البيتين قبل البيتين السابقين لهما انظر ص ٣٢٩ من شرح القصائد العشر.
قلت وما لى المرَّار الفقعسي، هو المرار بن سعيد بن حبيب الفقعسي، أبو حسان: شاعر إسلامي من شعراء الدولة الأموية. كان مفرط القصر، ضئيلاً نسبته إلى (فقعس) من بنى اسد بن خزيمة انظر الأعلام ج٨/٨٢.

إذا خَفَّ ماء المُزْنِ فيها تيممت يمامتها أيَّ العِـدَادِ تَرُومُ؟

وكانت في الزمن القديمة مساكن طَسْم وجَدِيس والعماليق، سكنتها سنين قديمة، وقاعدتها حجر اليمامة، وتسميتها باليمامة تسمية قديمة، لأن زرقاء اليمامة مضافة إليها، وهى امرأة من طَسْم كانت متزوجة في جديس، وهم في أوائل القرون البائدة، فإن كان الذي ذكره الأصمعي صواباً أن اليمامة الحمامة، فالجبل المُحيط باليمامة يقال له طوق اليمامة كطوق الحمامة، فصغر حتى سمي طويقاً وجو اليمامة : هو الواقع شرقي الأكثبة الحمر مما يلي بلد المزاحمية، قال جحدر اللص[1] في ذكر جو :

وإنَّ امرأً يَغْدُو وحجر وَرَاءه وجَوٌّ ولا يغزوهما لَضَعِيفُ
إذا حُلَّة أبْلَيْتُهَا ابتعت حُلَّةً بسانية طوع القياد عليف
سعى العبد إثرى ساعةً ثم ردّهُ تذكُّر تنورٍ له ورَغِيفُ

وقال بعضهم، وهو الأعشى يقوله وهو وافد على هُوذَةَ بن علي الحنفي[2] :

تَجَانَفُ عن جو اليمامة ناقتي وماعَدَلَتْ عن أهلها لِسِوَائكا

وهو من مساكن هُوذة بن على الحنفي الرجل الكريم الجواد العاقل، ولكن لم ينفعه عقله بشيء؛ فقد أدرك الإسلام وكتب إليه رسول الله ﷺ يدعوه إليه، فأبى وخرج إلى بلاد عبد القيس وهلك بها، وهو من مشاهير العرب، وفد على كسرى فأدناه من مجلسه وسأله وأعجب بكلامه، قال له

(١) انظر المعجم ١٧٧/٣ وانظر كتابنا (الالتزام الإسلامي) ص/٢٤٧ عن جحدر اللص.

(٢) قلت/وهو هودة بن علي بن ثمامة بن عمرو الحنفي، من بني حنيفة، من بكر بن وائل: صاحب اليمامة (بنجد) وشاعر بني حنيفة وخطيبها، قبيل الإسلام وفي العهد النبوي، وفيه يقول الأعشى:

من يلـف هودة يسجـد غيـر متـئب
إذا تعصب فوق التـاج أوضعـا

وهو من أهل قُرّان من قرى اليمامة. وله أخبار كثيرة في سنة ٨هـ مات ولم يسلم. انظر الأعلام ج ١١٢/٩.

كسرى: كم لك من الولد؟ قال: أَحَدَ عَشَرَ ولداً، قال: أيهم أحب إليك؟ قال: الصغير حتى يكبر، والمريض حتى يبرأ، والغائب حتى يئوب، ثم التفت كسرى إلى أشراف قومه من العجم فقال: أسمعتم كلام هذا العربي؟ ماأحسنه! ثم التفت إلى هُوذة بن علي فقال: مانتاج بلادك؟ فقال: البر، فقال: نِعْمَ المأكول إنه يصفي العقل ويقوى الدماغ

قال مصنف هذا الكتاب: كنا في مجلس وقرأنا هذه العبارة في كتاب الأغانى، وفي ذلك المجلس الشيخ عبد الله بن حمد الدوسري قاضي الحوطة اليوم، وهو في ذلك الوقت قاضى بلد القويعية مدينة العرض، فالتفتُّ إليه، وقلت له: ياشيخ إن نتاج بلادكم في العرض البر، ولكني لم أجد عقل هوذة بن علي فيكم ولا قريباً منه، فضحك والتفت إليّ. ثم قال: يأأخي إن البر الذي تنتج بلادنا ثلثاه شعير، فإن وجدت اختلافا في العقول فهو منه.

ولهـوذة بن علي أخبار طويلة تملأ صفحات التاريخ.

اليمامة: يطلق هذا الإسم على جميع أنحائها، وفي أخبار المغازي عبارات كثيرة منها: افتتحت اليمامة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقتل مسيلمة الكذاب سنة ١٢هـ، ورئيس الجيش خالد بن الوليد رضي الله عنه، أخذها عنوة، ثم صولحوا، ذكروا أنه لما قرب منهم خالد بن الوليد خرج مُسَيلمة الكذاب وعَسْكر في عقرباء، وعقرباء موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد، قريبَ بلد مسيلمة التي قتل فيها، قَتَلَهُ وَحْشِي، وهو عبد أسود مولى لجُبَير بن مُطْعم، وهو قاتل حمزة رضي الله عنه يوم أحد، وللمسلمين وبني حنيفة وقائع في نواحي عقرباء كثيرة قبل قتل مسيلمة، قال ضرار بن الأَزْوَرِ(١):

(١) معجم البلدان ١٠٤/٦ وانظر شرح شواهد الأشموني للأستاذ محمد محيى الدين ٤٤٣/٢.

ولو سُئلت عنا جَنوب لأخْبرَتْ عشيةَ سالت عقرباء ومَلْهَـمُ
وسال بفرع الواد حتى ترقرقت حِجَارتُه فيه من القوم بالدَّمِ
عشيةَ لا تُغْنِي الرماحُ مكانها ولا النَّبْل إلا المشرفِيُّ المصمّمُ
فإن تبتغي الكفارَ غير مُنِيبة جَنُوب فإنى تابعُ الدين مسلِم
أجاهد إذ كان الجهادُ غنيمةً وللهِ بالمـرء المجاهِـدِ اعلَـمُ

والقاعدة الثانية بعد قاعدة جوّ هي قاعدة حَجْر الموجودة بهذا الإسم إلى هذا اليوم في بلد الرياض قاعدة المملكة العربية السعودية اليوم، وأطال المؤرخون الكلام على حجر. قال أبو عبيدة معمر بن المثنى[1]: خرجت بنو حنيفة بن لُجَيم بن صَعْب ابن علي بن بكر بن وائل يتبعون الريف ويرتادون الكلأ، حتى قاربوا اليمامة على السَّمْت الذي كانت عبدُ القيس سلكته لما قدمت البحرين، فخرج عبيد بن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة منتجعاً بأهله وماله يتبع مواقع القَطْر حتى هَجَم على اليمامة، فنزل موضعاً يقال له: قارات الحبل، وهو من حجر على مسافة يوم وليلة، فأقام بها أياماً ومعه جار له من اليمن من سعد العشيرة ثم من بني زبيد فخرج راعي عبيد حتى أتىٰ قاع حَجْر فرأى القصور والنخل وأرضاً عرف أن بها شأناً، وهي التي كانت لطسم وجديس، فرجع الراعي حتى أتى عبيداً، فقال: والله إني رأيت آطَاماً طِوالاً وأشجاراً حساناً، هذا حَمْلهَا، وأتى بالتمر معه مما وجده منتثراً تحت النخيل، فتناول منه عبيد وأكل وقال: : والله هذا طعام طيب، وأصبح فأمر بِجَزُور فنُحرت، ثم قال لبنيه وغلمانه: احترزوا حتى آتيكم، وركب فرسه، وأردف الغلام خلفه، وأخذ رمحه، حتى أتى حَجْرا، فلما رآها لم يَحُلْ عنها، وعرف أنها أرض لها شأن، فوضع رمحه في الأرض، ثم دفع الفرس، واحتجر ثلاثين قصراً وثلاثين حديقة وسماها حَجْرا، وكانت تسمى حجر اليمامة بعد حجر عبيد لها، فقال في ذلك :

---

(١) انظر معجم البلدان ٣/٢٢١.

حللنا بدار كان فيها أنيسها ... فبادُوا وحَلُّوا ذاتَ شيد حصونها
فصاروا قَطِيناً للفلاة بغُرْبة ... رميما، وصرنا في الديار قطينها
فسوف يليها بعدنا مَنْ يحُلُّها ... ويسكن عرضاً سهلها وحزونها

ثم ركز رمحه في وسطها، ورجع إلى أهله فاحتملهم حتى أنزلهم بها، فلما رأى جاره الزبيدي ذلك قال: ياعبيد الشرك، قال: بل الرضا، فقال: مابعد الرضا إلا السخط، فقال عبيد: عليك بتلك القرية فانزلها، القرية بناحية حَجْر، على نصف فرسخ منها، فأقام بها الزبيدي ثم غرض[1] فأتى عبيداً فقال له: عَوِّضْني شيئا فإني خارج وتارك ماهٰهنا، فأعطاه ثلاثين بَكْرة، فخرج ولحق بقومه، وتسامعت بنو حنيفة ومَنْ كان معهم من بكر بن وائل بما أصاب عبيد بن ثعلبة، فأقبلوا فنزلوا قرى اليمامة، وأقبل زيد بن يربوع عم عبيد حتى أتى عبيداً فقال: أنزلني معك حَجْراً، فقام عبيد، وقبض على ذكره، وقال: والله لاينزلها إلا من خرج من هذه، يعني أولاده، فلم يسكنها إلا ولده، وليس بها إلا عبيدي، وقال لعمه: عليك بتلك القرية التي خرج منها الزبيدي فانزلها، فنزلها في أخبية الشَّعَر حتى بنوا القصور، وكان عبيد يقول لولده: انطلقوا إلى باديتنا، يريد عمه، فيمضون يتحدثون هناك، فمن ثم سميت البادية، وهي منازل زيد وحبيب وقطن ولبيد بني يربوع بن ثعلبة بن الدّؤل بن حنيفة، ثم جعل عبيد يَغْسِلِ النخل، فيغرسها فتخرج ولاتخلف ففعل أهل اليمامة كلهم ذلك، فهذا هو السبب في تسميتها حَجْراً، وقد أكثرت الشعراء من ذكرها والتشوق إليها، فروي عن نفطويه قال: قالت أم موسى الكلابية، وكان قد تزوجها رجل من أهل حَجْر اليمامة ونقلها هناك:

قد كنت أكره حَجْراً أن ألمّ بها ... وأن أعيش بأرض ذاتِ حيطان
لاحبذا الغرف الأعلى وساكنه ... وما يضمن من مال وعِبْدَانِ

(١) غرض ــ بالغين المعجمة ــ أي ضجر وسئم ومل.

أبيت أرقب نَجْمَ الليل قاعدةً   حتى الصباح وعندَ الباب عِلْجَانِ
لولا مخافة ربيٍّ أن يُعَاقبني   لقد دعوت على الشيخ ابن حيّان

ولعل الشيخ ابن حيان هو الذي عَقَد لزوجها عليها.

وكان رجل من بني جشم بن بكر يقال له جحدر اللص يُخِيف السبيلَ بأرض اليمن، وبلغ خبرُه الحجاجَ بن يوسف، فأرسل إلى عامله باليمن يُشَدد عليه في طلبه، فلم يزل يجدُّ في أمره حتى ظفر به وحمله إلى الحجاج بواسط، فقال: ماحملك على ماصنعت؟ فقال: كَلَبُ الزمان، وجرأة الجنان، فأمر بحبسه، فحبس، فحنّ إلى بلاده وهو من أهل حَجْر فقال:

لَقَدْ صدَع الفؤاد وقد شَجَانى   بكـاءُ حمامتيـن تَجَاوبـان
تجاوبتـا بصوت أعجمـي   على غُصْنَيْنِ من غَرب وبَانِ
فأسبلت الدموع بلا احتشام   ولم أك باللئيم ولا الجَبَان
فقلت: لصاحبيَّ دعا ملامي   وكُفَّا اللوم عنى واعذرانـي
ألـيس الله يعلـم أنَّ قلبـي   يُحِبّكَ أيها البرقُ اليمانـي
وأهوى أن أعيد إليك طَرْفي   على عُدواء من شغلي وشاني
أليس الليل يجمع أم عمرو   وإيانـا فَذَاكَ لنـا تدانـي
بلى، وترى الهلال كما أراه   ويَعْلُوها النهار كما علاني
فما بين التّفرق غير سَبْع   بَقِينَ من المُحَرم أو ثمان
ألم ترني غذيت أخا حروب   إذا لم أجْنِ كنتُ مَجِنَّ جاني
أيا أخويّ من جُشَم بن بكر   أقِلَّا اللَّوم إن لا تنفعاني
إذا جاوزتما سَعَفَات حَجْر   وأوديـة اليمامـة فانعيانـي
لِفتْيَان إذا سمعوا بقَتْلـيِ   بكى شبانهم وبكى الغَوَانِى
وقـولا جَحْدَر أمسى رهينـاً   يحاذر وقع مَصْقُولٍ يمانى
ستبكـي كلُّ غانيـة عليـه   وكل مُخضَّب رَخْص البَنَانِ
وكل فَتىً له أدبٌ وحلم   مَعَدِّىٌّ كريـم غير وانـي

فبلغ شعره هذا الحجاج، فأحضره بين يديه، وقال له: أيهما أحب إليك أن أقتلك بالسيف أو ألقيك للسباع؟ فقال له: أعطني سيفاً وألقني للسباع، فأعطاه سيفاً وألقاه إلى سبع ضارٍ مُجَوّع فزأر السبع وجاءه، فتلقاه بالسيف ففلق هامته، فأكرمه الحجاج واستتابه، وخلع عليه، وفرض له في العطاء، وجعله من أصحابه.

وقد أنشد ابنُ الأعرابى في نوادره لبعض اللصوص وقد طال سجنه في حَجْر:

هل الباب مفروج فأنظر نظرةً بعين قَلَتْ حَجْرا وطال احتمامها؟
ألا حبذا الدهنا وطيبُ ترابها وأرضٌ فضاء يَصْدَح الليلَ هامُها
وَسَيْرُ المطايا بالعشيَّات والضحى إلى بقر وحش العيون أكامها

وحجر اليمامة: هي البلد العظيمة في الجاهلية والإسلام، قال ابن بطوطة في رحلته في القرن السابع: دخلت اليمامة وقاعدتها حَجْر فوجدت بلداً عظيمة كثيرة النخيل والمياه والفواكه والزروع وأطال عليها الكلام، ثم كانت قاعدة تلك الناحية في بلد الدرعية، في أوائل الدعوة التي قام بها الشيخ محمد بن عبد الوهاب وقام بنصره ونُصْرَة تلك الدعوة الإمام محمد بن سعود وابنُه الإمام عبد العزيز بن محمد ومِن بعده ابنُه الإمام سعود بن عبد العزيز الذي امتدت الفتوحات على يديه ثم انتقلت قاعدة المملكة إلى بلد الرياض، وبها سِرٌّ غَامِضٌ خبأه الله عن خلقه، وهو هذا الملك الصالح عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود، قال الشاعر الكبير محمد بن عثيمين، في قصيدة له مطلعها وهو يخاطب فيها نفسه على طريق التجريد فيها المعروف عند أهل البلاغة :

قد بَلَّغتك المَهَارى منتهى الأمل فما التنقُّل من سهل إلى جبل؟
أرِحْ ركابك فالأرزاق قد قسمت وليس يعدوك ماقد خط في الأزل

فطالما أوضَعَتْ خوصُ الركاب بنا   في مَهْمه قُذُفٍ أو مَجْهَل غُفُلِ
سَبَاسب يقلب الألوان صَيْخَدُها   وتارةً فوق ألواح بذي زجل
فالآن لما أقال الله عثرتنا   في دولة المرتضى في القول والعمل
فخفض الهم وآنعم في ذُرَى ملك   وآعف الركائب من حلّ ومُرْتَحَلِ

إلى أن قال :

لو كان فيصل يدرى قبل ميتته   أنَّكَ من صُلْبه استبطىٰ مدى الأجل

إلى أن قال :

وإن كسوتك من حُسْن الثّنا حُلَلا   فأنت من قبلها أبهى من الحلل

وهي من عزيز الشعر، وله قصائد في جلالة الملك عذبة الألفاظ، جيدة المعاني، مات هذا الشاعر في بلد الحوطة ــ رحمه الله ! ــ قريب منتصف القرن الرابع عشر.

وحجر قد أعاد الله عليه تاريخَه الأغر بوجود هذا الملك العادل الكريم فقد اطلعت على تاريخ الأمم والملوك في الدولة الأموية والدولة العباسية من منتصف القرن الثاني إلى هذا العهد فلم أجد لأحد منهم ذكراً يضاهي ماأرى لهذا الملك من مكارم الأخلاق وعظيم الشيم وبذل المال وإهانته له، مع تقًى وورع ورفق برعيته ووفاء بالعهد، فقد كان الملك من الملوك السابقين إذا وضع قسماً من زكاة قوم في فقرائهم نطقت الشعراء والخطباء بعدله، فأما الملك عبد العزيز فإنه يفرق الشيء الكثير من الزكاة على الفقراء، ثم يبعث السيارات تحمل النقود والأرزاق والحُلل فتفرق على جميع الجهات في رعيته، يُفَرقها أمناء وكُتَّاب على أهل كل جهة، يأتيهم المقرر لهم وهم في أماكنهم بغير طلب منهم ولاتكلف، ثم تأتيه الوفود وتتتابع أرسالهم إلى تلك العاصمة زَرَافات وأفواجاً، يأتيه من أعراب الرافدين وأعراب جلَّق وأعراب نجران وأعراب اليمن، وما بين تلك الجهات

من الأمم التي لايحصى عددها إلا الله، تأتي إلى هذه السدّة الملكية فتمتاح منها كأنها تمتاح من دجلة أو الفرات، فبعض الأيام يبلغ عدد الوافدين عليه في اليوم الواحد عشرة آلاف رجل وقد يزيدون أو ينقصون عن هذا العدد، ويمتد هذا الترسل ستة أشهر، فلو أن رمل عالج نَقْد لنفِد ولكن البركة واصلة فيما تحوى تلك الكف المباركة، فلو علم عبيد ابن ثعلبة بن يربوع بن ثعلبة بن الدؤل بن حنيفة الذي اكتشف حَجْرا بما تم لحجر اليوم من العز والشرف لسكانه، وما أدركوا من المجد والعلى، لسُرّ بذلك، وهذا الأعشى ميمون بن قيس الشاعر المشهور صاحب بلد منفوحة قد فاته أمران:

الأول ــ وهو أهم من الذي بعده ــ أنه أدرك رسول الله ﷺ، وتوجَّه إليه وافداً من بلدهِ منفوحة معتقداً الإسلام، وقال في قصيدته المشهورة التي مطلعها:

ألَمْ تغتمض عيناك ليلة أرمَدَا وبتَّ كما بات السليم مسهدا

إلى أن قال :

فآليت لا أرثى لها من كَلَالة ولا من حَفىً حتى تزور محمدا
إذا ما تناض عند باب ابن هاشم تريحى وتَلْقَىْ من فواضله ندى

فلما قدم مكة رده مشركو قريش، وقصته مشهورة عند أهل التاريخ، فرجع من مكة المكرمة بعد أن بذلت له قريش الإبل والحُلَل، فلما وصل بلده منفوحة نفرت به راحلته فسقَطَ منها وهلك، نعوذ بالله من تلك الحالة، فلما سمع رسول الله ﷺ قصيدته قال: كاد أن يسلم(١).

الأمر الثاني: لو أدرك الأعشى هذا الوقْتَ وجعله الله من أهل هذا القرن لاستراح من الحِلِّ والترحال، واستراحت راحلته من الإدلاج والارقال، في

(١) انظر كتابنا المدائح النبوية بين المعتدلين والغلاة ص ١١.

وفاداته على ملوك نَجْران بني عبد المَدَان وعلى الملوك اللّخْميين بالعراق وملوك الغَسَّانيين بالشام، فلو أدرك هذا الوقت لقصرت خطاه، وكانت وفادَته قريبة الانتهاء سريعة المأخذ قريبة الامتياح من هذا النهر الفياض الذي أوجده صاحب الجلالة الملك عبدالعزيز من تيار كرمه المتتابع الذي لم يسبقه إليه سابق، ويتعب على أثره اللاحق، فلو كان الأعشى موجوداً لكان يخرج من بلده منفوحة بعد طلوع الشمس وفي حينه يصل إلى السُّدَّة الملكية ويقضى وَطَره ويعود إلى بلده قبل أن تشتد ضاحية النهار، وحينئذ يرى كثرة الوافدين، ويسمع وَسْوَاس النقود وكثرة الرهج والأصوات عند تلك السدة الملكية، وإذن لجادت قريحته بجيد الشعر كما درّت قريحة الشاعر الكبير محمد بن عثيمين حين قال في قصيدة له مطلعها:

رَبْعٌ تأبّد من شِبْه الْمَهىٰ العِينِ　　وقفت دمعى على أطلاله الجون

إلى أن قال :

مَنْ مُبْلغ الصحب عنى قولَ مبتجح　　بما يلاقى قرير القلب والعين
إنى أوَيْتُ من العَلْيا إلى حَرَم　　قبل الإناخة بالبشرى يحيينى
ينتابه النـاسُ أفواجـا كأنهـمُ　　جاءوا لنسكٍ على صُهْب العَثَانين
ترى الملوك قياماً عند سُدَّته　　وتنظر ابنَ سبيل وابن مسكين
ذا يطلبُ العفو من عُقْبىٰ جريرته　　وذا يؤمل فضلا غير ممنون

وهذه القصيدة من عزيز الشعر ..

والملك عبد العزيز — أطال الله بقاءَهُ! — يعطى القاصى والدّانى، والمثرى والمعدم، وفضله لم يفت إلا القليل من أهل مملكته، عَمَّر المساجد، وأسس المدارس، وطهر الحرمين من جميع المحرمات ونصر المظلوم، وقمع الظالم، وأنقذ الله به مَنْ تحت حمايته، وله تاريخ لو سطر لضاقت به صفحات الكتب، ولله في خلقه سرٌّ لايعلمه غيره، ومنه ادّخار

هذا الْمَلِكِ الفاضل في أصلاب هذا العنصر المبارك إلى هذا الوقت الذي أدركناه حتى فزنا بوجوده.

قال مصنف هذا الكتاب: لقد أدركت الطرق وهي مخوفة بمن أخذ على السالكين مسالكها من قطاعها، فلا ينفذ مسافر من جهة إلى جهة أخرى إلا بعد الجهد والمشقة، فأما في هذا العهد فإن المرأة تخرج من بلد إلى بلد بحَلْيها وحُلَلها فلا يجسر أحد أن يدنو منها رافعة يديها إلى السماء تدعو الله ببقاء هذا الملك .. ومن التصادف العجيب أني قلت في وقعة تربة سنة ١٣٣٧هـ قصيدة مطلعها :

بسمر القنا والمرهفات القواضب ينال العلى والعز أعلىٰ المراتب

إلى أن قلت :

فلا بدّ من فتح إذا شاء ربنا به يظهر التوحيد بين الأخاشب

فصدق الله تعالى قولي في عام ١٣٤٣هـ من الهجرة حيث افتتحت مكة المكرمة ونادى المنادي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بعد ست سنوات .. وقلت أيضاً لما قَدِمَ صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بجنود أهل نجد مَدَداً للغُزَاة المحاصرين لجدة قصيدة هذا مطلعها:

لنجلك السعْد قبل اليوم مشهود وفي لواه أطيد العز معقود
وقادها حزبا من كل ناحية وقد شكت من سُرَاه الضُّمَّرُ القُودُ

فصدق الله تعالى هذا وافتتح جدةَ صاحبُ هذا اللواء الذي ذكرناه ..
وقال الشاعر البليغ محمد بن عثيمين في قصيدة مطلعها:

عُجْ بي على الربع حيث الرند والبَانُ وإن نأى عنه أحباب وجيران

إلى أن قال :

أقول للعِيسِ إذ تلوى ذفاريَهَا لإلفها ولها في الدّوّ تَحْنَان
رِدي مياهاً من المعروف طاميةً نَبَاتُها التبرُ لا شِيحٌ وسعدان

حتى انتقل الشاعر من هذا المعنى إلى معنى آخر فقال :

خبيئة الله في ذا الوقت أظهرها وللمهيمن في تأخيرها شان
ودعوة وجبت للمسلمين به أما ترى عمهم أمن وإحسان
حاط الرعية من بصرى إلى عَدَن ومن تهامة حتى ارتاح جعلان
فجددوا الشكر للمولى وكلهم يدعو له بالبقا ما بَقْىَ إنسان[1]

وهذه القصيدة من غرر الشعر، وللشاعر قصائد كثيرة في جلالة الملك على هذه السلسلة فإن الله تعالى لما أوجد جلالة الملك ووسع ملكه في جميع أنحاء بلاد العرب حفظ له الدين والتوحيد الذي ما عمر هذا الملك إلا حفظهما، وهذه الدولة لا يستقيم لها أمر إلا بحماية دينها والتمسك به. كما قال الشاعر في قصيدة له قد مرّ مطلعها وقطعة من أبياتها:

قوم إذا ذكرت أفعالهم فخرت بهم ربيعة من فاس إلى الصين
وحين خفيَتْ رسوم الدين وانطمست
وسيمَ أهلُ التقى بالخَسْف والهون

اختارك الله للأمر الذي سبقت به السعادة للدنيا وللدين
فكنت في هذه الدنيا القوام لهم وكنت للدين قِسْطاس الموازين
أعطوا بسعدك حظًّا ما توهمه فكر ولم يك في الدنيا بمظنون
قال العزيز الذي أنت العزيز به قُمْ واسْتَعِن بي فإنّي ناصرُ ديني
أجَبْتَ حظك إذ ناداك معتزما بالمُرهَفَات وجُرْدٍ كالسراحين
إذا سَرَين بليلٍ خلت أنجُمَه من قَدْحِهن الْحصَى يشعلن في الطين

---

(١) بقي، هنا بتسكين القاف للتخفيف ولإقامة الوزن، وهو عربي جيد.

يصف النباتَ والمطرَ الذي أجاد نبته حتى اشتبك من سحابة سكبت عليه ماءها في برج الأسد من نوء الذراع حَلَّالة بالمصانع: ألقت على تلك الرياض المطر، وقال الله تعالى في البناء: ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾[1] وموضع الرياض اليوم ظنى أن البقاع المنخفضة منه المتساوية كانت رياضاً فسمى بها[2].

والأسماء المشهورة في الجاهلية باليمامة: حجر اليمامة، وجو اليمامة والوادي المسمى بوادي حنيفة يشق جبل اليمامة، وبنو حنيفة يسكنونه من أعلاه إلى أسفله، وما حوله يمنة ويسرة قصور ونخيل ومزارع، أعلاها البرة وما حولها ليحيى بن طالب الحنفي، وقد مر ذكرها عند الكلام على قرقرى في قصائد زهير، وضَرَمَى وما حولها من القصور والمزارع إلى الحائر هذه مساكن ثُمَامة الحنفي، وتسمى إلى هذا العهد بوادي ثمامة، ومن أعلى الحيسية إلى بلد الخَرْج كلها لبني حنيفة، ثم انتقل منهم بُطُون وجماعات كثيرة بعد الفتوحات إلى جهة العراق والشام، واستوطنوا في تلك الجهات إلى هذا العهد، ولهم في ذلك الوادي بقايا من العنصر الحنفي، وأهل تلك الناحية يُعْرَفون بشدة البأس، والصبر عند القتال، والثبات في موطنه، وقد شُوهِد لهم ذلك في مواطن كثيرة، قالت العرب: فتحنا فارس والروم بعد علمٍ أخذناه عن بني حنيفة في القتال، والذين قالوا هذا القول من العرب هم الذين قاتلوا بني حنيفة مع خالد بن الوليد رضي الله عنه.

واليمامة: جبل معترض في نجد الشرقية، كما قال عمرو بن كلثوم في

---

(١) سورة الشعراء / ١٢٩

(٢) ظنى أن هذه اللفظة غلبت على حجر في القرن العاشر للهجرة وقد ذكر صاحب معجم البلدان عند الكلام على الرياض «روضة القميعة» وذكر رياض السلى، والقميعة موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند موضع الرياض، والسلى: قريب الرياض، فلعل هذه الأماكن جمع بعضها إلى بعض فقالوا «الرياض» وهم يعنون جمع روضة، ثم خصوا بهذا الاسم هذا الموضع بعينه.

صفته، وإنما يصف وجهه الغربي وأنوفه الشاهقة حين قال :

*** كأسيـــاف بأيـــدى مصلتينـــا ***

فلا ترى لهذا الجبل العظيم خشماً شاهقاً إلا متيمّما القبلة كأنه يصلى، فإذا رأيته وقد أشرقت فيه الشمس تبادر إلى ذهنك بيت عمرو بن كلثوم، إذا أتيت هذا الجبل من جهته الغربية جزمت أنه من أرفع جبال الأرض، فإن أتيته من جهته الشرقية ظننت أن ليس هناك جبل، لأنه يكاد يكون لاطئاً بالأرض، ولهذا الجبل شأن عظيم، وأغلب قرى نجد المعمورة ذات النخيل والزروع والقصور: إما أن تكون فيه، أو تراه بأعينها جائمةً في غربيه أو شرقيه، وجميع غراس هذه الجهة يشرب من ماء هذا الجبل أو من سيله، فهي من أجود غراس نجد، وثمرتها خالصة بغير جلد ولاقشر، ويكفيه فخراً أن هذه العاصمة القهارة العظيمة الرياض قد بركت بأجمعها في وسطه، وألقت رحلها فيه، وهي قاسمة بين الناحيتين الشمالية والجنوبية منه، ما كان منها شمالاً إلى نهاية طرفه الشمالي فغروسها خضرى، وهو نوع من النخل، وماعدا ذلك يسمى «الدقل» وما كان في الناحية الجنوبية منه إلى طرفه الجنوبيِّ فغروسهُا يقال لها «الصفرى، والسري» وماعدا ذلك يسمى «الدقل» وطرفه الشمالي محاذٍ النباج، وطرفُه الجنوبي محاذٍ للأفلاج منقطع في الجهة الشمالية منه يضعف إذا خلف بلد «لغاط» مقر السدارى أخوالِ جلالة الملك، وبلد لغاط قديمة جاهلية واقعه في سفح جبل اليمامة في غربيه، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد قال الهرار بن حكيم الربعي في أرجوزة له(١) :

والجوف خير لك من لُغَاطِ ومـــن ألات وإلـــى أراط
وسبـــط محـــدَّم الأوساط ومن جواد الشطَّ دي اهتماط

---

(١) انظر المعجم ٣٣٢/٧.

وقال عقبة بن قدامة يمدح بني مازن :

وهم حَصَدُوا بني سعد بن قيس على القصبات بالبيض القصار
وردوهم غداة لغاط عنهم بأكبادٍ وأفئدة حرارِ

والقصبات موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي مزارع وقصور وبلد فيها نخل في غربي عتك اليمامة يقال لها اليوم القصب.

فثبت هذا الملك وثبتت قواعده على الدين والتوحيد والإنصاف ومناهج الحق، فإن حُفِظَ حفظهم الله في الدنيا والآخرة.

فهذه العاصمة القهارة مَنْ تَجَوَّل بها ورآها علم أن ملكها ملك صالح قد أصلح الله ملكه، فجميعُ التجارة النجدية تجلب إليها كالإبل والأغنام والدهن والحبوب والكلأ والحطب والفحم والملح، أضف إلى ذلك جميع الأقمشة التي ترد الحجاز وترد الخليج الفارسي والسكر والشاى والقهوة والهيل، جميعُ هذه الأنواع على اختلافها ترد إلى تلك العاصمة، وقد ساعد على نقلها آلات النقل الحديثة كالسيارات وغيرها، فكل يوم ترد تجارة جديدة فتباع وتشترى في ذلك اليوم ؛ فهي زهرة البلاد النجدية في هذا العهد الزاهر، هذا السياق على اليمامة، وحجر اليمامة قد درس رسمه ولم يبق إلا اسمه الذي كان يعرف به في الزمن القديم، قال أبو ذؤيب الهذلي:

كأن حُدُوجَ الحَيِّ حين تحمَّلوا حدائق دوم القادسية أو حجر

وتلاشى هذا الاسم في اسم الرياض ، كما يتلاشى الملح في الماء.

وقد ذكر صاحب معجم البلدان المصانع الواقعة بين المدينة التي تسمى الرياض اليوم وبين منفوحة، والمصانع في اللغة؛ الآبار والأحواض، وهذه تصنع عادة للزرع والبساتين، والمصانع أيضاً: المباني، قال غَيْلَان ذو الرمة :

ألفَّ أجادت فَتْلَه أسَدِية ذِرَاعِية حَلَّالة بالمصانع

نرجع إلى ذكر لغاط، وقال عمارة بن عقيل بن بلال بن جرير الشاعر:

وعلى لغاط بات يلغط سَيْله ويثجُّ في لبب الكثيب ويَصْخَبُ

ولقد صدق عمارة في وصف سيل هذا الوادي، فإنه يثج في لبب كثيب أحمر، وقد رأيته يثج فيه، فإذا انعرج جبلُ اليمامة مما يلي موضعاً يقال له «خشم العرنية» ضَعُف كأنه عزم على الهلاك، فينقطع في موضع يقال له «جزرة» (لأنه يجزر في هذا الجبل العظيم) كما يجزر البحر، وتحاذيه مما يلي الغربَ أكثبةٌ حمراء متراكمة، غربي تلك الأكثبة النباج وقراها، وشرقيها بلد الزلفي وقراها، وهي التي كان يقال لها في الجاهلية: زليفات، وزلفة، وقد غلط صاحب المعجم في قوله[1]: إنها ماء شرقي سميراء، وقد قال الحطيئة في ذلك يخاطب رجلاً:

الله قد نجاك من لغاط ومن زليفات ومن أراط

وأراط: وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يصب من جهة غربي اليمامة الشمالي، ويصب في جهتها الجنوبية الشرقية، ويفيض في العتك في جَرَيانه جاعلاً واديَ سدير على شماله.

وقال عبيد بن أيوب اللص في ذكر زلفة، وهو من قطاع الطريق في تلك الناحية:

لَعَمْرُكَ إني يوم أقواع زلفة على ما أرى خلف القنا لوقور
أرى صارما في كف أشمط ثائرٍ طوى سِرَّه في الصدر فهو ضمير

وقال عبد الرحمن بن حزن في ذلك الموضع:

سقى جدثا بين الغميم وزلفة أحَمُّ الذُّرَى واهي العَزالى مطيرُها
إذا سكنت عنها الجنوب تجاوبت جلاد مرابيع السحاب وخورها

---

(١) انظر معجم البلدان ٤/٣٩٨.

وإني لأصحاب القبور لغابط بسوداء إذ كانت صَدىً لا أزورها
كأنَّ فؤادي يوم جاء نَعِيّها مُلَاءة قَزٍّ بَيْنَ أيدٍ تُطيرها

وتلك الناحية هي مساكن مالك بن الرَّيْبِ الرجلِ المشهور الذي هلك في خراسان، وله قصائد مشهورة، وقد ذكر أوطانَ قومه في تلك الناحية، وقد مضي كلامنا عليها، ومما ذكره السمينة وهي من تلك القرى، وكان يقال لها «سمنان» وجميعُ المواضع الذي ذكرها زياد بن حَمَل بن سعد بن عميرة بن حريث التميمي النسب وهو في صنعاء يتشوق إلى أوطانه واقعةٌ في القطعة الشمالية من اليمامة، فمن ذلك قوله في قصيدة رواها أبو تمام في ديوان[1] الحماسة :

وحَبَّذَا حين تُمْسِي الريحُ باردةً وادي أشَيٍّ وفتيانٌ به هُضُمُ
الواسعون إذا ما جَرَّ غيرهم على العَشِيَرة والكافُونَ ما جَرَمُوا

وادي أشي: موجود بهذا الاسم في وادي المشقر مما يلي بلد المجمعة المشهورة بهذا الاسم وقال في هذه القصيدة :

مَتَى أمرُّ على الشَقْراء معتسفاً خَلَّ النَّقَا بِمَرُوحٍ لحمها زِيَمُ
والوَشْمُ قد خرجت منه وقابلهَا من الثنايا التي لم أقلها ثَرَمُ
ياليت شعرىَ عن جَنْبَىْ مكشَّحَة وحيث تُبْنَى من الحناءة الأطُمُ
عن الأشاءة هَلْ زالت مَخارِمُهَا وهل تغير من آرامها إرَمُ
وجنةٍ ما يذمُّ الدهرَ حاضِرهَا جَبَّارُهَا بالندى والحمل مُحْتَزِمُ

ذكر هذه المواضع، وكلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد: الشقراء التي ذكرها هي جبل أشقر بين شقرى وذات غسل، فسميت «شقرى» عاصمة بلاد الوَشْم اليوم بهذا الاسم، بعد أن حذف حرف التعريف،

---

(١) انظر شرح التبريزي بتحقيق الأستاذ محمد محيى الدين (٣/٣٢٤).

والوشم: بلدان معروفة متفرقة يقال لها الوشم إلى هذا العهد، وقرى الوشم: شقرى، وهي عاصمة تلك النواحى، ويليها في الجهة الشمالية من البلاد: أشيقر، والفرعة، ويليها من ناحيتها الشمالية الشرقية الداهنة: الجريفة، والحريق، والقصب في جهاتها الشرقية والمشاش في تلك الناحية منها، ويليها في الجهة الجنوبية منها: القراين، وهما قريتان: الوقف، وذات غسل، وهي بلد مصنف هذا الكتاب، ومما يلي القراين في الجهة الجنوبية: أثيثية، وهي بلد جرير الشاعر وذريته، ويليها في الجهة الجنوبية منها: مراة، مساكن بني امرىء القيس التميمي، وثرمداء لبني سعد وبني منقر في الجاهلية، وقد ذكروا أن قيس بن عاصم المنقري كان يرتاد ثرمداء من باديته، وهي التي يقول فيها علقمة الفحل:

ما أنت أم ما ذكرها رَبَعِيَّة يخطّ لها من ثرمداء قليب

وأشيقر وذات غسل وأثيفية ومراة وثرمداء والقصب، جميعُ هذه المواضع أسماؤها جاهلية وهي باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، والوشم يبعد بعضُه عن بعض مسافة يوم، والثنايا التي ذكرها الشاعر ثنايا الأديراب، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وخَلُّ النقا: معروف بهذا الاسم إلى هذا اليوم، في شرقي شقرى الشمالي، ينفذ من الكثيب الأحمر الواقع شرقيَّ شقرى، والأشاءة هي أشَىّ الذي تقدم ذكره، وقال في قصيدته :

*** جَبَّارها بالندى والحمل محتزم ***

تلك الناحية التي ذكرها لأعلم أعظم جبارها إلى هذا العهد، تسمى النخلة العظيمة جبارة، وقال قي قصيدته :

بل ليت شعرى متى أغدو تُعَارضنى جَرْدَاء سابحةٌ أو سابح قُدُم
نحو الأمَيْلح أو سمنان مبتكرا بفتية فيهـم المَـرَّارُ والحكـم
لَيسَتْ عليهم إذا يغدون أرديةً إلا جياد قسّى النبع واللُّجُمُ

الأميلح: موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد في سفح جبل اليمامة يقال له «مليح» نزله في هذا العهد الأخير قسم من مطير رئيسهم ابن سقيّان من بني عبد الله بن غَطَفان، وسمنان: قد مضى الكلام عليه في شواهد مالك بن الريب، يقال له: سمنان، والسمينة.

وجبل اليمامة ينقسم ثلاثة أقسام بالاسم : جبل طويق، وهو يطلق على القطعة الشمالية منه عند أهلها، وهي تعم جميع اليمامة، ووسطه يقال له: العارض، وهذا الاسم يعمه كله، والاسم الثالث يطلق على القسم الجنوبي منه العويرض، ثلاثة الأسماء هذه تطلق على جبل اليمامة من طرفه الجنوبي إلى طرفه الشمالي، وهو جبل ملتحم منعقد بعضه ببعض، طرفه الشمالي يبعد عن طرفه الجنوبي مسافة شهر أو أكثر، وفيه أودية تقسمه فتكون معها الطرق: منها وادي العتك الذي في أعلاه القصب، وفي هذا الجبل يقع المشقر، ومنها وادي الكلب وفيه قرى عامرة ونخيل منها بلد المجمعة، وهي عاصمة قرى سدير، ويليها بلد حرمة، وبلد ظلمى وبلد الحائر والحويرّ ووشى الذي مر ذكره، ومنها وادي جلاجل، ذكروا أنه يسمى وادي المياه، ويليه بلد التويم، وفي أعلى تلك الناحية المعشبة، ومنها وادي سدير، وهو وادٍ عظيم فيه قرى ونخيل، أعلاه بلد الروضة، وبلد الحصون، وبلد الجنوبية، وبلد الحوطة، وبلد العطار، وبلد العودة، وهي أسفل ذلك الوادي، وفي شرقي ذلك الوادي قرى: منها الخطائم، وعشيرة، وتمير فإذا قطعت وادي العتك قاصداً الجنوب أتيتَ إلى وادي بعيثران، وفي هذا الوادي مدينة ثادق بلد كثيرة النخل والمزارع، ثم تسير إلى جهة الجنوب، وتأتي بلد البير والصفرّات جاعلا بلد رغبة على يمينك، ثم تأتي وادياً عظيماً يقال له «أبو قتادة» وفي هذا الوادي بلد حريملا، وبلد القرينة، وبلد ملهم، ونخل تلك الناحية من أكرم النخيل وأحسنها، وفي جهته الجنوبية سدوس، وفي أسفل ذلك الوادي بلد دقلة، وغيانة، ثم تنفذ من تلك الناحية، وتأتي وادي حنيفة وقد مضى الكلام عليه، ثم يأتيك وادي

الحائر، ووادي الأوسط، ووادي نساح، وهو وادي الخرج، وسيأتيك الكلام على الخرج في معلقة عنترة.

فإذا توجهت قاصداً الجهة الجنوبية لقيك وادي ماوان، وقد مضى الكلام عليه، ثم يلقاك الواديان العظيمان: برك، وبريك، وفي أسفلهما بلد الحوطة، وبلد الحلوة، وبلد القويع، وبلد العطيان، وفيهما قرى ومزارع كثيرة ونخيل عظيمة ، وجميع هذه البقعة خالصة لبني تميم، وفي أعلى وادي بريك بلد نعام، وبلد المفيجر، وبلد الحريق، وهي لبني هزان، ومعهم جماعات من العرب، وبها نخيل كثيرة ومزارع، وإذا اتجهت نحو الجنوب لقيك قرى الأفلاج، وأعلاها في الجهة الشمالية منها بلد الحمر، وفي شرقيها الشمالي وسيلة، وتليها بلد ليلى، وهي عاصمة تلك الناحية، ثم بلد السيح وهي بلدة كثيرة النخيل، وبها عيون جارية تنبع من الأرض، ويليها بلد العمار، ثم بلد الخرفة، ثم بلد الروضة، ثم بلد سويدان، ثم بلد البديع، ثم بلد مروان، ثم بلد الرزيقية، وفي أسفل وادي الحمر واسط، والغيل مما يلي واسط جنوباً، وحراضة، والستارة ثم يتجه هذا الجبل جنوباً، ثم يلقاك وادي الهدّار، ثم يضعف هذا الجبل بين قرى الأفلاج وبين قرى الوادي، ثم تلقاك أودية كمدة، وفيها نخيل وغلّات كثيرة من نتاج الأثل الذي يسمى الكرمع، ثم يتجه هذا الجبل إلى جهة الوادي المسمى بوادي الدواسر، فإذا حاذى الوادي ذلك الجبل العظيم خفي من كثرة الرمال، ويسميه أهل تلك الناحية «المندفن» ثم يتجه إلى جهة مطلع الشمس، وهو على خفائه، وبعد الوادي بمسيرة يوم ونصف يومٍ يظهر رأسه، ثم يعظم وهو متجه إلى الجهة الجنوبية الشرقية من الوادي حتى يتصل بجبال نجران، وجميعُ قرى الوادي للدواسر وهم بطن من العرب أصلهم من اليمن، ثم تحالفوا وكانوا أخلاطاً وأقساماً، ويعرفون بالدواسر. فأما القرى التي تُطل على ذلك الجبل وهي في غربيه فجميع قرى الزلفى، وأسافل قرى القصيم، وقرى الوشم، وقرى البرة، وقرى ضَرَمَى[1]، جميع تلك النواحي ترى ذلك

الجبل بأعينها وليس من شرط هذا الكتاب الإطالة، ولكن لما عرض ذكر اليمامة في قصيدة عمرو بن كلثوم أوردناها.

★ ★ ★

٤ ـــ وقال عمرو بن كلثوم :

وَسَيِّـــدِ مَعْشَرٍ، قَدْ تَوَّجُـــوهُ بِتاجِ الْمُلْكِ، يَحْمِي الْمُحْجَرِينَا
تَرَكْنَا الْخَيْـلَ عَاكِفَـةً، عَلَيْـهِ مُقَلَّـــدةً أعِنّتَهَـــا، صُفُونَـــا
وَأنْزَلْنَـا الْبُيُـوتَ بِذِي طُلُـوحٍ إلى الشَّامَاتِ نَنْفِي المُوعِدِينَا[١]

ذو طلوح ذو طلوح: موضع موجود بهذا الإسم إلى هذا اليوم يقال له «الطليحى» يعرفه جميعُ أهل نجد بهذا الاسم، وهو من منازل الحاج بين العراق ومكة، يقع شمالي بلدة «قُبَة» التي سكنها بنو علي بطن من بني حربٍ في الأيام الأخيرة، ورئيسهم محسن الفرم، وهي على مسافة يوم أو أقل، بينه وبين زرود الأكثبةِ الحُمْر التي كان يقال لها في الزمن القديم «رمال عالج» وفي هذا العهد يقال لها «العروق» وذو طلوح واقع في ضفتها الشرقية، وزرود في ضفتها الغربية، وبينهما الكثيب، وقد وفد الأعشى[٢] الشاعر على عمرو بن هند اللخمي، فوافاه بذي طلوح في تَجْواله في القنص، فقال قصيدة منها هذا البيت :

كم رأينا مِنْ أناسٍ هَلَكـوا ورأينا المَلْكَ عمراً بطلح

وقال أبو دُوَاد الإيادي :

تعرف الدار وَرَسْماً قد مَصَحْ ومَغَانى الحَيِّ في نعف طلحْ؟

(١) قلت :هذه رواية الجمهرة.

(٢) انظر معجم البلدان ٥٤/٦ و٥٦.

وقال جرير بن عطية :

مَتَى كانَ الخيامُ بذي طُلوحٍ ... سُقِيتِ الغَيْثَ أيتُهَا الخِيَامُ

وله شواهد كثيرة قديمة وحديثة، ولكن بقاءه بهذا الاسم إلى هذا العهد يكفيه شاهداً، وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم «الطليحي».

الشامات الشامات: كثيبان أحْمَرَانِ فيهما بياض، وهما أعظم تلك الأكثبة، لاتبعدان عن ذي طلوح المتقدم ذكره، ولكنهما إلى زرود أقرب؛ فتسمى «شامات زرود» ولاتزال معروفةً بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد، وهي التي عناها عمرو بن كلثوم بقوله :

* إلى الشامات ننفي الموعدينا *

★ ★ ★

٥ ــ وقال عمرو بن كلثوم :

وَنُوجَدُ نَحْنُ، أمْنَعَهُم ذِمَارًا ... وَأوْفَاهُمْ، إذَا عَقَدُوا، يَمِيناَ
وَنَحْنُ، غَدَاةَ أوقِدَ في خَزازٍ ... رَفَدْنَا، فَوْقَ رَفْدِ الرَّافِدِينَا
وَنَحْنُ الحَابِسُونَ، بِذِي أرَاطٍ ... تَسَفُّ الجِلَّة، الْخُورُ، الدَّرِينَا

خزاز خزاز: جبل معروف في عالية نجد الشمالية، وبه يوم من أيام العرب، وأشار عمرو بن كلثوم إلى هذا اليوم، لأنه لقبيلته، وهو أول يوم امتنعت فيه العدنانية من اليمانية وضَغْطهم، وهو الجبل الذي ذكره الحارث بن حلزة في معلقته(١) حين قال:

فتنوّرت نارَهَا من بعيد ... بخزازٍ هيهات منك الصلاءُ

وقد أصاب شاعر من العرب حين قال :

(١) انظر معجم البلدان ٣/٤٢٨ ــ ٤٣١.

ومصعدهم كي يقطعوا بطن منعج فضاق بهم ذَرْعاً خَزَازُ وعاقلُ

أما بطن منعج فهو موضع «دخنة» اليوم التي سكنها بطونٌ من حرب في أوائل القرن الرابع عشر، وخزاز واقع في غربيه على مسافة ساعة للماشي على قدميه، وهو من أجبلة المخامر، وعاقل قد مضى الكلام عليه وذكرنا أنه قريب الرس، وأنه يقال له اليوم «العاقلي» وقد أكثر الشعراء من ذكر خَزَاز، وقال النميري وهو رجل من بني ظالم يقال له الدهقان:

أنشد الدار بعطفي مَنْعج وخَزَازٍ نِشْدَةَ الباغى المضل
قد مضى حَوْلَان مذ عهدي بها واَسْتَهَلَّتْ نصف حولٍ مقتبل
فَهْـــيَ خَرْساء إذا كلمتُهَـــا ويشوقُ العينَ عرفـانُ الطلـل

وقال القتال الكلابي :

وسفح كدود الهاجريِّ بجَعْجَع تحفّر في أعقارهن الهجارسُ
مواثل مادامت خَزَاز مكانُهَا بجَبّانة كانت إليها المجالسُ
تَمَشَّى بها رُبْدُ النعام كأنها رجال القرى تمشى عليها الطيالس

وقال السفاح التغلبى :

ولَيْـلٍ بتُّ أوقـدُ في خَزاز هَدَيْتُ كتائبــاً متحيـــراتِ
ضللن من السُّهاد وكُنَّ لولا سُهَادُ القوم أحسب هادياتِ

ويوم خزاز الذي أوقدت النار فيه بين نِزار واليمن، وعلى ربيعة السفاحُ التغلبي، واسمه سلمة بن خالد، وكليبٌ يجمع الجموع من ربيعة، فقال لسلمة: أوقد لي ناراً واحدة في أعلى خزاز فإن قرب منك العدو فأوقد نارين، فلما قرب العدو أوقد السفاحُ نارين، فاجتمعوا واقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت اليمن، وفي رواية ثانية عن أبي زياد الكلابى أن رئيس جيوش نزار الأحوص بن جعفر بن كلاب، وأن موقد النار في خزاز من ربيعة، ولهذا

كان شعراؤها يذكرون تلك النار وإيقادها، وخزاز: باق بهذا الإسم إلى هذا العهد.

ذو أراط

وذو أراط: موضع معروف عند جميع أهل نجد بهذا الاسم[١] إلى هذا العهد، وهو وادٍ يصب من جبل طويق متجهاً إلى جهة مطلع الشمس، جاعلاً وادي سدير على شماله، وقد مضى الكلام عليه في هذه المعلقة على ذكر اليمامة، قال راجز من بني نمير[٢] :

أنى لك اليوم بذي أراط وهنَّ أمثالُ السرى الأمراط
تنجو ولو من خلل الأمشاط يَلُحْنَ من ذي لائب شرواط

وقال ظالم بن البراء الفقيمي :

ونحن غَدَاة يوم ذواتِ بَهْدى لدى الوَتِدَاتِ إذ غَشِيَتْ تميمُ
ضربنا الخيلَ بالأبطال حتى تولت وهي شاملهُا الكلومُ
فأشْبَعْنَا ضباعَ ذوى أراط من القَتْلىٰ وألجئت الغُنوم
قَتَلْنَا يوم ذالكم ببشر فكان كفاء مَقْتَلكم حكيم

وهذا الوادي موجود بهذا الإسم إلى هذا العهد، ترعاه نعم جميع قرى سدير، وتَعْضِد الكلأ منه، وهو كالحمى تقيم به آبالهم وأغنامهم، وليس في هذا الوادي قرى معمورة، بل جميع القرى المعمورة محاذية لضفته الشمالية الشرقية، وتبعد عنه تلك القرى مسافة ساعتين أو ثلاث ساعات للماشي على قدميه.

---

(١) أراط: هو الذي ذكرنا، وهناك واديان عظيمان بعضهما قريب من بعض، الأول: بين وضاخ ونفي، والثاني: يقع شرقي جبال حليت المعروفة غربي بلد نفي، يقال لهما «الأرطاوى».

(٢) انظر معجم البلدان ١٦٨/١ وفيه أن الذي في رجز النميرى «أراط» بزنة غراب، وأن الذي في شعر الفقيمى «أراطى» بزنة حبارى.

وأراط، ومبايض، وذو طلوح، والنباج، وزرود، كل موضع من تلك المواضع به يوم من أيام العرب، وهي باقية بهذه الأسماء من الجاهلية إلى هذا العهد، ولا يبعد بعضها عن بعض إلا مسافة ثلاثة أيام للراكب المجد، وأكثر الأيام وقعت بين بني تميم وبكر بن وائل، وتلك المواضع واقعة في القطعة الشرقية الشمالية من نجد.

قد انتهينا من المواضع التي ورد ذكرها في معلقة عمرو بن كلثوم، وسنبتدئ في معلقة عنترة بن شداد العبسى، ونوضح ما ورد فيها من المواضع.

٦

عَنْتَرَةُ بْنُ شَدَّادٍ الْعَبْسِيُّ

عنترة بن شداد العبسي[1]

هو عنترة بن شداد، وفي رواية ابن عمرو بن شداد، ويُعد من أغربة العرب، سُمُّوا أغربة لسوادهم، كأنهم الغربان، منهم ثلاثة منسوبون بأمهاتهم عنترة،[2] وأمه زَبيبة، وخفاف بن عمير الشريدي، وأمه ندبة، والسُّلَيك بن عمير السعدي، وأمه السُّلَكة، وإليهن ينسبون، هلك عنترة قبل هجرة رسول الله ﷺ باثنتين وعشرين سنة تقريباً.

وهذا مطلع معلقته :

١ ــ هَلْ غَادَرَ الشُّعَرَاءُ مِنْ مُتَرَدَّمِ   أَمْ هَلْ عَرَفْتَ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

إلى أن قال :

يَادَارَ عَبْلَةَ بِالْجِوَاءِ تَكَلَّمِي   وَعِمِي صَبَاحاً دَارَ عَبْلَةَ وَآسْلَمِي

إلى أن قال :

وتَحُل عَبْلَةُ بِالْجِوَاءِ وأَهْلُنَا   بِالْحَزْنِ فَالصَّمَّانِ فَالْمُتَثَلَّمِ

الجواء الجواء: قد مضى الكلام عليه في معلقة امرىء القيس.

الحزن الحَزْن: قال الأصمعي في كتاب جزيرة[3] العرب الحزون في جزيرة العرب ثلاثة: حزن بني يربوع، وحزن غاضرة من بني أسد، وحزن كلب من قُضَاعة، والذي عناه عنترة، هو حزن بني يربوع، وهو اليوم معروف عند عامة أهل نجد، ولكنهم أبدلوا نونه لاماً فقالوا له «الحزل» وجمعه حزول،

---

(١) قلت: انظر مصادر ترجمته:
الشعر والشعراء ١/٢٥٠، الأغاني ٨/٢٣٥، شرح شواهد المغني ١/٤٨١، وفي رجال المعلقات ٢٠٨، وقال: أنه توفي سنة ٦٠٠ أو ٦١٥ للميلاد.

(٢) لكن إضافة عنترة إلى أمه أقل من إضافة صاحبيه إلى أمهما. وانظر الشعراء (١٣١ أوربه).

(٣) انظر معجم البلدان ٣/٢٦٩.

وهو واقع في شرقي الأكثبة المتاخمة لجبلي طي في جهتها الشرقية، وهو الذي عناه جرير بقوله في مديحه لعبد الملك بن مروان :

ساروا إليك من السهبى ودونهمُ فَيْحَانُ فالحزن فالصمان فالوكف

إلى أن قال :

أعطوا هُنَيْدَةَ يَحْدُوهَا ثمانيـة وليس في فضلهم منّ ولاسرف

وهذا الحزن هو الذي عناه القَتَّال الكلابي بقوله :

وما رَوْضَة بالحزن قَفْرٌ مَجُودة يمج الندى ريحانُهَا وصَبيبُهَا
بأطْيَبَ بعد النوم من أم طارق ولا طعم عنقود عقار زبيبها

وتلك القطعة الشمالية من نجد تُعَدُّ من أخصب البلاد إذا أمطرت، وكانت العرب تقول: من تربَّع الحزن وتَشَتَّى الصمان وتقيظ الشرف، فقد أخصب، وفي رواية ثانية عن الأصمعي أنه قال: من تشتَّى الدهناء وتربّع الصمان واصطاف الحمى، فقد استكمل المرباع. وقال محمد بن زياد الأعرابي: سُئلت بنت الخس: أيُّ البلاد أحسن مرعى؟ فقالت: خياشيم الحزن وجواء الصمان، وبالصمان موضع يقال له الجويات جويّات الهمل، وهي التي عَنَتْها، ثم سئلت وقيل لها: ثم ماذا؟ فقالت: أَجَلَى، وأجلى: هضبةٌ في عالية نجد جاثمة على ضفة وادي الجرير الجنوبية، يتركها سالكُ الطريق من مكة إلى الرياض على شماله، وهي بين عفيف والدفينة، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، والحزن معروف بطيب النبات، ومشهور عند شعراء العرب بطيب الرائحة في أيام الربيع، وهو الذي يقول فيه كثير :

وما روضة بالحزن طيبة الثرى يمج الندىٰ جَثْجَاثُهَا وعَرَارُهَا
بأطْيَبِ من أردان عزة موهنا إذا أوقدت بالمندل الرطْبِ نارُهَا

وقال ابن الأعرابي: سرق رجلٌ من العرب بعيراً، فوُجد السارق في أرض الحزن، ووجد البعير عنده، فقيل له: إنك سارق هذا البعير، وكان أهل البعير شماليّ الحزن، فجحد سرقة البعير، وكانت أرض الحزن مخصبة، فقال الأعرابي: إني لم أسرقه، ولكن هاجت ريح الجنوب وشمّ بعيركم رائحَةَ نبات الحزن، فنزع إليها وأتاني، وحفظته لكم، وقال الأعرابي في ذلك:

ومالي ذنب إنْ جَنُوبُ تنفَّست بنفحة حزنيٍّ من النبت أخضرا

فأخذوا بعيرهم وتركوه، وهو مشهور اليوم عند عامة أهل نجد بالحزل كما قلنا، وبه مياه عادية يقال لواحدها: الحزل، وجمعها الحزول، تبعد عن بلد حائل ثلاثة أيام تقريباً، وهي مشهورة بهذا الاسم إلى هذا العهد تقع شرقي الأكثبة الشرقية عن الجبلين أجأ وسلمىٰ.

الصمان الصمان: قطعة من الأرض معروفة عند عامة أهل نجد، جهتُها الجنوبية يشقها الطريقُ السالك بين اليمامة والأحساء، وشماليُّهَا يشقه الطريقُ السالكُ بين القَصيم والبصرة، وهذه القطعة الواقعة بين الطريقين هي التي تطلق عليها عند عامة أهل نجد «الصمان» وكانت مفاوز ومَوَامى في أيام القيظ لا يجوزها حينذاك إلا الإبل التي تحمل الماء، وفي هذا العهد الزاهر عهد جلالة الملك عبد العزيز استنبطت المياه الكثيرة العذبة في جهتين منها، بالآلات الحديثة: الأول: ماء في طريق الأحساء في روضة «الحنى» وهي في المنتصف بين الأحساء ومنهل أبى جفان في جبل العرمة في شرقيه من جهة الدهناء، والماء الثاني: في روضة «الشملول» على طريق الكويت مما يلي روضة معقلا، قال في معجم البلدان على ذكر معقلة[1]: سميت معقلا لأنها تعقل الماء في بطنها كما يعقل الدواء البطن، وقال في معجم البلدان عن الأزهري: قد رأيتها، وفيها خباري كثيرة تُمْسك الماء دهراً

---

(١) انظر معجم البلدان ٨/٩٨.

طويلاً، وبها جبال رمال متفرقة يقال لها: الشماليل، واحدها شملول، وهذا الاسم الذي به موضع الماء اليوم يقال له الشملول، وهو اسم جاهلي لم يتغير. ومياه الصمان التي في جهته الجنوبية قريبة المنزع كالعوينة وجودة والنجبية، وهذه المياه على طريق الأحساء الشمالي، والعوينة على طريق الجبيل، وأما مياهه الشمالية فهي نحائت عادية بعيدة المنزع من سبع وثلاثين باعاً إلى ثلاثين باعاً، وهي: ماءة القرعى، واللصافة، واللهابة، وتلك المياه لها ذكر في أشعار الجاهلية وهي مياه بني تميم. يقع في شرقيها مياه قريبة المنزع: وبرة، وهي التي ذكرها النابغة، وسماها «ثبرة» والوفري، وقرية، أما قرية: فسكنت وعُمرت، عمرها جماعة من مطير رئيسهم الدويش بن شقير، واللصافة التي مر ذكرها ووبرة هي التي يقول فيها النابغة وهو يعتذر إلى النعمان بن المنذر ذكرها في قَسَمه :

وبالمُرقِلَات من لَصَافِ وثبرة يَزُرن إلالًا سيرُهن تدافع

والمنهل الشمالى منها هو الحَفْر حفر أبي موسى الأشعرى.

المتثلم

أما المتثلم فإني لا أعلم موضعاً بهذا الاسم، إلا جبلاً قد مر ذكره في الكلام على معلقة زهير، وهو جبل مُتَثَلِّمٌ رأسُه، يقال له اليوم «جبل أبي ثلوم» ولا يستغرب ذكر الأماكن البعيد بعضها من بعض لأن حسان بن ثابت رضي الله عنه قال في الجاهلية[1]:

لمن الدار أقفرت بمعان بين شاطي اليرموك فالصَّمَّان
فالقُرَيَّات من بلاس فداريَّا فسَكَّاءُ فالقصور الدَّوَانى

ذكر في هذه الأبيات «معان، واليرموك، والصمان، والقريات، والسكاء التي يقال لها السكاكا من قرى الجوف، وبين بعض المواضع وبعضها

(١) انظر معجم البلدان ٣٨٣/٥.

مسافة شهرين تقريباً، فلا يبعد أن عنترة ذكر الحزن والصمان والمتثلم[1]، وهي يطوف عليها الراكب في أقل من عشرين يوماً.

* * *

٢ ــ وقال عنترة :

وَلَقَدْ نَزَلْتِ فَلَا تَظُنِّى غَيْرَهُ ... مِنِّى بِمَنْزِلَةِ الْمُحَبِّ الْمُكـرَمِ
كَيْفَ الْمَزَارُ وَقَدْ تَرَبَّعَ أَهْلُهَا ... بِعُنَيْزَتَيْـــنِ وَأَهْلُنَـــا بِالْغَيْلَـــمِ

عنيزتان — عنيزتين: قد مضى الكلام عليها في مواضع كثيرة، على معلقة امرىء القيس، وهما موضع عنيزة اليوم.

الغيلم — أما الغيلم[2] فلا أعلم موضعاً بهذا الاسم يقال له الغيلم آخره ميم، بل أعرف موضعاً يقال له «الغيل» آخره لام، وهو موضع في اليمامة في طرفها الجنوبى، وهو واد عظيم يلحق بقرى الأفلاج، وقد أكثر الشعراء من ذكره، قال ذؤيب بن بيئة[3]:

لعمري لقد أبكَتْ قُرَيم وأوجعوا ... بجزعة بطن الغيل مَنْ كان باكيا

وقال آخر :

يبرى لها من تحت أرواق الليل ... عملس ألزق من حمى الغيل

وقال البحتري الجعدى :

---

(١) ظهر لي بعد التأمل أنه إن لم يكن المتثلم الجبل المذكور فإنه يكون مقرماء، وهو في الصمان، يتثلم إذا كثر فيه الماء، فسمى المتثلم كما سميت الخرما بالخرما لخرم الماء لها إذا كثر.

(٢) رواه أبو عبيد البكرى «العيلم» بعين مهملة وذكر أنه في ديار عبس (٩٧٧/٢). وذكره ياقوت (٣٢٠/٦) ولم يبين له موقعا.

(٣) انظر ياقوت ٣١٩/٦.

ألا يَالَيْلَ قد برح النهار وهاج الليل حزنا والنهار
كأنك لم تجاور آل ليلى ولم يوقد لها بالغيل نار

والغيل: لبني جعدة لأنها تسكن تلك الناحية، قال عثمان بن صمصامة الجعدي وقد مر به حمزة بن عبد الله بن قرة يريد الغيل:

وقد قلت للقرىّ إن كنتَ رائحا إلى الغيل فاعرض بالسَّلام على نُعْم
على نُعْمنا لا نُعْمِ قومٍ سِوَائِنا هي الهمُّ والأحلام لو يَقَعُ الحلم
فإن غضِبَ القرىُّ في أن بعثْتُه إليها فلا يبرح على أنفه الرَّغْمُ

والغيلم بهذا اللفظ لم يذكر أنه موضع محدّد في كتب اللغة، ولا في كتب المعاجم فأقرب ما يكون لهذه اللفظة التي ذكرها عنترة أنه قصد بها الغيل.

* * *

٣ ــ وقال عنترة :

تأوِى له قُلُصُ النَّعَامِ كَمَا أَوَتْ حِزَقٌ يَمَانِيَةٌ لأعْجَمَ طِمْطِمِ
يَتْبَعْنَ قُلَّةَ رَأْسِهِ وَكأَنَّهُ حَرَجٌ عَلَى نَعْشٍ لَهُنَّ مُخَيِّمِ
صَعْلٍ يَعُودُ بِذِي الْعُشَيْرَة بَيْضَهُ كالْعَبْدِ ذِي الْفَرْوِ الطَّوِيلِ الأَصْلَم

ذو العشيرة

المواضع التي تسمى بذي العشيرة كثيرة: منها موضع في أسفل وادي سدير في جهته الشرقية، ومنها روضة العشر، بين البتراء والصفرى صفرى وشم اليمامة، ومنها عشيرة في وادي العقيق يمر بها الخارج من مكة إلى نجد، وذكروا أن في الصمان موضعاً معروفاً يقال له «ذو العشيرة» نسب إلى عُشَرَة نابتة فيه. وذكر صاحب المعجم[1] أن في وادي الرمة موضعاً

---

(١) انظر معجم البلدان ١٨١/٦.

يقال له «ذو العشيرة» يصب من قطن، وهو في بلاد بني عبد الله بن غَطَفان وقال شاعرهم[1]:

غَشِيتُ لليلى بالبرود منازلا تقَادَمْنَ واسْتَنَّتْ بهن الأعاصر
كأنْ لَمْ يُدَمِّنْهَا أنيسٌ ولم يكن لها بعد أيام الهِدَمْلَة عامر
ولم يعتلج في حاضر متجاور قفا الغَضْن من ذات العُشَيرة سامر

قال في معجم البلدان[1] عن أبي عبد الله السكوني: ذات العشيرة من منازل حاج البصرة بين مسقط الرمل وبين الشيحة، والشيحة: من قُرى الجِواء يقال لها اليومَ «الشيحية» ولا أعرف في تلك الناحية التي ذكرها صاحب المعجم موضعاً يقال له «ذو العشيرة» وفي عقيق المدينة موضع يقال له «ذو العشيرة» وهي التي عناها عروة بن أذينة في قوله:

ياذا العُشَيْرة قد هِجْتَ الغداةَ لنا شوقا وذكَّرتنا أيامك الأوَلَا
ما كانَ أحْسَنَ فيك العيشَ مؤتنقا غَضًّا وأطْيَب في آصالك الأصُلَا

والذي ذكره عنترة هو الموضع الذي في الصَّمّان، لأن عنترة يقول :

صَعْلٍ يعود بذي العُشَيْرة بيضَه كالعَبْدِ ذي الفَرْوِ الطويل الأصلم

والنعام لا يبيض إلا في أرض فلاة خالية من الأنيس، قال في معجم البلدان: إن ذا العشيرة موضع في الصمان تنبت فيه عُشَرَة، وهو نوع من النبات، فسمى بها ذلك الموضع، وأنا لا أعرفه في هذا العهد، والمواضع المعروفة بهذا الاسم كثيرة في نجد والحجاز وتهامة، ولكن ذا العشيرة الذي في الصمان قد أكثر الشعراء من ذكره، قال أبو المكارم الزبيري:

تَبَصَّر خليلي هل ترى من ظعائن بروض القطا يشغفن كلَّ حزين؟
جَعَلْنَ يميناً ذا العُشَيرة كلَّه وذات الشمال الخرجَ خَرج هجين.

---

(١) انظر معجم البلدان ١٨١/٦.

انظر إلى الشاعر فإنه قرن ذا العشيرة بروض القطا، وروض القطا ليس بينه وبين الصمان إلا أكثبة الدهناء، وعنترة لم يعن إلا الموضع الذي في الصمان.

ثم إني أطَلْتُ بعد ذلك البحثَ والتحقيقَ والسؤالَ والتدقيقَ فاهتديت إلى ذي العشيرة، وهو جو عظيم في الصمان كثير الأشجار والنبات، يقال له اليوم «جو عشرى» معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم، ويقع في غربي اللصافة، يبعد عنها مسافة يوم.

★ ★ ★

٤ ــ وقال عنترة:

شَرِبَتْ بِمَاءِ الدُّحْرُضَيْنِ فأصْبَحَتْ زَوْرَاءَ تَنْفرُ عَنْ حِيَاضِ الدَّيْلَمِ

الدحرضان الدحرضان: ماءان لبني تميم: أحدهما: يقال له اليوم حرض، وهو واقع في طريق الأحساء للسائر من الخرج، ويقال له حرض إلى هذا العهد، والثاني «وسيع» وهو ماء واقع في شرقي العرمة مما يلي مطلع الشمس على طريق الأحساء، وكان بنو تميم في الجاهلية يسكنون تلك الناحية وفي لغتهم كشكشة بإبدال السين شيناً فتسمى ذلك المنهل[1] وشيعاً، فسكنت آل مرة وبطون من يام تلك النواحي فلم تَرِثْ من بني تميم إلا الكشكشة بإبدال السين شينا، فهي تستعملها إلى هذا العهد، إذا سألتهم في هذا العهد عن هذا المنهل المذكور قالوا: وشيع، وهي لغة بني تميم، وكان الزبرقان بن بدر التميمي ينزله وينزل «بنبان» المنهل المعروف بهذا الاسم إلى هذا العهد والذي يبعد عن الرياض مسافة يوم، قال الحطيئة في هجائه للزبرقان[2]:

---

(١) المعروف أن الكشكشة هي إبدال كاف المخاطبة المؤنثة شينا.

(٢) المعجم ٨/٤٢٤.

وما الزبرقانُ يَوْمَ يحرم ضيفه بمحتسب التقوى ولا متوكل
مقيم على بُنْبَانَ يَمْنَعُ ماءه وماء وشيع ماء عَطْشَان مرمل

وفي نوادر أبي زياد أن وشيعا ماء لبني الزبرقان قرب اليمامة، وهو معروف عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد يسمى وسيعا، وهو منهل ترده الأعراب وهو دحرض الثاني، وقد غَلَّبَ القوم اسم حرض على وشيع فقالوا لهما «الدحرضين» وزادوا دالاً في أولهما، وباب التغليب بابٌ واسع جداً، كقولهم لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما «العمران» وقولهم للشمس والقمر «القمران» ومن هذا الكلام يتبين أن «دحرض» هو حرض المنهلُ المعروفُ في طريق الأحساء تغير عن الاسم الجاهلي تغيراً بسيطاً، وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد، ولهما ذكر في أشعار الجاهلية، منها قول عنترة وقد قرنهما بالديلم، والديلم: قريب من الموضعين، وسيأتي الكلام عليه، وقال الأفوه الأودي[1] وهو شاعر جاهلي مشهور :

لنا بالدحرضين محل مجد وأحساب مؤثلة طماح

الديلم

أما الديلم: فهو بلد عظيم معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي عاصمة الخَرْج، ولكن سقط من هذا الاسم حرف الياء، فصار اسمه «الدلم» وهو بلد عظيم، كثير المياه، كثير العيون الجارية، كثير النخيل والمزارع، تتجه إليه أكثر السيول وتمر به، ثم تتجه إلى موضع السهبى

---

(١) قلت: الأفوه الأَوْدِي: هو صَلاءَة بن عمرو بن مالك توفي نحو ٥٠ ق.هـ من بني أود من مذحج: شاعر يماني جاهلي، يكنى أبا ربيعة. وهو أحد الحكماء والشعراء في عصره، أشهر شعره أبياته التي منها:

لا يصلح الناس فوضى لاسراة لهم ولا سراة إذا جُهّالهم سادوا

الأعلام ج ٢٩٧/٣ ــ ٢٩٨.

وادي الخرج، وهو وادي نساح الذي يسقيه، وأما الأودية التي تصب فيه، فقد مضى الكلام عليها عند الكلام على قول لبيد :

* جن البدىّ رواسيا أقدامها *

وأتممنا القول عليه عند الكلام على معلقة عمرو بن كلثوم في ذكر اليمامة. وقرى الخرج كثيرة منها السيح، ونعجان، والسلمية، واليمامة، وزميقة، والعذار، وفيه مواضع بعثت في عهدنا هذا وهي: الهياثم، وهو بلد لآل عاصم بطنٍ من قحطان يرأسهم ابن حشر، والضبيعة، وهذا الاسم جاهلي بقى إلى هذا العهد، قال في معجم(١) البلدان :

هي قرية باليمامة لبني قيس بن ثعلبة، سميت بالضبيعة لأنه سكنها ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، وسكانها اليوم بطن من سبيع بن عامر يقال لهم «عجمان الرخم» يرأسهم ابن هديهد. وقال في معجم البلدان على ذكر الخرج(٢):

هو واد فيه قُرىً من أرض اليمامة لبني قيس بن ثعلبة بن عكابة بن بكر بن وائل، وهو خير وادٍ باليمامة، أرضه أرض زرع ونخل ونبات كثير، إذا كثرت الأمطار في تلك الناحية أخصبت جوانبها، قال ذو الرمة(٣) في شطر بيت :

* بنَفْحَةٍ من خُزَامىٰ الخرج هَيَّجها *

وقال جرير :

آلَوْا عَلَيها يميناً لا تكلمنا ... من غير سُوء ولا من رِيبة حَلَفُوا

ياحبذا الخَرْجُ بين الدام والأدمىٰ ... فالرمث من برقة الروحان فالغرف

---

(١) انظره ٤٢٥/٥.

(٢) انظره ٤١٧/٣.

(٣) قلت ذو الرُّمَّةَ: غيلان بن عُقّبَة بن نهيس بن مسعود العدوي من مضر توفي ١١٧هـ. شاعر من فحول الطبقة الثانية في عصره.

وفي الخرج موضع يقال له «الغرافة»[1] إلى هذا العهد لايبعد أن يكون هو المراد بالغرف في بيتي جرير المذكورين، وهما من قصيدة استشهدنا ببيت منها على ذكر الحزن وهو قوله :

ساروا إليك من السهبى ودونهمُ فيحان فالحزن فالصمان فالوكف

السهبى التي ذكرها جرير في بيته تجتمع فيها سيول تلك الناحية، وذكروا أن امرأة من أهل تلك النواحي رأت السيول في وادي حنيفة تدنو من بيتها، فكأنها خشيت أن تهدم بيتها، فقالت تخاطب السيل : دَعْ بيتي، فإن كان بك شدة فإن السهبى تقابلها وتحتملها، والسهبى تبعد عن «الدلم» أقل من مسافة يوم، وتلك الأودية التي تصب فيها ذكر أهلُ المعاجم والأخبار أنها كانت عامرة في الأزمنة القديمة، ذكروا عن وادي حنيفة أن الرجل كان لايزال يحدث الرجل ويتناقل معه الأخبار من غير ارتحال من بلد البرة إلى حَجْر اليمامة عاصمةِ تلك الناحية، وذلك من كثرة السكانِ والقرى، وأن وادي نساح الذي يصب في الخرج عامر بالمزارع من أعلاه إلى بلد الخرْج، وأن وادي برك الذي يصب فيه عامر من أعلاه إلى بلد الخرج، ووادي حنيفة إذا سار سيلُه يصبُّ من جهة مغرب الشمس إلى جهة مطلعها، ووادي برك يصب سيلُه من مطلع القطب اليماني قاصداً مطلع القطب الشمالي حتى يصُب في الخرج، فأما وادي نساح الذي يصب في الخرج فإنه يأتي من جهة الغرب إلى جهة الشرق حتى يصب في الخرج، وهو وادٍ عظيم قد أكثر الشعراء من ذكره، قال عرقل بن الخطيم[2] :

لعمرك لَلرُّمانُ إلى بثاءٍ فحزم الأشيمين إلى صباح
أحبُّ إليَّ من كنفي بُحَار وما رأت الحواطب من نساح

---

(١) وهو موضع غير الموضع الحديث الذي يملكه الأمير سعود بن عبد العزيز الكبير.

(٢) انظر معجم ياقوت ٨/٢٨٤.

وحَجْر والمصانع حول خَجْر   وماهضمت عليه من النفاح

وحجر والمصانع ومنفوحة كلها واقعة في بلاد الرياض والخرج عمره الله في هذا العهد على يدي جلالة الملك عبد العزيز آل سعود؛ أوجد فيه المياه الغزيرة، والزروع الكثيرة، والمباني الشاهقة الحصينة، وهناك روضة واقعة بين الخرج والسّهبى يقال لها «روضة البجادية» مَدّ شطراً من مياه تلك الناحية إليها، وجرت كالنهر التيار، وطافت بها، وزُرعت على تلك المياه وغرست فيها النخيلُ، وهو آخذ الآن ــ بحول الله ومعونته ــ في أن يصير إلى حالة أحسن من حالته الأولى بهمة صاحب الجلالة الملك عبد العزيز آل سعود، وفيه جهات يتنزهون فيها طيبة الهواء، لأن أرضه خصبة، ويأتيه جلالة الملك في بعض الأوقات إذا أراد تغيير الهواء يسكن في القصور التي عمرت على الطراز الحديث وأحاطت بها الجنان والحدائق.

قالت العرب عند تخطيط الكوفة: إن العرب أهل آبال وأغنام، ولكن لايصلح لها مسكن تسكنه إلا ما يصلح لإبلها، وكذلك قال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند تخطيط الكوفة، فالخرج هو أصلح أرض للإبل.

والديلم الذي ذكره عنترة هو مدينة «الدلم» الواقعة في وادي الخرج، وفي بلاد العرب أربعة مواضع يقال لها الخرج: خرج اليمامة، وهو الذي ذكره، وخرج هجين موضع بالصمان، وقد مر ذكره عند الكلام على ذي العشيرة على قول الزبيري :

جَعَلْنَ يميناً ذا العُشَيرة كله   وذات الشمال الخرج خرج هجين

والفرق بين خرج اليمامة وخرج هجين أن خرج اليمامة مفتوحة خَاؤه وخرج هجين مضمومة خاؤه، والخرج الثالث موضع قريب المدينة مما

يلى النقيع، وهو مضموم الخاء كالذي قبله، وهو مجاور لبلاد بني سليم، بينه وبين جبل برام مسافة يوم، قال كثير:

أأطلال دارٍ مَنْ سُعَاد بيلبن وقَفْتُ بها وَحْشاً كأنْ لَمْ تدمن
إلى تَلَعَاتِ الخَرْج غَيَّر رسْمَهَا همائم هطال من الدلو مُدجن

وأنت ترى أن كثيراً قد قرن يلبن بالخرج، وقد قرن يلبن ببرام في كلمة أخرى، وبرام مشهور أنه بين النقيع وبلاد بني سليم، وهذا قول كثير الذي ذُكر فيه يلبن وبرام[1]:

وأسألُ سلمىٰ والشباب الذي مضى وفاة ابن ليلى إذ أتاك خبيرها
فلست بناسيه وإن حيل دونه وحال بأحواز الصحاصح مورها
وإن نظرت من دونه الأرض وانبرى لنكب رياحٍ هبَّ فيها حفيرها
حياتى مادامت بشرقِّي يَلْبَـن برام وأضحت لم تسر صخورها

وقال أبو قطيفَة[2] وقَرَنَ يلبن ببرام:

ليت شعرى، وأينَ منىَ ليت أعَلَى العهدِ يلبــن فبــرام

فالخرج الثالث الذي ذكره كثير موضع حجازي، وأما الخرج الرابع فهو بفتح الخاء والراء، وهو جبل أسود شرقي منهل سجا، منقاد إلى الجهة الشمالية حتى يقرب من عفيف، ويتصل بالجبال السمر الواقعة على ماءة عفيف، تسميها عامة أهل نجد الْخَرَجْ، والجبل الأسود الذي في طرف الْخَرَجْ الجنوبي يقال له «خرجاء» وبها بئر حديثة يقال لها «خرجاء» وقد أكثر الشعراء من ذكر هذه المواضع، قال الحكم الخضري[3] :

---

(١) انظر معجم البلدان ٥١٣/٨ وديوان كثير ١٠٧/٢.
(٢) قلت: أبو قطيفة، هو عمرو بن الوليد بن عقبة بن أبي معيط الأموي القرشي توفي نحو ٧٠هـ. شاعر رقيق الشعر. انظر الاعلام ج ٢٦٢/٥.
(٣) المعجم ٤١٦/٣.

لو أن الشمَّ من ورقاءَ زالت   وجدتُ مودتـى بك لاتَـزُولُ
فقل لحمامة الخرجاء سَقْيـاً   لظلك حيث أدركك المَقِيـلُ

وقال ابن مقبل :

يذكرني حُبّىٰ حنيف كليهمـا   حمام ترادى في الركيِّ المعورا
ومالِيَ لا أبكي الديارَ وأهلَهَا   وقد رادها رُوَّاد عك وحميرا
وإن بني الفتيان أصبح سربُهمُ   بخرجاء عبس آمنا أنْ يُنَفَّرا

وقد نسب ابن مقبل خرجاء لبني عبس، وهي ليست في بلادهم، ولكن يحتمل أن ابن مقبل حين قال هذه القصيدة رأى بني عبس متربعة قريبَ هذا الجبل، وأما بلاد عبس فهي واقعة في بلاد غَطَفان شمالي أبانين وغربي الجواء وشرقيَّ النقرة، وقد قال شاعر من العرب :

* ليس لعبس جبل غَيْرُ قطـن *

وقد أوردنا هذا الشطر على ذكر قطن، ويحتمل أن يكون في بلاد بني عبس موضع غير هذا يقال له «الخرجاء» وأنا لا أعرفه في هذا العهد.

★ ★ ★

٥ ــ وقال عنترة :

أبْقى لَهَا طُولُ السِّفَار مُقَرْمَداً   سَنَداً وَمِثْلَ دَعَائِم الْمتَخَيِّمِ
بَرَكَتْ عَلَى مَاءِ الرِّدَاعِ كأنَّمَا   بَرَكَتْ عَلَى قَصَبٍ أجَشَّ مُهَضَّمِ(١)

الرداع الرداع: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد بين هَضَبَات الجثوم وهضبات المكيلي، وهي هضبات صغار سود يقال لها «الرداع» بها ماءة قليلة موجودة بهذا الاسم إلى هذا العهد، معروفة في بلاد بني عبد الله بن

(١) هذه رواية التبريزي، وذكر أنه يروى «بركت على جنب الرداع».

غَطَفان، وهذا الموضع الذي ذكرنا تحديده يبعد عن الدُّحْرُضَين والديلم، وذلك مستفاد أيضاً من كلام عنترة لأنه يقول :

شربت بماء الدحرضين وأصبحت زَوْرَاء تنفر عن حياض الديلم

ثم قال :

*** بركت على جَنْب الرداع كأنما ***

والمسافة بعيدة بين بعض تلك المناهل وبعضها الآخر، فأما الأعشى — وهو رجل من أهل اليمامة — فإنه يقول[1] :

فإنا قد أقمنا إذ فشلتم وإنا بالرداع لمن أتانا
من النعم التي كخراج أبلى تحش الأرض شيما أو هجانا

فيحتمل أن يكون «الرداع» في كلامه موضعاً باليمامة، لكنك إذا تبصرت وجدته قد ذكر أبلى في البيت الثاني، وأبلى قريب من الرداع الذي ذكرنا أنه في بلاد بني عبد الله بن غَطَفان، وقال لبيد :

وصاحب ملحوب فجعنا بموته وعند الرداع بيت آخر كَوْثَر

أشار لبيد بن ربيعة العامري إلى قبر شريح بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، مات بوادي الرداع، وقبره هناك، وهو من سادات بني عامر، وصاحب ملحوب هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب مات بملحوب، وفي اليمن مخلاف يقال له «رداع» وهو من المخاليف النافذة من اليمن إلى جهة نجد، قال الصليحي اليمني يصف خيلاً:

حتى إذا جزنا رداع ألانها بَلُّ الجلال بماء ركض مرهج

وذكروا أن وادي النمل في ذلك المخلاف، وهو الوادي الذي نزل فيه

(١) انظر معجم البلدان ٤/٢٤٣.

القرآن الكريم ﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴾[1] والرداع الذي ذكره عنترة هو الرداع الواقع بين الجثوم والمكيلي شمالي وادي الجرير الذي كانت العرب تسميه في الزمن القديم «الجريب» على بعد يوم، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد.

والمواضع التي تسمى الرداه ــ بإبدال العين هاء ــ كثيرة في بلاد العرب لايحصيها الحصر. (انتهينا من المواضع التي ذكرها عنترة في معلقته).

---

(١) قلت الآية من سورة النمل الآية ١٧. وقلت أيضاً القول بأن وادي النمل في ذلك المخلاف فيه نظر، والله أعلم على كل حال.

٧

الحارِثُ بن حِلِّزَةَ اليَشْكُرِيُّ

الحارث بن حلزة اليشكرى[1]

هو الحارث بن حِلِّزة الذي ينتهي نسبه إلى يَشْكُر بن بكر بن وائل، هلك سنة ٥٢ قبل الهجرة وهذا مطلع قصيدته وهي المعلقة السابعة :

١ ــ آذَنَتْنَا بِبَيْنِهَا أَسْمَاءُ رُبَّ ثَاوٍ يُمَلُّ مِنْهُ الثَّوَاءُ
بَعْدَ عَهْدٍ، لَنَا، بِبُرْقَةِ شَمَّا ءَ فأدْنَى دِيَارِهَا الْخَلْصَاءُ
فَالمحَيَّاةُ، فَالصِّفَاحُ فأعْنَا قُ فِتَاقٍ، فَعَاذِبٌ، فَالْوَفَاءُ[2]
فَرِيَاضُ الْقَطَا، فَأَوْدِيَةُ الشُّرْ بُبِ فَالشُّعْبَتَان فَالْأَبْلَاءُ
لَأ أرَى مَنْ عَهِدْتُ فيِهَا فأبْكِي اليَوْمَ دَلْهاً، وَمَا يُحِيرُ الْبُكَاءُ[3]؟

برقة شماء

برقة شماء: شماء هضبة حمراء من أخيلة الحمى، سميت شَمّاء لطولها، وبرقتها مضافة إليها، وهي واقعة بين شعر وجبل الأكيثال، وهذا التحديد هو ما ذكروه عنها، وأنا لا أعرفها بهذا الإسم في هذا العهد، ولكني أعرف بهذا الاسم في هذا العهد تَلْعة في شرقي جبل ثهلان يصبُّ سيلُها في وادي الشعرى يقال لها «تلعة شماء» والذي يظهر من كلامهم أن شماء هضبة لها برقة مضافة إليها، وفي اللغة إذا كان الجبل طويلا قيل «جبل أشمّ» والهضبة الطويلة يقال لها «شماء» وقد ورد لهذه الهضبة ذكر في غير معلقة الحارث.

الخلصاء

الخلصاء: موضع بالدهناء قريبُ حُزْوَى، معروف عند أعراب تلك

(١) قلت انظر مصادر ترجمته في :
الشعر والشعراء ١٩٧/١، الأغاني ٣٧/١١، وفي رجال المعلقات ٢٣١، توفي سنة ٥٢٠ وقيل ٥٨٠وقيل ٦٥٠م.

(٢) يروى «فالحيا فالصفاح» ويروى «فأعلى ذي فتاق».

(٣) يروى «ومايرد البكاء؟» وهي بمعنى ماأثبتناه.

الناحية بهذا الاسم إلى هذا العهد، قال ذو الرمة[1]:

ولم يَبْقَ بالَخلصاء مما عَنَتْ به   من الرطب إلا يبسها وهَشِيمُهَا

وقال أيضاً من قصيدة أخرى له :

أشْبَهْنَ من بَقَر الخلصاء أعْيُنَهَا   وهنْ أحسن من صيرانها صُوَرَا

وهي معروفة بكثرة الظباء، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

المحياة المحياة: هضبة شاهقة إلى السماء شرقي أبان، جنوبي النبهانية على ضفة وادي الرمة الجنوبية باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال لها «محيوة» أبدلت الألف واواً، وهي معروفة في قديم الزمان وحديثه، قال الراعي[2]:

ونكَّبْنَ زُوراً عن مُحَيّاة بعدما   بدا الأثل أثل الغينة المتجاور

قال الأصمعي في كتاب جزيرة العرب: قال رُوَيْشِد الأسدي الذي جر المهاجاة بين بني أسامة ـــ وهم من وَالبة ـــ وعامر بن عبد الله ـــ وهم من بني عمرو بن قُعَين ـــ قال على لسان الأسامي:

نحن بنو أسام أيسار الشّاه   فينا رفيـــع وأبـــو محيـــاه

★ وعَسْعَسٌ نعـم الفتـى تَبَيَّـاه ★

أي يأتيه لحاجته ينتجعه، وبأبى محياة هذا سميت محياة، وهي ماءة لأهل النبهانية، هذا هو آخر رواية الأصمعي عنها في كتابه «جزيرة

(١) انظر معجم البلدان ٣/٤٥٥.

(٢) انظر معجم البلدان ٧/٤٠١. وقلت والراعي، هو الراعي النميري، محمد بن عبد الله بن نمير بن خرشة الثقفي النميري شاعر غزل توفي نحو ٩٠هـ. انظر الأعلام ج ٧/٨٩.

العرب» أما الاسم الذي يعرفه الناس فإنه يطلق على هضبة يقال لها اليوم «محيوة» وفيَ أصل تلك الهضبة مياه كثيرة لايبعد أن تجري على ظهر الأرض بعثها الذويبي الْحَرْبي صاحبُ بلد الشبيكة، وقد عَزَم على غرس النخيل الكثير فيها والزروع الوافرة لما رأى كثرة مائها.

الصفاح الصِّفاح ـــ في اللغة يطلق على سفح كل جبل أو كثيب صفحته، فصفحته: جانبه، ويطلق لفظ الصفحة على جانب السيف، والموضع الذي يقال له الصفاح معروف في حدود الجبال المشرعة على وادي المغمس، وهي آخرها، يتركها قاصد مكة على شماله، قال الفرزدق للحسين ابن علي لما لقيه في توجهه إلى العراق[1] :

لقيتُ الحُسَين بأرض الصفاح عليـه اليلامـق والـدرق

وقال ابن مُقْبل في مرثيته لعثمان بن عفان رضي الله عنه حين قتل :

عفا بَطِحَانُ من سليمى فيثرب فملقى الرحال من مِنًى فالمُحَصَّبُ
فعُسْفَان سر السر كل ثنية بعسفان يأويها مع الليل مِقْنَبُ
فنعف وَدَاع فالصفاح فمكـة فليس بها إلا دماء ومحرب

ونعف وداع: موضع قريب نعمان، والصفاح الذي ينطبق عليه هذا الاسم بهذا الوزن هو هذا الموضع، وفي نجد موضع يقال له الصفاح ـــ بضم الصاد وتشديد الفاء ـــ وأصل الصفاح: نوع من الحجارة العريضة، قال النابغة:

★ ويوقد بالصُّفّاح نار الحباحب ★

فتاق أعناق فتاق ـــ عنق كل شئ: أعلاه، وفتق: جبل به ثنية يسلكها القاصد

(١) انظر معجم البلدان ٣٦٦/٥ وليس بيت الفرزدق موجوداً في ديوانه، وعجزه ليس تام الوزن.

إلى بلد حائل في القَصيم، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو الذي عناه الحارث بن حِلِّزة، ذكر أعناق ذلك الجبل، وفتاق باق إلى اليوم باسم «فتق» وهو قريب جداً من اسمه القديم، قال الأعشى[(١)]:

أتاني وغور الحُوش بيني وبينه   كرادِسُ من جنبى فتاق فأبلقا

وقال الراعى :

تبصر خليلي هل ترىٰ من ظعائن   تحملن من جنبى فتاق فثهمد

وقال زيد الخيل الطائي في ذكر هذا الموضع؛ لأنه واقع في بلاد قومه[(٢)] :

منعنا بين شَرْق إلى المَطَالى   بحيٍّ ذى مكابـرة عَنُـود
نزلْنَا بين فتق والخِلَاقـى   بحـيٍّ ذى مُدَارأة شديـد
وحَلَّت سِنْبِس طلح الغبـاريَ   وقد رغبت بِنَصْرٍ بني لَبِيِدِ

عاذب

عاذب: موضع في الصَّمّان، به مواضع تحتبس المياه، وقد أكثرت الشعراء من ذكره، وهو قريب من موضع يقال له رهباء وقريب الأواعس، وجميع هذه المواضع ـــ عاذب، ورهباء، والأواعس ـــ كلها في الصمان، قال جرير في هجائه للفرزدق[(٣)]:

وما ذات أرواق تصدَّى لجؤذر   بحيث تلاقى عاذب فالأواعِسُ
بأحسن منها يوم قالت: ألا ترى   لمن حَوْلَنا فيهم غيور ونافس
إلم تر أن الله أخزى مُجَاشعا   إذا ماأفاضت في الحديث المَجَالِسُ
فما زال معقولا عقال عن الردى   ومازال محبوساً عن المجد حابِسُ

---

(١) انظر معجم ياقوت ٣٣٨/٦.
(٢) الذي في معجم ياقوت في أبيات زيد الخيل «فتك» بالكاف موضع القاف.
(٣) المعجم ٩٢/٦.

وواحد الأواعس: أوعس، وعساء، وقال ذو الرمة:

أيا ظَبْية الوعساء بين جلاجل وبين النّقَا، أأنت أم أم سالم؟

جُلَاجل: بلد معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، به نخل وزروع، ذكرناه على ذكر اليمامة، ووادي جلاجل: بين وادي سدير ووادي المشقر الذي يصب عند بلد المجمعة.

والنقا: موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو أكثبة مرتكمة في الدهناء يقال لها النقيان.

الوفاء: معطوف على عاذب، ولم أعثر على موضعه بهذا الاسم، وصاحب معجم البلدان لم يحدده، إلا أنه قال[1]: هو موضع في شعر الحارث. **الوفاء**

ورهبى التي تقرن بهذه المواضع أكثر شعراء بني تميم من ذكرها، قال شاعر[2] منهم في شطر بيت:

*** على جُمْد رَهْبىٰ أو شخوص خيام ***

والجمد: يطلق على الجبل الصغير، وقال العجاج في أرجوزته:

*** تُعْطِيه رَهْبَاها إذا ترهّبا ***

وقال جرير:

ألا حَيِّ رَهْبىٰ ثم حى المَطَاليا فقد كان مأنوساً فأصبح خاليا
فلا عهد إلا أن تَذَكَّرَ أو ترى ثُمَاماً حوالى منصب الخيم باليا

---

(١) المعجم ٨/٤٢٨.
(٢) انظر معجم البلدان ٤/٣٤٢.

إلى الله أشكو أن بالغور حاجة وأخرى إذا أبصرت نجداً بداليا
إذا ما أراد الحي أن يَتَزَبَّلُوا وحَنَّتْ جمال الحى حنت جماليا
ألا أيها الوادي الذي ضَمَّ سيلُه إلينا هوى ظمياء حُيِّيتَ واديا
نظرت برَهْبىٰ والظعائن باللِّوَى فطارت برهْبىٰ شعبةٌ من فؤاديا

وقال جواس بن القعطل الحنائى:

برَهْبىٰ إلى روض القذاف إلى المعا إلى واحف تزورها ومجالها

وقد قرن هذا الشاعر رهبى بالمعا، والمعا معروف بهذا الاسم في الصمان، وهو دحل يمسك الماء.

رياض القطا

رياض القطا: قد اختلف أهل الأخبار والمعاجم في موضعها، وهي الآن الرياض الواقعة في ضفة الدهناء الغربية، تصبُّ عليها سيولُ العرمة، وشماليها تصب عليه سيول مجزل، وهي تمسك الماء منذ الزمن القديم إلى هذا العهد. وهذه يَرِدُهَا القطا، فسميت «رياض القطا» روضة التنهاة، وروضة خريم، وروضة نورة، جميعُ هذه الرياض من رياض القطا، فأما تنهاة فهي اسم لأكثبة منقطعة من الدهناء، فأُضيفت هذه الروضة إلى هذه الأَكثبة فقيل لها «روضة التنهاة» وهي من منازل بني تميم، قالت صفية[1] بنت خالد المازني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم، وهي يومئذ بالبشر، تتشوق إلى أهلها وبلادِ قومها وهي من أشعر النساء:

نظـــرت وأعــــلام من الـــــبشر دونهـــا
بنظـــرة أقْنـــىٰ الأنـــف حُجْـــن المخـــالب

سمـــا طرفُـــــه وازداد للبـــــرد حدة
وأمسى يروم الأمـــــر فوق المـــــراكب

---

(١) انظر معجم البلدان ٢/٤١٨.

لأبصر وَهْنــاً نارَ تنهــاة أوقــدَتْ
بروض القطـا والـهَضْب هضب التنـاضب

ليالينــا إذ نحــن في الحَــزْن جيــرة
بأفيــح حر البقــل سَهْــل الــمشارب

ولــم يحتمــل إلا أبــاحت رماحنــا
حمــى كل قوم أحــرَزوه وجــانب

وهذا من أحسن الدلائل وأجودها لأنها حين قالت :

لأبصر وهنــا نار تنهــاة أوقــدت
بروض القطـا والـهضب هضب التنـاضب

ذكرت أن نار تنهاة أوقدت بروض القطا، وثمة دليل آخر على صدق هذا التحديد، وهو قول الأعشى في معلقته:

حتى تَحَمّل منه الماء تكلفة روضُ القطا فكثيبُ الغينة السهل

كثيب الغينة السهل هو الذي يسمى اليوم نفيد بنبان، وهو كثيب الغينة، لأن الغينة تغير اسمها قليلاً فصار «غيانة» وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، مجاورة لهذا الكثيب، بها نخل وزروع، وقد تقدم الكلام عليها عند ذكر اليمامة على ذكر وادي أبو قتادة.

ورياض القطا هي كما حَدَّدنا في أول هذه العبارة بين الدهناء والعرمة، وقد أكثر الشعراء من ذكرها، قال[1] الحطيم المحرزى :

وهـل أهبطَـنْ روضَ القطـا غيــر خائــف
وهـل أصبْحَـنَّ الدهْـرَ وَسْطَ بنــى صخــر

---

(١) انظر معجم البلدان ٣٢١/٤.

وقال عمرو بن شاس الأسدي :

غشيت خليلي بين قوٍّ وضارج فروض القطا رَسْماً لأم المسيب

وقال الأخطل :

وبالمعرسانيات حلّ وأرزمت بروض القطا منه مَطَافِيلُ حُفَّل

وقال أعشى بنى تغلب :

عفا لَعْلَع فرياض القطا فجنب الأساود من زينب

وقال الأخطل :

عفا واسط من أهله فَمَذَانِبُهْ فروض القطا صحراؤه فنصائبه

هذه أشعار شعراء مختلفين في الألفاظ على اختلاف قبائلهم وأنسابهم وأوطانهم، فمنهم من ذكر روض القطا في الصمان، ومنهم من يصفه بأنه واقع في طريق الحجاز، ومنهم من ذكر أنه بطريق الشام، وللجمع بين هذه الروايات نعتقد أنهم كانوا يسمون كل روضة تمسك الماء في أي ناحية من النواحي ويردها القطا بهذا الاسم[١]، فأما رياض القطا التي وضع لها هذا الاسم فهي المشهورة عند عامة العرب وهي: روضة التنهاة، وروضة خريم، وروضة نورة، وجميع هذه الرياض بين العرمة والدهناء كما قلناه.

قال ياقوت في معجمه[٢]: أنا وجدت في كتاب أبي جعفر محمد بن إدريس بن أبي حفصة على ذكره مناهل اليمامة قال: إذا خرجت تريد البصرة فأول ما تطأ السفح، ثم الخربة، ثم قارات الحبل، ثم بطن السلى، ثم طار، ثم عيان، ثم روض القطا، ثم العرمة، وهذه كلها من أرض اليمامة.

---

(١) وهكذا رأي ياقوت (انظر المعجم ٣٢٢/٤).

(٢) انظر المعجم ٣٢٢/٤.

وقد غلط الرواة في تقديم رياض القطا على العرمة، ورياض القطا كما ذكرنا بين الدهناء والعرمة.

أودية الشربب

وأودية الشربب، والشعبتان، والأبلاء: هذه المواضع الثلاثة كلها متصل بعضها ببعض[1]، ولاتكون أودية الشربب إلا من أودية الشربَّة، وهي واقعة بين الشعبتين اللتين ذكرهما الحارث، ولا أعلم أحداً من العرب ذكر الشربب بهذا الوزن وهذا اللفظ إلا الحارث في معلقته، وأرطاة بن سهية حين قال:

أجليت أهل البرك من أوطانهم والخمس من شعبى وأهل الشربب

وألجأت الشاعر الضرورة حتى قال «الشربب» وليس هناك موضع مشهور عند العرب إلا الشَّرَبَّة، وقد مضى الكلام عليها في أشعار امرىء القيس على قوله:

تَخَطَّفُ خِزَّانُ الشربَّةِ بالضحى وقد حجرت منها ثعالب أورال

وهذا البيت من قصيدة مطلعها:

*** ألا عِمْ صباحا أيها الطللُ البالى ***

عود إلى ذكر الشربة

والشربة: قد ذكرناها، واستقصينا الكلام على ذكرها، ولكن لما عرض لنا هذا البيت أحببت أن أزيد القارئ إيضاحاً:

الشربة: أسفلها عريق الدسم الواقع غربي شعبى، وأعلاها من عدنة إلى أبلى، أما عدنة المشهورة عند العرب بهذا الاسم فهي اليوم معروفة باسم «بدنة» وجميع هذه الأودية تصب في وادي الجريب من شماليه، والأودية التي تصب في وادي الرمة من جنوبيه هي من أودية الشربة ولا يبعد أن الأودية التي ذكرها الحارث في تلك الناحية؛ لأنه قرنها بأبلى والشعبتين.

---

(١) انظر المعجم ٢٤٨/٥.

الشعبتان أما الشعبتان فمعروفتان بهذا الاسم عند عامة أهل نجد إلى هذا العهد، وهما واديان عظيمان تأتي سيولهُما من الجهة الشمالية من جنوبي بلاد طي، وتَمُرُّ ببلاد بني أسد، وتصب في وادي الرمة، وهاتان الشعبتان معروفتان لقوم من الأسلم من شمر تملكوهما من العهد القديم إلى هذا العهد ولا يزالون يتنقلون فيهما من محل إلى محل، وتأتيهما السيولُ من قريب سَلْمَى ورمان ثم تتجه حتى تصب في وادى الرمة، وتلك القبيلة التي تتربع فيهما وتتجول في نواحيهما يقال لهم آل البعير حتى إن فارسهم في المعارك يعتزى[1] إليهما وهو على ظهر جواده، فيقول: خَيَّال الشعبتين بعيرىّ فينتسب لآل بعير قبيلتِهِ، وهم بطن من الأسلم من شمر، وقبيلة شمر تنقسم إلى أقسام منها قبيلتان اختصتا بالجبلين أجأ وسلمى؛ فقبيلة الأسلم اختصت بسلمى، وقبيلة عبدة اختصت بأجأ، وهاتان القبيلتان أهلُ الجبلين، والشعبتان معروفتان عند جميع أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد.

---

(١) هذه عادة عامة عند أهل نجد، بل عند العرب جميعهم، كقول رسول الله ﷺ يوم حنين:

انا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب.

وجميع قبائل نجد كل قبيلة لها سمة تعرف بها في القتال، فعزوة مليكنا وعشرته في المعارك وغيرها: خيال العوجا وأنا ابن مقرن، ولولا الإطالة لوضحت سمة كل قبيلة التي تعرف بها، ولكن أحببت أن أذكر شيئاً من ذلك حتى يتضح للقارىء: من قحطان قبيلة آل روق، وعزوتهم: مبعد مساريح البكار وأنا ابن روق، الخنافر: خيال الرحمان وأنا ابن دراج، آل عاطف عزوتهم: خيال سمحات الوجية وأنا ابن عاطف، وسمحات الوجيه في هذه العزوة الإبل، ومن قبيلة عتيبة المقطة قبيلة محمد بن هندى عزوتهم: خيال الرحمان كريزى،. وقبيلة النفعة ذوى زياد: خيال الحرشا زيود، والحرشا: اسم ناقة، والمساعيد: خيال الشرفا مسعودى، الشرفا: اسم ناقة، ومن قبيلة الروقة آل محيا من الحناتيش: خيال الحردا، وأنا أخو غزوا، غزوا: أخت للمعتزى، ومن مطير قبيلة الدوشان: خيال الرحمان وأنا ابن مدوش، والجبلان من قبيلة مطير: خيال صبحى جبلي، وصبحا: جبل في عالية نجد الجنوبية.

أَبْلى: قد وعدنا فيما سبق أنا نذكرها عند الكلام على معلقة الحارث بن حلزة، وإني أعرفها كما أعرف بلادى، وهي جبالٌ سود متصل بعضها ببعض، متاخمة لجبل كشب مما يلي جهته الشمالية، وهي قريبُ القرى الواقعة في شرقي الحرة، وهي: صفينة، والسويرقية، وماءة الجريسية واقعة في وسط جبال أبلى، وهي معروفة بهذا الإسم إلى هذا العهد، وأحببت أن أورد ماورد فيها قال في معجم البلدان[1]: وقال عرام بن أصبغ السلمي في كتابه:

تمضي من المدينة مُصْعِدا إلى مكة فتميل إلى وادٍ يقال له عريفطان معاً ليس له ماء ولا مرعى، وحذاؤه جبال يقال لها أبلى، هذا كلام عرام. وهو صحيح، ولكن السالك من المدينة إلى مكة يترك أبلى على شماله، ثم قال :

أبلى فيها مياه: منها بئر مَعُونة، وذو ساعدة، وذو جماجم أو حماحم، والوسباء، وهذه لبنى سليم وهي قناة متصلة بعضها ببعض، قال فيها الشاعر: أبلى

ألا ليت شعري هَلْ تغير بعدنا أروم وآرام فشابة فالْحُضْرُ
وهل تركت أبلى سوادَ جبالها وهل زال بعدي عن قُنينته الحجر

وعن الزهري أنه قال: بعث رسول الله ﷺ قِبَلَ أرض بنى سليم، وهو يومئذ ببئر مَعُونة بجُرْف أبلى، وأبلى بين الأرحضية وقرَّان، كذا ضبطه أبو نعيم، هذه رواية صاحب معجم البلدان، فأما الأسماء الوارد ذكرها هذين البيتين: أروم، وآرام، وشابة، والحضر، وأبلى، وقنينة الحجر، فجميعها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، وأنا أعرفها، وهذه رواية أبي عبيد البكري في معجم ماستعجم[2] برمتهما: أبلى هي جبال سود على طريق الآخذ من

(١) انظره ١/٩٠ وفيه «عريفطان معن».
(٢) انظره ١/٩٨.

مكة إلى المدينة على بطن نخل، وأبلى حذاء وادٍ يقال له عريفطان، قد حددتُه في رسم «ظلم» وبأبلى مياه كثيرة: منها بئر معونة، وذو ساعدة، وذو جماجم أو ذو حماحم، هكذا قال، وحذاء أبلى في غربيها قُنَّة يقال لها الشَّورة لبني خُفَاف من بني سليم، وماؤهم آبار يزرع عليها، ماء عذب، وأرض واسعة، وكانت بها عين يقال لها النازية، بين بني خُفَاف وبين الأنصار تضارُّوها فسدُّوها بعد أن قتل في شأنها ناس كثير، وكانت عيناً ثَرَّة، وطلبها السلطان مراراً بالثمن الجَزْل فأبوا عليه، وحذاء أبلى من شرقيها جبلٌ يقال له ذو المَرْقَعَة، وهو معدن بنى سليم، تكون فيه الأرْوى[١] كثيراً، وفي أسفله من شرقيه بئر يقال لها الشقيقة، وتلقاءه عن يمينه من تلقاء القِبْلة جبل يقال له أحامر، وهذه الجبال تضرب إلى الحمرة، وهي تنبت الغَرْبَ والغَضْوَر والثمَّام، وهناك تِعار والأخرب: جبلان لا يُنبتان شيئاً، قال الشاعر:

بليت ولا يبلى تِعَارٌ ولا أرى　　ببئر ثُمَيْل نائيــاً يتجــدد
ولا الأخربُ الداني كأنَّ قِلَاله　　بَخاتٍ عليهنَّ الأجلَّـةُ هُجَّـدُ

وقال كثير :

أحبك مادامت بنَجْدٍ وشيجةٌ　　وما أنبتت أبلى به وتِعَار

وقال الشماخ :

فباتت بأبلى ليلـةَ ثم ليلـةً　　بحاذَةَ واجتابت نَوىً عن نواهما

(حاذة: باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد) وتجاوز عين النازية فترد مياها يقال لها الهَدَبية، وهي آبار ثلاث ليس لها نخل ولا شجر، في بقاع واسعة بين حَرَّتين، تكون ثلاث فراسخ عَرْضاً في طول ماشاء الله أن يكون، أكثر نباتها الحَمْض، وهي لبني خفَاف، ثم تنتهي إلى السُّوَارقيه على ثلاثة أميال من عين النازية، وهي قرية لبني سليم فيها مِنْبر، ويستعذبون الماء من وادٍ يقال له سُوَارق، ووادٍ يقال له الأبطن، ماءً عذباً، ولهم مزارع واسعة

ونخل كثير وفواكه جمة من الموزِ والتين والعنب والرمان والسفرجل والخوخ، وحَدُّها ينتهي إلى ضَرِية، وحواليها قُرَى منها قِيًّا، بينهما ثلاثة فراسخ، وهي كثيرة الأهل والمزارع والنخيل، قال الراجز:

ما أطْيَبَ المذق بماء قِيًّا وقد أكَلْتُ قَبْلَهُ بَرْنِيًّا

وقرية يقال لها الملحَاء، سميت بالملحاء بطنٍ من حَيْدَان، وهي في بطن وادٍ يقال له قَوْران يصب من الحرة، فيه ثلاثة آبار عذاب ونخل وشجر، وحوليها هضابٌ يقال لها هضبات ذي مَجَر قال الشاعر:

★ بِذى مَجَرٍ أسْقِيتُ صَوْب غوادى ★

وذو مجر: غديرٌ بينهن كبير في بطن قَوْران، وبأعلاه ماء يقال له لِيث، آبار كثيرة عذبة ليس لها مزارع لِغلظَ موضعها وخشونته وفوق ذلك ماء يقال له شَسّ، آبار كثيرة، وفوق ذلك بئر يقال لها ذات الغار، أغزرها ماء وأكثرها، تسقى بواديهم، قال ابن قَطَّاب السلمى:

لقد رُعْتُمونى يوم ذي الغار رَوْعَة بأخبار سوء دونهنَّ مَشِيبى
نَعَيْتم فتى قيسٍ بن عيلان عَنْوة وفارسَهَا، تَنْعُونَه لحبيب

وحذاء هذا الجبل جبل يقال له أقراح، شامخ، لا ينبت شيئاً، كثير النمور والأروى، ثم تمضي من المَلْحاء فننتهي إلى جبل يقال له مُعَان، في جوفه أحساء ماء: منها حِسْى يقال له الهَدَّار، يفور بماء كثير، بحذائه حاميتان سوداوان، في جوف إحداهما مياه مِلْحة يقال لها الرَّفْدة حواليها نخلات وآجام يستظل بها المار، شبيهة بالقصور، وهي لبني سُلَيم، وبإزائها شُوَاحط، وهو مذكور في موضعه، انتهى من معجم ما استعجم بحروفه.

وهذه الأسماء التي ورد ذكرها في رواية أبي عبيد البكري قد تغير اسم

الكثير منها، وبقيت منها أسماء لم تتغير: منها جبل أحامِر، وهو جبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد غربي أبلى، والسوارقية: معروفة أيضاً بهذا الاسم إلى هذا العهد، وحاذة: معروفة أيضاً بهذا الاسم إلى هذا العهد، ومعدن بني سليم معروف إلى هذا العهد، وقد بُعِث في هذا العهد الحديث، وتجد فيه اليومَ العمالَ بآلاتهم العظيمة والمهندسين لاستخراج الذهب منه بأمر جلالة الملك عبد العزيز آل سعود.

فأما ما ذكره أبو عبيد البكري في قوله «وحدها ينتهي إلى ضَرِية» فهذا خطأ بين، فإن بينها وبين ضرية مسافة خمسة أيام، جميعُ الشَّرَبة وأوديتها وما وقع من الأودية والجبال والمياه بين وادي الرمة ووادي الجريب حاجزةٌ بين ضرية وبين أبلى، وأبلى: معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد عند عامة أهل نجد، وهي واقعة في القطعة الشمالية الغربية من عالية نجد، شرقيُّها في الجاهلية وفي الإسلام لبني عبد الله بن غَطَفان، وغربيها لبني سُلَيم، ويعد معدن بني سليم قطعةَ منها، والجبالُ المحيطة بها تضاف إليها، فيقال لها: جبال أبلى، فأما أبلى نفسُها فهي جبال سودُ متصل بعضُها ببعض يقطعها السالك في ساعتين.

★ ★ ★

٢ ـــ قال الحارث بن حِلِّزة :

وَبِعَيْنَيْكَ أَوْقَدَتْ هِنْدٌ النَّا رَ أصِيلاً تُلْوى بِهَا الْعَلْيَاءُ[١]

فَتَنَوَّرْتُ نَارَهَا مِنْ بَعِيدٍ بِخَزَازَى، هَيْهَاتَ مِنْكَ الصِّلَاءُ[٢]

خزاز العلياء في هذا البيت خاصةً: هي أرض مرتفعة من خَزَازي أو من حوله، وأما خزاز فقد مضى الكلام عليه في معلقة عمرو بن كلثوم، وأوضحنا أن يوم خزاز المشهورَ عند العرب هو أول يوم هزمت فيه بنو

(١) هذه رواية التبريزي، وذكر أنه يروى «أوقدت هند النار أخيراً».

(٢) في رواية التبريزي «بخزاز» وذكر الأخرى.

عدنان القحطانيين، وللحارث بن حلزة صاحب هذه المعلقة امتياز على شعراء المعلقات؛ لأنه لم يحضر يوم خزاز من شعراء المعلقات أحد غيره، وكانت الرآسة في ذلك اليوم لربيعة على جميع العدنانيين.

حمى كليب

وذكروا أن كليباً كان في ذلك اليوم هو الرئيس المطاع، وهو الذي ألَّبَ بطونَ العرب من ربيعة ومضر، فلما جاء النصر أذْعَنَتْ له العدنانيون، فكان هو الرئيس المطاع؛ فحَمَى بعد ذلك حمى ضرية، ومنع العرب من دخوله، فسمي الحمى بعدما حماه «حمى كليب» فزاد به العُجْب والتكبر على العرب، فكان في بلاد العرب إذا نزل ماء من السماء في الحمى أو في غيره انتجع إليه، وحماه، ونزل به، فلما تجبر صَرَعَه تجبره حتى أورده حمامه، قتله ابنُ عمه.

وخزاز هو الجبل المعروف قريب بلد دخنة، وهو باقٍ بهذا الإسم إلى هذا العهد، يعرفه به عامة أهل نجد، وهو يعد من أخيلة المخامر، وإنما سميت تلك القطعة المخامر لأنها جبال متفرقة وآكام ورضم مَنْ دخلها خمر بها، وهذه لغة عامة أهل نجد يسمون الوادي الملتفّ بالشجر خماراً، وإذا دخلت الأرنب في الشجرة قالوا: أخمرت، وقال في القاموس: خَمِر ــ كفرح ــ توارى كأخمر، وأخمرته الأرض عنى ومنِّى وعلى: وَارَتْه، فسميت المخامر بهذا المعنى، وهي قطعة من الأرض يبعد بعضها عن بعض مسافة يوم ونصف يوم، شماليُّها مما يلي الرمة، وجنوبيُّها مما يلي وادي نفى، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

٣ ــ وقال الحارث بن حلزة :

أوْقَدَتْها بَيْـنَ الْعَقِيـق فشَخْصَيْـنِ بِعُـودٍ كَمَـا يَلُـوحُ الضِّيَـاءُ

ذكر الحارث بن حلزة أنه تَنَوَّر تلك النار وهو في خزاز الذي ذكره، وهو بين شخصين والعقيق، فلا تكون النار إلا في جبال بني عبد الله بن

غَطَفان الواقعة بين شمالى كشب والعقيق، والعلياء ــ على هذا ــ لاتكون في خزاز ولا في نَوَاحيه، بل تكون في تلك الناحية التي أوقدت النار في رأسها.

الشخصان أما الشخصان فهضبة أصلُها واحد ولها رأسان، وكانت تسمى في الجاهلية بالشخصين، وهي في هذا العهد تعرف بالشواخص، ولاتزال باقية بهذا الاسم، وهي واقعة في شمالي كشب الغربى.

العقيق والعقيق: معروف عند عامة أهل نجد، يَصُبُّ من جبال الحجاز الشرقية، ويتجه شمالاً جاعلاً جبالَ الحجاز وحِرَاره على شماله حتى يختلط بعقيق المدينة، وماءة عشيرة المعروفَةُ في الطريق بين مكة المكرمة ونجد وماءة المحدثة وماءة تنضبة، هذه كلها في بطن وادي العقيق في أعلاه، في بطن ذلك الوادي إذا اتجَه شمالاً عيون وآبار كثير عذبة، وهي بالقرب من المدينة، وسيل ذلك الوادي يصب في وادي الحمض، ويصبان معاً في البحر، هذا هو الذي بلغني عن الثقات، وقد مر ذكره في كتابنا هذا، وذكرنا المواضع التي يطلق عليها لفظ العقيق، وقد أوضحنا ذلك إيضاحاً تاماً، قال شاعر مدني في عقيق المدينة:

إنى مررت على العقيق وأهلُهُ يشكون من مَطَر الربيع نُزُورَا
ما ضركم إن كان جعفر جاركم أن لا يكون عقيقُكمْ ممطورا

وجعفر هذا هو جعفر بن عبد الله بن الحسين الأصغر بن على زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبى طالب، رضي الله عنه!

★ ★ ★

٤ ــ وقال الحارث بن حِلِّزة :

أَيُّهَا النَّاطِقُ الْمُرَقِّشُ عَنَّا عِنْدَ عَمْرٍو، وَهَلْ لِذَاكَ بَقَاءُ؟

لاتَخلْنَا عَلَى غرَاتِكَ، إنّا قَبْلُ مَا قَدْ وَشَى بِنَا الأعْدَاء
فَبَقِينَا عَلَى الشَّنَاءِة تَنْمِينَا حُصُونٌ وَعِزَّةٌ قَعْسَاء[١]

اختلف أهلُ اللغة في هذا البيت الأخير، واختلف الرواة: أمارواية الزوزني، فهي «حصون وعزة قعساء» ورواية الخطيب «جدود وعزة قعساء» وأجمع الأكثرون على أن الشناءة هي العداوة والبغضاء، وهي لغة صحيحة ذكرها الله جل وعلا في محكم كتابه بقوله تعالى﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَئَانُ قَوْمٍ﴾[٢] فإذا صحت رواية الخطيب فالشناءة هي البغضاء، وإذا صحت رواية الزوزني فالشاعر يقصد إقامته على الشّنانة بلدٍ من قرى الرسِّ جاهلية بها نخيل ومزارع، فهذا الشاعر الذي قد مضى لموته ألف وأربعمائة وتسعة عشر عاماً ولم يتغير لفظه إلا بإبدال الهمزة نوناً نعني أن «الشناءة» هي البلد الذي يسمى اليوم الشنانة، وهي واقعة على ضفة وادي الرمة الجنوبية قريب الاختلاط ببلد الرس، لا تبعد عن الرس إلا أقل من مسافة ساعة ونصف.

* * *

٥ ــ وقال الحارث بن حِلِّزة :

أَيُّمَا خُطَّةٍ أَرَدْتُمُ فَأَدُّو هَا إِلَيْنَا تَمْشِي بِهَا الأَمْلَاء
إنْ نَبَشْتُم مَا بَيْنَ مِلْحَةَ فَالصَّا قِبِ فِيهِ الأَمْوات وَالأَحْيَاء
أو نَقَشْتُمْ فَالنَّقشُ يَجْشَمُهُ النَّا سُ وَفِيهِ الصَّلَاحُ والإِبْرَاء

ملحة

مِلْحة: هضبة معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، في شرقي بيشة، شهباء كأنها قطعة ملح، فلذلك سميت ملحة، وهي التي عناها الشاعر،

(١) قلت: وأمّا تَنْمِيْنَا فهي بضم التاء وليس بفتحها تُنْمِينا ورواية أبي جعفر النحاس في (شرح القصائد التسع) مماثلة لرواية الخطيب (جدود وعزة قعساء) انظر احمد خطاب شرح القصائد التسع القسم الأول ص ٥٦٦.

(٢) سورة المائدة / ٢.

وهناك هضبات حُمْر يقال لها الأميلاح لاتزال تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي واقعة في شرقي جبل الصاقب الجنوبى، تبعد عن الصاقب مسافَة نصف يوم، والذي يدل على أنه عنى بملحة الهضَبَة الواقعة في أسفل بيشة أنه يقول:

* إن نبشتم مابين ملحة فالصاقب *

فهذا يدل على أنه يشير إلى المعارك وما قتل فيها من الأبطال: وما بين ملحة وجبل الصاقب إلا مسافة ست ليالٍ لحاملة الأثقال.

الصاقب والصاقب: هضبة حمراء شاهقة واقعة في عالية نجد الجنوبية، ولايوجد في بلاد العرب هضبة أعلاها أكبر من أسفلها إلا هضبة الصاقب، وهي واقعة في قطعة مصطحبة من الأرض كأنها متخفضة يقال لها «جفرة الصاقب» يرعى تلك الجفرة قوم من الأعراب القاطنون في المياه المجاورة لتلك القطعة، وهي ماءة الهمجة، وماءة الدخول، الذي ذكره امرؤ القيس في شعره ومضى الكلام عليه، وماءة محضب، وماءة ورشة، وهو منهل على طريق رنية، وهو المنهل الذي يجاوره جبل حوضا الجبلُ المعروف والذي يجرى ذكره في أشعار العرب وأخبارها، والصاقب: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد.

★ ★ ★

٦ ــ وقال الحارث بن حِلِّزة :

هَلْ عَلِمْتُم أَيَّامَ يُنْتَهَبُ النَّا سُ غِوَاراً لِكـلِّ حَيٍّ عُوَاءُ
إذْ رَكِبْنَا الجِمالَ مِن سعَفِ البَحْرَيْنِ سَيْراً حَتَّى نَهَاهَا الْحِسَاءُ

البحرين البحرين: هي البلد المعروفة الواقعة في سواحل البحر الشرقي، ويدخل

تحت كلمة البحرين الجزيرة المشهورة بهذا الاسم وهَجَرُ وجميع قراه، كلها يطلق عليها اسم البحرين.

الحساء

فأما الحساء الذي ذَكَره الحارث فهو بكسر الحاء، وهو غير الحساء الواقع في نواحي هَجَر، وهذا الاسم إذا فتح حاؤه يطلق على جميع القرى الواقعة في بلاد عبد القيس، لأنه في نفس البحرين، وأما الحِسَاءُ فإنه يطلق على موضعين: أحدهما في بلاد عبد الله بن غَطَفان، يصبُّ سيله في وادي الرمة، وهو معروف عند عامة أهل نجد باسم «حسى عليا» هلكت عنده امرأة يقال لها «علياء» فقبِرَت على هذا الماء، وهو الذي يقول فيه زهير :

عَفَا من آل فاطمةَ الجِوَاء فيُمْـــن فالْقَـــوَادم فالــحِسَاء

والثاني: واقع قريبَ المدينة، وهو الذي يقول فيه عبد الله بن رواحة رضي الله عنه يخاطب راحلته:

إذا بَلَّغْتِنِـى وحمـلتِ رحلـى مسافـة أربـع بعـد الـحِسَاء

★ ★ ★

٧ ــ وقال الحارث بن حِلِّزة :

لَا يُقِيمُ الْعَزِيزُ بِالْبَلَدِ السَّهْـ ـلِ وَلَا يَنْفَعُ الذَّلِيلَ النّجَاءُ
لَيسَ يُنْجِى مُوَائِلاً مِنْ حِذَارٍ رَأْسُ طَوْدٍ وَحَـرَّةٌ رَجْـلَاء

الطود والحرة الرجلاء

الطَّوْد: اسم عام لكل جبل شاهق، والحرة الرجلاء: هي الصَّعْبة المرتَقى لايسلكها خيل ولا إبل، لايسلكها[١] إلا الراجل، فسميت حرة رجلاء، والحرة: اسم لما غلظ من الحجارة واخشوشن، وهي تكون سوداء

(١) انظر معجم البلدان ٤/٢٢٧.

المنظر، ذكر في معجم البلدان في بلاد العرب[١] ثلاثين حرة كلها مضافة، فأما الحرة الرَّجْلاء التي ذكرها الحارث فهي واقعة بين المدينة والشام، وهي المختصة بهذا الاسم، يقال لها الحرة، قال الأخنس بن شهاب[٢].

وكلب لها خَبْتٌ فَرَمَلَة عالج … إلى الحرة الرجلاء حين تحارب

وقال الراعى :

يأهل مابال هذا الليل في صَفَر … يزداد طولاً ومايزداد من قصر

في إثْرِ من قطعت منى قرينتُهُ … يومَ الحَدَالى بأسبابٍ من القدر

كأنما شُقَّ قلبى يوم فارقهم … قسمين بين أخي نجدٍ ومُنْحَدر

هم الأحبة أبكى اليوم إثرهُم … وكنت أطرب نحو الحيرة الشُّطُرِ

فقلت والحَرَّة الرَّجْلاءِ دونَهُمُ … وبطن لُجَّان لما اعتادني ذكرى

صَلّى على عزةَ الرحمٰنُ وابنتِهَا … لَيْلَى وصَلّى على جاراتها الأُخَرِ

هُنَّ الحرائر لا ربَّاتُ أحْمِرَةٍ … سودُ المَحَاجر لا يقرأن بالسور[٣]

ويحتمل أن الحارث بن حِلِّزة لم يقصد حرة بعينها، بل قصد موضعاً وَعْراً لا يُرْتَقَى لقوله:

لَيْسَ ينجي موائلا من حذار … رأسُ طودٍ وحَـرَّةٌ رجـلاء

---

(١) انظرها في ٢٥٧/٣.

(٢) المعجم ٢٥٨/٣.

(٣) يروى أكثر الناس «لا ربات أخمرة» بالخاء المعجمة على أنه جمع خمار، وهو خطأ، فإن الخمار عند العرب مما يلبسه النساء الحرائر دون غيرهن، والأحمرة ـــ بالحاء المهملة ـــ جمع حمار، وهو الدابة المعروفة، وعليها تعمل الجوارى في نقل المياه من الآبار إلى الدور ونحو ذلك، فكأنه قال: هن الحرائر لا الإماءَ العاملات على الحمر، ولو أبقيت الخاء على أعجامها لتناقض الكلام؛ لأنه يصير كأنه قال: هن الحرائر لا الحرائر؛ إذ كان الخمار لاتلبسه إلا الحرة. وكانوا يكنون عن الحرة بذات الخمار.

قصد حرة صعبة المَدْخَل لا يدخلها أحد ولو أنه قال «الحرة الرجلاء» لكان ذلك أقربَ إلى أنه يريد الموضع المعين الذي يسمى بهذا الاسم، فلما ذكرها منكرة ووصفها بما يدل على الوعورة قلنا: لعله يريد مطلق حرة يصعب سلوكها.

★ ★ ★

٨ ـــ وقال الحارث بن حِلِّزَة :

كَتَكاليفِ قَومِنَا إذْ غَزَا الْمُنْذِرُ وَهَلْ نَحْنُ لِابْنِ هِنْدٍ رِعَاءُ؟
إذْ أحَلَّ الْعَلْياءَ قُبَّـةَ مَيْسُو نَ فَأدْنَى دِيَارِهَا الْعَــوْصَاءُ

العلياء العلياء: قطعة من الأرض مرتفعة، وقد أكثر الشعراء من ذكرها، وليست بموضع معلوم محدد، وقولُ الحارث في هذا البيت كقول زهير بن أبي سُلْمى:

تَبَصَّر خليلى هل ترى من ظَعَائن تَحَمّلْنَ بالعلياء من فوق جرثم

فالعلياء هي الأرض المرتفعة كما لو قلت: عالية نجد.

قبة ميسون وقبة ميسون: هي قبة بنيت لمَيْسون، وميسون: ابنة لبعض ملوك غسان، قتل أباها عمرو ابن هند وسباها وبنى لها عمرو بن هند قبة في ذلك الموضع فقال الحارث.

*** فأدنـــي ديارهـــا العـــــوصاء ***

العوصاء والعوصاء: قطعة في الحدود الواقعة بين الشام والعراق، وقد ذكرت العوصاء في أشعار كثيرة، قال عمرو بن قيس[1]:

---

(١) معجم البلدان ٦/٢٤١.

أصابك ليلَةَ العوصاء عمدا بسَهْمِ الليل ساعدةُ بن عمرو

ولا أعلم هل هذا الاسم باقٍ إلى هذا العهد أم تغير!.

★ ★ ★

٩ ــ وقال الحارث بن حلزة :

فَرَدَدْناهُـم بِطَعْنٍ كَمـا يَخْـ ـرُجُ مِنْ خُربَةِ الْمَزَادِ الْمَاءُ
وَحَمَلْنَاهُم عَلَى حَزْنِ ثَهـلَا نَ شِلَالاً وَدُمِّـــيَ الأَنْسَاءُ
وَجَبَهْنَاهُـمْ بِطَعْنٍ كَمَـا تُنْـ ـهَزُ عَنْ جَمَّةِ الطَّوِيِّ الدِّلاءُ

ثهلان أما ثهلان: فجبل أسود، باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد في عالية نجد، وقد مضى الكلام عليه في قصيدة امرىء القيس عند الكلام على قوله:

كقيس الظباء الأعفر انضرجت له عُقَاب تدلَّتْ من شماريخ ثهلان

الطوى الطَّوِي: يطلق العرب على كل بئر صالحة لفظ الطوى!

★ ★ ★

١٠ ــ وقال الحارث بن حلزة :

ثُمَّ جَاءُوا يَسْتَرْجِعُون فَلَم تَرْ جع لَهُمْ شَامَةٌ وَلَا زَهْـرَاءُ
لَمْ يُخَلُّوا بَنِـي رِزَاحٍ بِبَرْقَـا ءِ نَطَاعٍ لَهُـمْ عَلَيْـهِ دُعَـاءُ

برقاء نطاع برقاء نَطَاع: أما نطاع فهو معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو من مياه الطف الشرقية وهو بلد قديم الذكر بين الدهناء والجبيل، لم يخل من السكان منذ العهد القديم الجاهلي إلى هذا العهد، قال في معجم البلدان[١] على ذكر نطاع عن أبي منصور: إن نطاع على وزن قطام ماءة

(١) معجم البلدان ٢٩٦/٨.

في بلاد بني تميم، وقد وردتها، وشربت إبُلنا من ماء نطاع، وهي ركية عذبة الماء غزيرته، وكانت به وقعة بين بني سعد بن تميم وهوُذَة بن علي الحنفي، أخذت بنو تميم لطائم كسرى التي أجارها هوذة بن علي، الواردة من عند باذام والى كسرى على اليمن، فكان بعدها يوم الصَّفقة، وقد أعربه ربيعةُ بن مَقرُوم في قوله:

وأقرب منهلٍ من حيث راحا أثال أو غمازة أو نطاعُ
فأوردها ولونُ الليل داجٍ ومالغبا وفي الفجر انصداعُ
فَصَبَّحَ من بني جِلَّان صِلًّا عطيفته وأسهمه المتاعُ
إذا لم تختزن لِبَنِيك لحما غريضاً من هَوَادِى الوحشِ جاعوا

وقال أيضاً في المعجم[1]: قال الحفصى: نِطاع، بكسر النون: واد ونخيلٌ لبني مالك بن سعد بين البحرين والبصرة.

وأنا أقول: قد أصاب الحفصى في هذا التحديد، وهذا التحديد ينطبق على نطاع الذي نعرفه اليوم بهذا الإسم.

★ ★ ★

١١ ــ وقال الحارث بن حِلِّزة :

ثُمَّ خَيْلٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ مَعَ الْغَلّاق لَا رَأْفَةٌ وَلَا إبْقَاءُ
وَهُوَ الْرَّبُّ وَالشَّهيدُ عَلَى يَوْ مِ الْحِيَارَيْنِ والبَلاءُ بَلَاءُ

الحياران: لم أجد لهما ذكراً في أخبار العرب وأشعارهم، ويظهر لي من كلام الحارث أن به يوماً من أيام العرب، وأعرف موضعاً واحداً يقال له الحيار حيار بني القعقاع صقع من برية قنسرين، كان الوليد بن عبد الحياران

(١) انظره أيضاً في ٨/٢٩٦.

الملك أقطعه القعقاع بن خُلَيد، بينه وبين حَلَب يومان، وقال المتنبى في مدح سيف الدولة:[1]

وكنت السيف قائمُهُ إليهم وفي الأعداء حَدُّك والغِرَارُ
فأمست بالْبَدِيَّـةِ شَفْرَتَـاه وأمسى خلف قائمـهِ الحيار

وأما المواضع التي بالواو بعد الحاء ــ كالحوار، والحوير، والحوارة ــ فهي كثيرة في بلاد العرب

انتهينا من معلقة الحارث بن حِلِّزة اليشكرى، وما ورد فيها من ذكر المواضع في بلاد العرب وغيرها.

(1) انظرهما في المعجم ٣٧٥/٣، وفي ديوان المتنبي ٢ /١٠٢ بشرح العكبرى، وانظر ثانيهما وحده في المعجم ٩١/٢.

٨

الأَعْشَى مَيْمُونُ بنُ قَيْس

الأعشى ميمون بن قيس(١)

هو ميمون بن قيس بن جَنْدَل بن شراحبيل، ينتهى نسبه إلى ضبيعة بن قيس بن ثعلبة، توفي سنة ٧ للهجرة في بلدة منفوحة.

وللأعشى أخبار كثيرة ذكرها المؤرخون، وفد على رسول الله ﷺ بقصيدته المشهورة، وقد أحببت أن أذكرها في كتابنا هذا، لما فيها من مدح الرسول والحث على مكارم الأخلاق الشرعية، وهاهي ذي:

ألم تغتمض عيناك ليلة أرْمَدَا ... وبتَّ كما بات السليمُ مُسَهَّدا

وما ذاك من عِشق النساء، وإنما ... تناسَيْتَ قبل اليوم خلَّةَ مَهْدَدَا

ولكن أرى الدهر الذي هو خائن ... إذا صَلَحَتْ كفاهُ عاد فأفسدا

كهولا وشبانا فقدتُ وثروةً ... فلِلّه هذا العيشُ كيف تردَّدا

ومازلتُ أبغي المال مذ أنا ناشيء ... وليداً وكهلاً حين شبْتُ وأمردا

وأبتذل العيسَ المراقيل تفتلي ... مسافَةَ ما بين النجير فصرخدا(٢)

ألا أيهذا السائلي أيْنَ يممت ... فإن لها في أهل يثرب موعدا

فإن تَسْألَنْ عني فيارُبَّ سائل ... حَفِيٍّ عن الأعشى به حيث أوردا

أجَدَّتْ برجليها النَّجاء وجاوزت ... يداها خفافا لينا غير أجردا

وفيها إذا ما هَجَّرَتْ عجرفِيَّةٌ ... إذا خِلْت حِرْبَاء الظهيرة أصيدا

وأمَّا إذا ما أدلَجَتْ فترى لها ... رقيبين جَدْياً ما يغيب وفرقدا

---

(١) قلت انظر مصادر ترجمته في : الشعر والشعراء ٢٢٧/١: الأغاني ١٠٤/٩، معجم الشعراء ٣٢٥، سمط اللآلي ٨٣/١، شرح شواهد المغني ٢٤٠، وفي رجال المعلقات ٢٥٤ انه توفي سنة ٧ هـ.

(٢) يروى «وأبتذل العيس المراقيل تغتدى» والعيس: جميع أعيس أو عيساء، وأراد الابل، والمراقيل: جمع مرقال، وهو السريع السير.

فآليت لا أرثي لها من كَلَالة ولا من حَفَىً حتى تلاقي محمدا
متى ما تناخي عند باب ابن هاشم تُرَاحِي وتَلْقَىْ من فواضله ندى
نبي يرى مالا تَرَوْنَ وذكرُهُ أغار لَعَمْرِي في البلاد وأنجدا
له نافِلَاتٌ ما تُغِبُّ ونائل وليس عطاءُ اليوم مانعه غَدَا
أجِدَّك لم تَسْمَعْ وَصَاة محمدٍ نبي الإلٰه حيث أوصى وأشهدا
إذا أنت لم تَرْحَلْ بزاد من التقى ولَاقَيْتَ بعد الموت من قد تزودا
نَدِمْتَ على أن لا تكونَ كمثله وأنَّكَ لم تُرْصِدْ لما كان أرْصَدَا
وإياك والميتات لا تقربَنَّهَا ولا تأخُذَنْ سهما حديداً لِتَفْصِدَا
وذا النُّصُبَ المعبود لا تَنْسُكَنَّه ولا تحمد الشيطان والله فاحْمَدَا
ولا تقربَنَّ جارةً كان سِرُّها عليك حراما؛ فانكحن أو تأبدا
وذا الرحم القربى فلا تَقْطَعَنَّه لفاقته وأصْدُقْ وفكَّ المقيدا
وَسَبِّح على حين العَشِيَّاتِ والضحى ولا تعبد الأوثان والله فاعبدا
ولا تبتئس من سائل ذي ضَرورة ولا تحسبنَّ المالَ للمرء مُخْلِدَا

قال ابنُ هشام: فبلغ خبُره قريشاً، فرصَدُوه على الطريق، قالوا: هذا صَنَّاجة العرب مامَدَح أحداً إلا رفع من قدره، فلما ورد عليهم قالوا: أين تريد أبا بَصير؟ قال: أريد صاحبكم لأسلم، قالوا: إنه ينهاك عن خِلال، وكلُّها بك رافق! قال: وما هن؟ قال له أبو سفيان: الزنا، قال: لقد تركني وما تركته،وماذا؟ قال: القمار، قال: لعلي إن لقيتُه أصبتُ منه عوضاً من القمار، وماذا؟ قال: الربا، قال: مادِنْتُ قطُّ ولا ادَّنْتُ ، وماذا؟ قال: الخمر، قال: أوه، أرجِعُ إلى صُبابة قد بقيت لى بالمهراس فَأشربها، فقال أبو سفيان: هل لك في خير مما هممتَ به؟ نحن وهو الآن في هُدْنة، فتأخذ مائة من الإبل وترجع إلى بلدك سنَتَكَ هذه، وتنظر ما يصير إليه أمرنا، فإن ظهرنا عليه كنت أخذت خَلَفا، وإن ظهر علينا أتيته، قال: ما أكره ذلك، فقال أبو سفيان: يامعشر قريش، هذا الأعشى، والله لئن أتىَ محمداً واتَّبعه ليُضْرِمنّ عليكم نيرانَ العرب بشعره، فأجمعوا له مائة من الإبل، ففعلوا،

فأخذها، وانطلق إلى بلاده، فلما كان بقاع منفوحة رمى به بعيره فقتله.

هذا من أخبار الأعشى، وسنبتدىء في معلقته.

وهذه القصيدة ورد فيها موضعان: النُّجَير، وصرخد:

أما النُّجَير: فهو قَصْر في اليمن لكندة، وهو الذي تحصَّن فيه الأشعث بن قيس الكِنْدي حين حاصره جيشُ أبى بكر رضي الله عنه! **النجير**

وصرخد: قرية في الشام تنسب إليها الخمر الصرخدية. **صرخد**

والذي بين النجير وصرخد هي جزيرة العرب كلها.

أما معلقته فهذا مطلعها، وسنأتى على المواضع الواردة فيها.

١ ــ وَدِّعْ هُرَيْرَةَ إنَّ الركبَ مُرْتَحِلُ   وَهَلْ تُطيقُ وَدَاعاً أَيُّهَا الرَّجُلُ؟

غَرَّاءُ فَرْعَــاءُ مَصْقُــولٌ عَوَارِضُهــا
تَمْشِي الْهُوَيْنَا كمَا يَمْشِي الْوَجِى الْوَحِــلُ

إلى أن قال :

إذَا تَقومُ يَضُوعُ الْمِسْكُ أصْوِرَةً   وَالزَّنْبَقُ الْوَرْدُ مِنْ أَرْدَانِهَا شَمِلُ
مَارَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الحَزْن مُعْشِبَةٌ   خَضْرَاءُ جَادَ عَلَيْهَا مُسْبِلٌ هَطِلُ
يُضَاحِكُ الشَّمْسَ مِنْها نَشْرُ رَائحةٍ   مُؤَزَّرٌ بِعَمِيمِ النَّبْتِ مُكْتَهِلُ(١)
يَوْمًا بِأَطْيَب مِنْهَا نَشْرَ رَائحَةٍ   وَلَا بأَحْسَنَ مِنْها إذْ بَدَا الأَصُلُ

الحزن: قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، واستشهدنا عليه بجميع ماورد فيه، وقد أوردنا عليه بيت جرير وهو الذي ينطبق على هذا الموضع لأنه في طريق الخارج من اليمامة إلى الشام، قال جرير في عبد الملك بن مروان أو ابنه : **الحزن**

---

(١) في رواية التبريزي «يضاحك الشمس منها كوكب شرق» وكوكب كل شيء : معظمه، والمراد به هنا الزهر، وشرق: أي ريان ممتلىء.

سَارُوا إليك من السَّهبىٰ ودونهمُ فيحان فالحزن فالصمان فالوكف

وهذا أحسن دليل، وهو يقال له اليوم «الحزل».

★ ★ ★

٢ ــ وقال الأعشىٰ :

بل هَلْ ترى عارضا قد بِتُّ أرقبهُ كأنّما الْبَرْقُ فِي حَافَاتِهِ شُعَلُ

إلى أن قال :

فَقلْتُ لِلشّرْبِ في دُرْنَا وَقَدْ ثَمِلُوا شِيمُوا وكيْفَ يَشيمُ الشاربُ الثّمِلُ
قَالُوا نُمَارٌ فَبطْنُ الخَال جَادَهُما فَالْعَسْجَدِيَّـةُ فَالأَبْـلاءُ فَالرِّجَـلُ
فَالسَّفْحُ يَجْرِى فَخِنْزِيرٌ فَبُرْقَتُهُ حَتّى تَدَافَعَ مِنه الرّبْوُ فَالُحبَلُ
حَتّى تَحَمَّلَ مِنْه الماء تَكْلُفَةً رَوْضُ الْقَطا فَكثيبُ الغِينَة السِّهِلُ
يَسْقِى دِيَاراً لَهَا قَدْ أصبَحتْ غَرَضاً زُوراً تَجَانَفُ عَنْهَا الْقُودُ والرسَلُ

درنا دُرْنا: ذكروا أنها قرية باليمامة كانت تُباع فيها الخمور في الجاهلية، وكثرت الأقوال في هذا الموضع، ويُثبت أنها في اليمامة كلام الأعشى عنها، ومنه هذا البيت، ومنه قوله:

حَلّ أهْلِي مَا بَيْنَ دُرْنَا فَبَادُو لىٰ وَحَلَّتْ عُلْوِيـة بالسِّخـال

السخال السِّخال: هضبات في شمالي كشب باقية بهذا الإسم إلى هذا العهد، وهضبات في طرف الهضبة الجنوبي.

ومنها قوله وهو من أقوى الدلائل على أنها باليمامة، وهو يخاطب فيه عبد القيس القاطنين في هجر ونواحيه[1]:

---

(١) انظر معجم البلدان ٤/٥٥.

فإن تَمْنعُوا منا المشقر والصَّفا فإنا وَجَدْنا الخط جما نَخِيلُها
وإن لنا دُرْنا فكلَّ عشيَّةٍ يحط إلينا خَمْرُها وخَميلها

وثمةَّ موضع آخر يقال له دُرْنَا، وهو أول قرية من قُرَى العراق مما يلي الحِيرة كانت تبُاع فيها الخمور أيضاً، قال عميرة بن طارق اليربوعي[1]:

ألا أبلغّا أبا حمار رسالةً وخَبِّره أنّي عنكما غير غافل
رسالَةَ من لو طَاوعوه لأصبحوا كسَاة نَشَاوَى بين دُرْنَا وبابل

فهذا يدل على أن هناك قرية يقال لها درنا في جهة العراق، لأنه قَرنَها ببابل، وقال مالك بن نُوَيرة اليربوعي[1]:

فما شُكْر مَنْ أدَّى إليكم نساءكم من القوم قد يَمَّمْنَ دُرْنَا وبارقا

وقد قرن مالك بن نويرة في بيته درنا وبارقا، وبارق معلوم بهذا الاسم أنه في نواحي العراق، وهو الحد بين القادسية والبصرة، وهو من أعمال الكوفة، وقد أكثر الشعراء في ذكر بارق، قال الأسود بن يَعْفر[2].

أهْل الخَوَرْنَق والسَّدِير وبارق والقَصْر ذي الشُّرُفات من سِنْدَادِ

وقال المتنبي[3]:

تذكَّرْتُ مابين العُذَيْبِ وبارق مَجَرَّ عَوَالينا ومَجْرَى السوابق

---

(١) انظر معجم البلدان ٤/٥٥.

(٢) قلت : هو الأسود بن يَعْفر النهشلي الدارمي التميمي، أبو نهشل، وأبو الجرّاح: شاعر جاهلي، من سادات تميم. من أهل العراق. كان فصيحاً جواداً. نادم النعمان بن المنذر ولمّا أسنَّ كف بصره. ويقال له (أعشى بني نهشل) اشهر شعره داليته التي مطلعها:

نام الخلـــيَّ ومـــا أحسّ رقـــادي
والهـــمّ محـــتضر لدي وسادي

انظر الشعر والشعراء ٧٨، وطبقات ابن سلام ٣٢، وخزانة الأدب ١/١٩٥ وانظر معجم البلدان ٤/٥٥.

(٣) انظر معجم البلدان ٢/٣٢، ٣٣.

وهذه الشواهد واردة في بارق العراق، وهناك موضع آخر يقال له بارق في تهامة، بين البحر والسراة شرقي القنفدة، وهو الذي يقول فيه فِراس بن غنم المنتهي نسبُه إلى كنانة بن خزيمة[1]:

أقمنا على قيس عَشيَّةَ بارقٍ ببيضٍ حديثاتِ الصِّقال بواتك
ضَرَبناهمُ حتى تَوَلوا وخليت منازلُ حِيزَتْ يوم ذاك لمالك

فأما درنا فقد ذكرنا أنها في اليمامة، وفي العراق، وأوردنا الشواهد الواردة في ذكر الموضعين.

وأنا لا أعرفها اليوم في اليمامة بهذا الإسم، قال في معجم البلدان عن الحفصي، ورواياته عن مواضع اليمامة هي أصح الروايات، لأنه من أهلها: درنا نُخَيلات لبني قيس بن ثعلبة، بها قبر الأعشى، وذكر الهمداني أن أثافِتَ التي في اليمن كان يقال لها في الجاهلية درنا، وقد ذكر في أثافِتَ، ومنه قول آخر :

أئـن طَحَنَتْ دُرْنيـة لعيالهـا تَطَبْطَبَ ثَدْيَاهَا فطار طَحِينهَا

نمار نمار: وادٍ يشقُّ جبلَ العارض يأتي سيله من جهة الغرب، ويصب في وادي حنيفة، وهو من أودية العارض المشهورة في طرف حَجْر اليمامة، وله ذكر كثير في أشعار العرب، والمواضع المشهورة بهذا الإسم كثيرة: منها ما هو في بلاد هذيل، قال البُرَيْقُ الهذلي يخاطب تأبَّط شراً[2]:

رميتُ بثابتٍ من ذي نُمَار وأردف صاحِبَيْـــنِ له سِوَاه[3]

وفي هذا الجبل الواقع في بلاد هُذَيل قُتل تأبط شراً، فقالت أمه ترثيه :

---

(1) انظر معجم البلدان ٣٢/٢ و٣٣.
(2) انظر معجم البلدان ٣١٥/٨.
(3) ثابت : اسم تأبط شراً، وتأبط شرا : لقبه.

فتى فَهِمٍ جميعـــاً غادروه مُقيمـا بالحُـرَيضة من نُمَـار

ومن روايات معجم البلدان[1] عن الحفصي قال: نمار وادٍ لبني جُشَم أبن الحارث، وبنمار عارضٌ يقال له المكرعة، وأنشد:

وما ملك بأغْزَر منك سَيْباً ولا وادٍ بأنْزَهَ من نمَـــارِ
حلـــلت به فأشرق جانبـــاه وعـاد الليـلُ فيـه كالنَّهـــارِ

ونمار مشهور بهذا الاسم إلى هذا العهد، يصب على بلد الرياض، يشق جبلَ العارض من غربيه إلى شرقيه حتى يصب في وادي حنيفة.

الخال الخال: جبل على ماءة الدفينة في جنوبيها الغربي، إذا كنت على ماء الدفينة فهو غربي مطلع سهيل أو يطلع عليه سهيل، وهو معروف منذ العهد القديم إلى هذا العهد، قال الشاعر:

أهاجكَ بالخالِ الحمولُ الدوافعُ فأنت لمهواها من الأرض نازع

وهو باق بهذا الإسم إلى هذا العهد تعرفه عامة أهل نجد، والسالك من مكة إلى الرياض إذا نظر وهو في وادي الدفينة على يمينه رآه قريباً منه.

العسجدية العسجدية: قالوا إنه سوق يكون فيه العَسْجد، قال في معجم البلدان عن الحفصي[2]: العسجدية التي عناها الأعشى بقوله هي ماء لبني سعد، وأنا أظن أن الذي عناه الأعشى جبالٌ بكشب يقال لها اليوم العسلجية، واحدها عسلج، وكان واحدها في الجاهلية يسمى عسجداً، قال رزاح بن ربيعة العذري :

فلمـا مررن علـى عَسْجَـــدٍ وأسهلن من مستنـاخ سبيـلا

---

(١) انظره ٣١٦/٨.
(٢) انظر معجم البلدان ١٧٢/٦.

ومما يدل على أن العسلجيات التي في كشب هي العسجدية التي ذكرها الأعشى أنك تجده قَرَنها بالخال وجبال الأبلاء، والعسلجيات اليوم واقعة بينهما، قال شاعر حديث يقال له مخلد القَثَامي من قصيدة له نبطية

لي صاحب في سد هاك المراقيب　　عسلج وضلع هدان وأكباد وأنياب

الأبلاء: قد مضى الكلام عليها وذكرنا ما يتعلق بها في معلقة الحارث ابن حِلِّزة عند قوله:

فرياض القَطَا فأودية الشر　　بب فالشعبتان فالأبلاء

الرجل

أما الرِّجَل: فهي كثيرة في بلاد العرب، وأشهرها رجلتا وادي الرمة: إحداهما تصب في شماليه، والأخرى تصب في جنوبيه قريب أبانين، ورجلتا وادي الرشا: إحداهما تصب من الأسودة مما يلي كويكب، ويقال لتلك الرجلة رجلة كويكب، والأخرى تصب مما يلي جبل أبي دخن الذي يقطعه طريقُ مكة إلى الرياض قسمين، وهو جبل أسود متصل به جبيلات سود متصل بعضها ببعض ليست بالكثيرة، ويقال لتلك الرجلة رجلة أبى دخن، ووادي الرمادية يعد رجلتين؛ لأن أعلاه ينقسم قسمين، والرجل كثيرة في بلاد العرب، قال المثقب العبدى:

مررن على شراف فذات رجل　　ونكبن الذرانح باليمين

وشراف: موضع في شرقي نجد، يعنى بهذه الرجلة إحدى رجلتي وادي الرشا.

السفح

السفح: موضع يذكر في مواضع اليمامة، وهو في الأصل : اسم عام لسفح كل جبل يسفح معه الماء، وأما السفح الذي في اليمامة فيقال له «سفح أكلب» وقد ذكر في أخبار طسم وجديس، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد.

برقة خنزير

خنزير وبرقته: خنزير جبل معروف متاخم لماءة الصخة[1] المعروفة في عالية نجد، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يعرفه جميعُ أهل نجد، منظَره بين الحمرة والسواد ليس بالرفيع يقع جنوبي ماءة الصخة، على مسافة أقل من نصف يوم، وبلغني أن باليمامة موضعاً يقال له «أنف خنزير[2]» واقع بين خشم العان والسلى فيه أبارق، وهو باق بهذا الإسم إلى هذا العهد.

الحبل

والحبل هي الأكثبة، كل كثيب يقال له الحبل عند عامة العرب.

روض القطا

روض القطا: قد أطلنا الكلام عليه في معلقة الحارث، واستشهدنا بهذا البيت، وذكرنا رياض القطا، وأن منها روضة التنهاة، وروضة خريم، وروضة نورة، واستدللنا بدلائل واضحة على تلك المواضع: منها ما ورد في قصيدة صفية بنت خالد المازنية حين قالت:

لأبصر وَهْنــاً نار تنهــاة أوقــدت
بروض القطــا والــهضب هضب التنــاضب

وليس ثمة دليل أوضح من هذا.

كثيب الغينة

كثيب الغينة: هو نفيد بنبان، والغينة هي بلد غيانة الواقعة في أسفل وادي أبى قتادة، والكثيب غالباً يطلق على كل ما تراكم وارتفع من الرمال، ولا يختص فيكون موضعاً بعينه، وثمة موضع يقال له «كتاب» في أعلى

---

(١) عند هذه الماءة كثيب مرتكم يقال له الحنان، وقد سالت البوادي والحضر عن هذا الاسم فقالوا: إن له حنيناً كحنين الإبل ليلا ونهاراً، فقلت: ماالسبب؟ قالوا: إنه رمال يتهايل. لايمسكُ بعضه بعضاً، ويكون له أصوات، فسمى الحنان، ولهذا الكثيب ذكر في معجم البلدان ماأحببت أن أورده لأنه ذكر عنه شيئاً لايتصوره العقل.

(٢) قال الهمداني في كتابه «صفة جزيرة العرب»: إن باليمامة جبلا يقال له خنزير يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال، وفي طرفه الشمالي ماء يقال له «هيت» وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد.

نجد، قال الحصين بن عمرو الأحمسي:

ألا هل أتى أهل العراق وبيشة ... ومَنْ حل أكناف الكثاب وتنضبا
بأنا كفينا يوم سارت بجمعها ... سليم إلينا ثم من قد تغَيَّبا

★ ★ ★

٣ ـــ وقال الأعشى :

كلَّا زَعَمْتُمْ بِأنَّا لَا نُقَاتِلُكُمْ ... إنَّا لأمْثَالِكُمْ يَا قَوْمَنَا قُتُـلُ
نَحْنُ الْفَوَارِسُ يَوْمَ الْحِنْوِ ضَاحَية ... جَنْبَىْ قُطَيْمَةَ لَا ميلٌ وَلَا عُزُلُ
قَالُوا الطِّعَانُ فَقُلْنَا تِلْكَ عَادَتُنَا ... أوْ تَنْزلُونَ فَإنَّـا مَعْشَرٌ نُزُلُ

الحنو

الحنو: به يومان من أيام العرب، وهذا اللفظ يطلق على موضعين: أحدهما حنو قراقر، والآخر حنو ذي قار. والحنو الذي يفتخر به الأعشى ويذكره في قصائده حنو ذي قار، وهو يوم عظيم هزم فيه العربُ الفرس، وهو لربيعة خاصة من دون العرب، وكانت الرياسة في ذلك اليوم لبني شيبان، وفي هذا اليوم قال رسول الله ﷺ: «هذا أول يوم انتصرت فيه العربُ على العجم، وبى نصروا» قال الأعشى في ذلك اليوم في قصيدة له[1] :

فدًى لبني ذُهْلِ بن شَيبان ناقتى ... وراكِبُهَـا يوم اللقـاء، وقَـلَّتِ
كَفَوْا إذ أتى الهامرز تَخْفِقُ فوقه ... كظل العقاب إذ هوت وتدلَّتِ
أذاقوهمُ كأسا من الموت مُرَّةً ... وقد بذخت فرسانهم وأذلتِ
فصبَّحهم بالحنِو حنوِ قراقـر ... وذي قارها منها الجنود فعلَّتِ
على كل محبوك السَّرَاة كأنه ... عُقَاب سرت من مرقب إذ تدلتِ
فجادت على الهامرز وسط بيوتهم ... شآبيبُ موتِ أسبلت فاستهلَّتِ
تناهَت بنو الأحزاب إذ صبرت لهم ... فوارسُ من شَيْبان غُلْبٌ فولَّتِ

(١) انظر معجم البلدان ٣/٣٥٢ وفيه أن حنو قراقر وحنو ذي قار واحد.

وذو قار موجود بهذا الاسم إلى هذا العهد بين العراق وحدود الشام التي تلي العراق.

انتهت معلقة الأعشى، وألفاظها عذبة، ومعانيها واضحة، وهو من أشعر أهل زمانه. قال صاحب الأغاني: أخبرني أبو حسن الأسدى قال: حدثنا علي بن سليمان النوفلي، قال: أتيت اليمامة فمررت بمنفوحة التي يقول فيها الأعشى.

* **بسفح منفوحة فالحاجر** *

فقلت: هذه قرية الأعشى؟ قالوا: نعم، قلت: أين منزله؟ قالوا: ذاك، وأشاروا إليه، قلت: وأين قبره؟ قالوا: بفناء بيته.

والشطر المذكور من قصيدته التي أولها :

شاقتك من قيلة أوطانُهَا بالشَّط فالوتر إلى الحاجر
فركن مهراس إلى مارد فقاع منفوحة فالحائر

وجميع هذه الأمكنة التي ذكرها في هذين البيتين باقية.

منفوحة — أما منفوحة فهي باقية إلى هذا اليوم بهذا الاسم، قال في معجم البلدان: على شط اليمامة قرية في حَجْر اليمامة قبلتها بين الوتر والعرض قد اكتنفها حَجْر اليمامة، ويظهر لي من هذا التحديد أن هذه القرية لا تبعد عن موضع الشمسية اليوم، وشط الوتر: باليمامة، كان ينزله عبيد بن ثعلبة، وهو حصن عتيق من بناء جديس تحصن فيه عبيد بن ثعلبة حين خط حَجْرا.

الشط — وقال أيضاً عن الحفصي: شط فيروز فيه نخيل ومحارث لبني العنبر باليمامة، والمواضع المسماة بشط كثيرة في بلاد العرب وغيرها، ولا أعلم أهذا الإسم باقٍ في اليمامة أم تغير.

الوتر — والوتر: وادٍ من أودية اليمامة يصب في وادي حنيفة، يأتي سيله من

جهة القطب الشمالي، وهو معروف عند أهل الرياض اليوم باسم أبي رفيع، أو وادي البطحاء، أحد الواديين هو الوتر، قال الحفصي في رواياته عن اليمامة: ووتر نخيلات من نواحي اليمامة، وأنشد:

وفتيان غير يذودها عن زُغَرِيٍّ بِوَتر صفائح الهند

والمواضع التي تسمى بهذا الإسم كثيرة جداً، منها ماهو مثنى، ومنها ماهو على فعيل كقتيل وجريح؛ فالوتران ــ بالتثنية ــ موضع في بلاد هُذَيل، قال أبو جندب[1] الهذلي:

فلا والله أقْرَبُ بطن ضيم ولا الوتَرَين مانطَقَ الحَمَامُ
رأيتهما إذا خلصا أكبَّا على البَيْتِ المجاور والحرام

وقال أبو بثينة الباهلي:

جلبناهُمْ على الوَتَرَيْنِ شدا على أستاههم وشَلٌ غزير

قصده في هذا البيت أنهم بالوا على أنفسهم، والوتير: ماءة لخُزَاعة في أسفل مكة، قال عمرو بن سالم الخزاعى يخاطب رسول الله ﷺ:

يارَبِّ إنِّى ناشدٌ محمدَا حلفَ أبيه وأبينا الأتلدَا
فانصر هَدَاك الله نصرا أعْتَدَا إن قريشا أخلَفُوكَ الموعدا
ونَقَضُوا ميثاقَكَ المؤكدا وزَعَموا أنْ لست أدعو أحدا
وهم أذلُّ وأقلّ عددا هم بَيَّتونا بالوَتِير هجدا

*** وقتلونا ركعاً وسجدا ***

وكان رسول الله ﷺ لما صالح قريشا عام الحُديبية أدخل خُزَاعة في حلْفه، ودخلت كنانة في حلف قريش، فبغت كنانة على خُزَاعة،

(١) انظر شواهد هذا والذي بعده في معجم البلدان ٣٩٨/٨.

وساعدتها قريش، وكان ذلك سبب نقض الصلح وفتح مكة، وكانت الوقعة بين كنانة وخزاعة سنة سبع من الهجرة، فقال بُدَيل بن عبد مناة:

تعاقد قوم يفخرون ولم تدع لهم سيدا يندوهم غير نافِلِ
أمن خيفة القوم الأولى تزدريهمُ تجيزُ الوتير خائفا غير آيل

وقال أبو سَهْم الهذلى :

ولم يدعوا بين عرض الوتير وبيـن المنـاقب إلا الذئابـا

وقالوا في تفسيره: الوتير ما بين عرفة إلى أدام، وأدام: موضع معروف بتهامة اليوم، وقال أهبان بن لَغَط بن عُرْوة بن صخر بن يعمر بن نفاثة بن عديِّ بن الدئل، من كنانة:

ألا أبلغ لديك بنـي قرَيْـم مُغَلغلـة يجـيء بهـا الخَبِيـرُ
فَرُدُّوه المـوالـي ثم حُلــوا مرابعَكـم إذا مُطـر الوَتِيـرُ

مارد والحائر

وأما مارد فله ذكر في أشعار الأعشى، وأنا لا أعرفه بهذا الإسم في هذا العهد، وأما الحائر فهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد بين منفوحة وبلد الخَرْج، عامر فيه نخيل وسكان، يمر به السالك من الخرج إلى ضَرَمَى. والحاجر الذي ذكر في هذه الأبيات في اليمامة، ولست أعرفه بهذا الاسم اليوم.

انتهينا من معلقة الأعشى ميمون بن قيس

٩

النَّابِغَةُ الذُّبْيَانِيُّ

النابغة الذبياني[١]

واسمه زياد بن مُعَاوية، ينتهي نسبه إلى ذُبْيَان بن رَيْث بن غَطَفَان بن قَيْس عَيْلان وكنيته أبو أمامة. توفي سنة ١٨ قبل هجرة النبي ﷺ.

وهذا مطلع المعلقة[٢]:

١ ــ يَا دَارَمَيَّةَ، بالْعَلْيَاءِ، فالسَّنَد أقْوَتْ، وَطَالَ، عَلَيْها، سَالفُ الْأَبَدِ

العلياء العلياء تطلق على كل أرض مرتفعة، وليست موضعا معينا، كقول زهير:

*** تحملن بالعلياء من فوق جرثم ***

السند السند[٣]: قال في معجم البلدان: هو ماقابلك من الجبل، وعلا من السفح، ولايزال أهل نجد يطلقون على كل مرتفع سنداء، ولست أعلم موضعاً يقال له اليوم العلياء، ولا موضعاً يقال له اليوم : السند، إلا موضعاً واحداً يقال لها «سنيد» على صيغة التصغير، وهو الطريق الذي يسلك من عُشَيرة إلى نجد الذي فيه خيام أهل المركز اليوم، وهو ثنية الحريرة الواقعة على ضفة وادي العقيق الجنوبية النافذة من ماء عُشَيرة. يقال لتلك الثنية سُنَيد إلى هذا العهد.

---

(١) قلت انظر ترجمته في: الشعر والشعراء ١٥٧/١، الأغاني ٣/١١، سمط اللآلي ٧٩/١ شرح شواهد المغنى ٧٨/١، الخزانة ٢٨٧/١ وفي رجال المعلقات ٢٧٢ أنه توفي سنة ١٨ ق. هـ.

(٢) قلت : قد جعل القرشي في الجمهرة ٤١٧ من المعلقات قصيدته التي مطلعها.

عوجوا فحيوا لنعم دمنة الدار
ماذا تحيون من نؤي وأحجار

(٣) قال البكرى : قد حدده الأحوص في قوله :

غشيت الدار بالسند * دوين الشعب في أحد (ج ٣ ص ٧٦١) مصنف.

٢ ــ وقال النابغة يصف راحلته

فَعَدِّ عمَّا تَرَى إذْ لَا آرْتِجَاعَ لَهُ ... وَانْمِ الْقُتُودَ عَلَى عَيْرَانَةٍ أُجُدِ
مَحْفُوفَةٍ بِدَخِيسِ النَّحْضِ، بَازِلُهَا ... لَهُ صَرِيفٌ، صَرِيفَ الْقَعْوِ، بِالْمَسَدِ
كأنَّ رَحْلِي، وَقَدْ زَالَ النَّهَارُ، بنَا ... يَوْمَ الْجَلِيلِ، عَلَى مُسْتأنِسٍ، وَحَدِ
مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ، مَوْشِيٍّ أَكَارِعُهُ ... طَاوِي الْمصَيرِ، كَسَيْفِ الصَّيْقَلِ، الْفَرَدِ
فَارتَاعَ، مِنْ صَوْتِ كلَّابٍ، فَبَاتَ لَهُ ... طَوْعَ الشَّوَامِتِ، منْ خَوْفٍ، وَمِنْ صردِ

قلت : والرواية المشهورة في البيت الثاني «مقذوفة» لا (مَحْفُوفَة).

الجليل الجليل: هو في اللغة الثمام، ويطلق هذا الاسم على وادٍ من أودية الطائف يقال له «جليل» وهو الذي عناه النابغة، وهو واقع جنوبى الطائف، يبعد عنه مسافة أقل من نصف يوم، وهو معلوم، عند عامة العرب بهذا الاسم في الجاهلية والإسلام، ويحتمل أن النابغة أراد بالجليل الجبل الذي في الشام، وذلك أنه حين غضب عليه النعمان بن المنذر اللَّخْمِي التجأ إلى ملوك غَسَّان وكانوا مقيمين بالشام وفي سواحل جبل يقال له «الجليل» ممتد إلى قرب حمص، وقد كان معاوية ابن أبي سفيان يحبس في موضع من هذا الجبل مَنْ يظفر به ممن اتهم بالاشتراك في مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه، ومنهم محمد بن أبي حذيفة، وكريب بن أبرهة، وهناك قتل عبد الرحمن بن عديس التجيبي، قتله بعض الأعراب لما اعترف عنده بقتل عثمان، قال ياقوت(١):

وعبد الرحمن بن عديس التجيبي هو الذي يقول لما خرج من مصر

---

(١) انظر معجم البلدان ١٣١/٣ وليس فيه الرجز ذكره ابن جرير في تاريخه ج ٥ ص ١١٥ وهذا الرجز :

أقبلنا من بلبيس والصعيد ... خوصا كأمثال القسى قود
مستحقبات حلق الحديد ... يطلبن حق الله في الوليد
وعند عثمان وفي سعيد ... يارب فارجعنا بما نريد (المصنف)

مع الثُّوار الذين كانوا يريدون قتل عثمان، وهو من رؤسائهم، قال وهو في طريقه:

أقبلن من بلبيس والصَّعِيدِ مستحقبات حلَقَ الحديد
يطلبن حق الله في الوليد وعند عثمان وفي سعيد

الوليد: هو الوليد بن عقبة بن أبي مُعَيط أخو عثمان بن عفان لأمه، أمهما أرْوَى، وسعيد: هو سعيد بن العاص الذي استعمله معاوية بن أبي سفيان في خلافته على المدينة، قال ابن الفقيه: وكان منزل نوح عليه السلام في جبل الجليل بالقرب من حمص في قرية تدعى سحر، وذكروا أن هذا الجبل الذي يسمى الجليل دعا له عيسىٰ ابن مريم عليه الصلاة والسلام ألا يَعْدُو سبعُه، ولا يجدب زرعه، وهو جبل يمتد من الجنوب إلى جهة الشمال، فما كان بفلسطين منه يقال له «جبل الحمل» وما كان بالأردن فهو جبل الجليل، وما كان بدمشق فهو لبنان، وما كان منه بحمص فهو سنير، وقد قال أبو قيس بن الأسلت في ذلك[(١)]:

فلولا ربُّنا كنا يهودا وما دين اليهود بذى شكول
ولولا ربُّنا كنا نصارى مع الرهبان في جبل الجليل
ولكنا خُلقنا إذ خُلقنا حنيفٌ ديننا عن كل جيلِ

وقال الحافظ أبو القاسم الدمشقي: واصل بنُ جميل أبو بكر السلاماني، من بنى سلامان، الجليلى، من جبل الجليل من أعمال صيدا وبيروت من ساحل دمشق، حدث عن مجاهد ومكحول وعطاء وطاوس والحسن البصري، روى عنه الأوزاعي وعمر بن موسى بن وجيه الوجيهي، وقال يحيى بن معين: واصل بن جميل مستقيم الحديث، ولما هرب الأوزاعي من عبدالله بن على بن عبدالله بن العباس اختبأ عنده، وكان

---

(١) انظر معجم البلدان ١٣٢/٣.

الأوزاعي يحمد ضيافته ويقول: ماتهنأت بضيافة أحد مثل ماتهنأت بضيافتي عنده. وكان خَبَّأني في هُرْى العدس؛ فإذا كان العشاء جاءت الجارية فأخذت العدس فطبخت ثم جاءتني، فكان لايتكلف، فتهنأت بضيافته. واستشهد صاحب معجم البلدان على وادي الجليل الذي بالطائف ببيت النابغة هذا.

وقال أيضاً في معجم البلدان(١): وذو الجليل: وادٍ بقرب أجأ. والجليل الذي نعرفه بهذا الاسم إلى هذا اليوم هو الوادي القريبُ من الطائف ويعد من أوديته.

وجرة — وأما وجرة فقد مضى الكلام عليها في شعر زهير. وقد أوضحناها هناك. يَقْسِمُهَا اليوم طريقُ المهد السالكُ من عشيرة إلى المهد نصفين: من عشيرة حتى يقرب المهد كلها يطلق عليها وَجْرة. وهي ركبة الشمالية. وقد أوردنا الشواهد الواردة في ذكرها. ومن ذلك قول أعرابي.

وفي الجيرة الغادين من بطن وجرة ... غَزَال أحمُّ المقلتين ربيب
فلا تحسبى أن الغريب الذي نأى ... ولكن من تنأين عنه غريب

* * *

٣ ـ وقال النابغة :

وَلَا أَرَى فَاعِلًا فِي النَّاس يُشْبِهُهُ ... وَلَا أُحَاشِي مِنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدِ
إلّا سُلَيْمَانَ إذْ قَالَ الْإِله له: ... قُمْ فِي الْبَرِيَّةِ وَاحْدُدْهَا عَنِ الْفَنَدِ
وَخَيِّسِ الْجِنَّ إنِّي قَدْ أذِنْتُ لَهُمْ ... يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالصُّفَّاحِ وَالْعَمَدِ

تدمر — أما مدينة تَدْمُر فإنى أحببت أن أذكر عبارة صاحب معجم البلدان

---

(١) انظر معجم البلدان ١٣٢/٣.

برمتها، قال: مدينة[1] قديمة مشهورة في بريَّة الشام، بينها وبين حلب خمسة أيام، قال بطليموس: مدينة تَدْمُر طولهُا إحدى وسبعون درجة وثلاثون دقيقة، داخلها في الإقليم الرابع، بيت حياتها السماك الأعزل، تسع درجات من الجدى، بيت ملكها مثلُها من الْحَمَل، عاقبتها مثلها من الميزان، وقال صاحب الزيج: طول تَدْمُر ٦٣ درجة وربع، وعرضها ٣٤ درجة وثلثان، قال: سُمِّيَتْ بتَدْمُر بنت حسان بن أذينة بن الْسَّمَيْدَعْ بن مزيد بن عمليق بن لاوذ بن سام بن نوح عليه السلام، وهي من عجائب الأبنية موضوعة على العُمُد الرخام، زعم قوم أنها مما بَنَتْه الجنُّ لسليمان عليه السلام، وذكر الشاهد على ذلك وهو بيت النابغة هذا، وأهل تُدْمُر يزعمون أن ذلك البناء قبل سليمان بن داود عليهما السلام بأكثر مما بيننا وبين سليمان، ولكن الناس إذا رأوا بناء عجيباً جهلوا بانيه أضافوه إلى سليمان وإلى الجن، وعن إسماعيل بن محمد بن خالد بن عبد الله القَسْرى قال:

كنت مع مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية حين هدم حائط تَدْمُر، وكانوا خالفوا عليه، فقتلهم، وفرق الخيل عليهم تدوسُهم وهم قتلى فطارت لحومهم وعظامهم في سَنَابك الخيل، وهدم حائط المدينة، فأفضى به الهدم إلى جرف عظيم، فكشَفُوا عنه صخرة فإذا بيت مُجَصَّص كأن اليد رُفِعَتْ عنه تلك الساعة، وإذا فيه سرير عليه امرأة مستلقية على ظهرها، وعليها سبعون حلة، وإذا لها سبع غدائر مشدودة بخلخالها، قال: فذرعت قدمها، فإذا هي ذراع من غير الأصابع، وإذا في بعض غدائرها صحيفة ذهب فيها مكتوب: باسمك اللهم، أنا تَدْمُر بنت حسان، أَدْخَلَ اللهُ الذلَّ على من يدخل بيتي هذا، فأمر مروان بالجرف فأعيد كما كان، ولم يأخذ مما كان عليها من الحلىٰ شيئاً، قال: فوالله ما مكثنا على ذلك إلا أياماً

(١) انظر معجم ياقوت ٣٦٩/٢.

حتى أقبل عبدُ الله بن علي فقتل مروان، وفرق جيشه واستباحه، وأزال الملك عنه وعن أهل بيته، وكان من جملة التصاوير التي بِتَدْمُر صورة جاريتين من حجارة من بقية صُوَر كانت هناك، فمر بها أوس بن ثعلبة التميمي صاحب قصر أوس الذي في البصرة، فنظر إلى الصورتين، فاستحسنهما، فقال:

فَتَاتَىْ أهل تَدْمُر خَبِّرَانِي ... أَلَمَّا تسأما طولَ القيامِ
قيامكما على غير الحشايا ... على جبل أصَمَّ من الرخام
فكم قد مر من عدد الليالي ... لعصركما، وعام بعد عام
وإنكما على مر الليالي ... لأَبقى من فروع ابنَىْ شمام
فإن أهلك فَرُبَّ مُسَوَّمات ... ضوامر تحت فتيان كرام
فرائصها من الإقدام نزع ... وفي أرساغها قطع الخدام
هبطن بهنَّ مجهولا مخوفا ... قليل الماء مَصْغَرَّ الجمام
فلما أن رَوِيَن صَدَرْنَ عنه ... وجئن فروع كاسية العظام

قال المدائني: فقدم أوس بن ثعلبة على يزيد بن معاوية فأنشده هذه الأبيات، فقال يزيد: لله درُّ أهل العراق، هاتان الصورتان فيكم ياأهل الشام لم يذكرهما أحد منكم، فمر بهما هذا العراقى مرة فقال ماقال، ويروى عن الحسن بن أبي سرح عن أبيه قال: دخلت مع أبى دُلَف إلى الشام، فلما دخلنا تَدْمُر وقف على هاتين الصورتين؛ فأخبرته بخبر أوس بن ثعلبة، وأنشدته شعره فيهما؛ فأطرق قليلاً ثم أنشد:

ماصورتان بِتَدْمُر قد راعتا ... أهل الحِجَىٰ وجماعةَ العشاق
غَبَرا على طول الزمان وَمُرِّهِ ... لم يسأما من ألْفَةٍ وعناق
فَلْيَرْمِيَنَّ الدهرُ من نكباته ... شخصيهما منه بسهم فراق
ولَيُبْلِيَنَّهما الزمان بِكَرَّةٍ ... وتعاقب الإظلام والإشراق
كي يعلم العلماء أنْ لا خالِدُ ... غير الإلٰه الواحِد الخلاق

وقال محمد بن الحاجب يذكرهما :

أتَدْمُر صورتاك هما لقلبي غرام ليس يشبهه غرام
أفكر فيكما فيطير نومي إذا أخذت مَضَاجِعَها النيامُ
أقول من التعجبُ : أي شيءٍ أقامهما فقد طال القيام؟
أمُلِّكتا قيام الدهر طبعا فذلك ليس يملكه الأنامُ
كأنهما مَعاً قِرْنان قاما ألَجَّهما لَدَى قاض خصام
يمر الدهر يوم بعد يوم ويمضى عامه يتلوه عام
ومكثهما يزيدهما جمالا جمال الدر زَيَّنَهُ النظام
وما تعدوهما بكتاب دهر سجيته اصْطِلام واخترام

وقال أبو الحسن العجلى فيهما :

أرى بِتَدْمُرَ تمثالين زانهما تأنق الصانع المستغرق الفَطِن
هما اللتان يروق العين حسنهما يستعطفان قلوبَ الخلق بالفتن

وفتحت تَدْمُر صلحا. وذاك أن خالد بن الوليد ـــ رضي الله عنه! ـــ مر بهم في طريقه من العراق إلى الشام، فتحصنوا منه، فأحاط بهم من كل وجه، فلم يقدر عليهم، فلما أعجزه ذلك وأعجله الرحيل قال: ياأهل تَدْمُر، والله لو كنتم في السحاب لاستنزلناكم ولأظهرنا الله عليكم، ولئن أنتم لم تصالحوا لأرجعن إليكم إذا انصرفت من وجهي هذا، ثم لأدخلن مدينتكم حتى أقتل مقاتليكم وأسبي ذراريكم. فلما ارتحل عنهم بعثوا إليه وصالحوه على ما أدوه له ورضي به. وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد. ولكن خرابها كثير لطول تداول السنين بها وهي واقعة بين دمشق وحلب، بينها وبين حلب مسافة خمسة أيام(١).

---

(١) قلت: وهي حالياً تابعة لمحافظة حمص السورية، وقد بدأت تزدهر لمرور الطريق الدّولي بين دمشق والجزيرة الفراتيه بها.

٤ ــ وقال النابغة :

الْوَاهِبُ الْمِئَةَ الْأَبْكَارَ زَيَّنَهَا سَعْدَانُ تُوضِحَ فِي أَوْبَارِهَا اللِّبَدُ[١]
وَالسَّاجِبَاتِ ذُيُولَ الْمِرْطِ فَنَقَهَا بَرْدُ الْهَوَاجِرِ كَالْغِزْلَانِ بِالْجَرَدِ

توضح — توضح: موضع معروف بنبات السَّعْدَان. وهو واقع بين جبل الهضب وجبل الحمل. وقد مضى الكلام عليه في معلقة امريء القيس. والعرب تستمرىء نبات السعدان لرعي الإبل. وفي المثل «ماء ولا كصداء، ومرعى ولا كالسعدان» وهو نبات معروف عند عامة أهل نجد.

الجرد — أما الجرد فهو عند أهل نجد القطعة من الرمال الصغار يكون منظرها أسود سهلة المرتَقى، ولا أعلم موضعاً معيناً يقال له الجرد، إلا موضعاً جنوبي سامودة، والموضع المذكور يقطعه السالك من الطائف إلى تربة، يقال له الجرد، وأما قول النابغة «كالغزلان بالجرد» فهو يقصد الجرد بالمعنى الأول إذا رأيتها ظننت أنها حزون، وهي نوع من الرمال على ماذكرنا.

* * *

٥ ــ وقال النابغة :

وَاحْكُمْ كَحُكْمِ فَتَاةِ الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ إِلَى حَمَامٍ، سِرَاعٍ، وَارِدِ الثَّمَدِ
يَحُفُّهُ جَانِبَا نِيقٍ، وَيَتْبَعُهُ مِثْلُ الزُّجَاجَةِ لَمْ تُكْحَلْ مِنَ الرَّمَدِ

---

(١) في هذا البيت ــ على هذه الرواية ــ الاقواء، وكان النابغة يقوى في شعره، ويروى :
* في الأوبــــار ذي اللبــــد *
قلت: المراد بقوله: المؤمن الله سبحانه وتعالىٰ، فهو يؤمن الطير بتحريم صيدها.

قَالَتْ أَلَا، لَيْتَمَا هٰذَا الحَمَامَ لَنَا إِلَي حَمَامَتِنَا، أَوْ نِصْفَه، فَقَدِ
فَحَسَبُوهُ، فَأَلْفَوْهُ كَمَا زَعَمَتْ: ستا وستينَ لَمْ تَنْقُصْ وَلَمْ تَزِدِ

قلت: الرواية المشهورة لهذا البيت الشطر الثاني فيها. تسعاً وتسعين لم تنقص ولم تزدِ.

فَلَا لعَمْر الذي مَسَّحْتُ، كَعْبَتُه وَمَا هُرِيقَ، على الْأَنْصَابِ مِنْ جَسَدِ
وَالْمُؤمِنِ الْعَائِذَاتِ، الطَّيْرَ تَمْسَحُهُ رُكْبَانُ مَكَّةَ، بَيْنَ الْغِيْلِ وَالسَّعَدِ[1]

التمد — الثمد: يطلق على كل ماء قليل على ظهر الأرض يَرِدُه القطا. وهناك ماءة معينة معروفة يقال لها «الثميد» بالتصغير، وهو الماء الذي تستقى منه بلد بريدة وتستعذبه على جميع المياه الواقعة قريباً منها.

أما «جانبانيق» فليسا موضعاً معلوماً. بل أراد جانبى جبلين رفيعين سلك الحمام من بينهما.

والنيق: الجبل الشاهق.

الكعبة تكفى شهرتها عن ذكرها.

الغيل — أما الغيل فثمة موضع بهذا الإسم واقع في جبل العارض في جنوبي الأفلاج. وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا. وهناك موضع كان يسمى الغيل في الزمن القديم في بطن وادي يلملم الذي يصب في تهامة من أعلى وادي المحرم، ويتجه مغرباً حتى يصب في البحر. وفي بطن هذا الوادي ماءة السعدية المعروفة بهذا الاسم في هذا العهد. وهذا الوادي هو ميقات أهل اليمن. وهو الذي يقول فيه أبو دهبل الجمحي :

خرجت بها من بطن مكة بعدما أصاح المنادي للصلاة فأعتما
فما نام من راعٍ ولا ارتدَّ سامرٌ من الحي حتى جاوزَتْ بي يَلَمْلَمَا

---

(١) قلت: المراد بقوله: المؤمن الله سبحانه وتعالى، فهو يؤمن الطير، بتحريم صيدها.

قال في معجم البلدان[1]: وفيه مسجد لمعاذ بن جبل. فأما أنا فوردت تلك الماءة ماءة السعدية وهي الميقات، فلم أر فيها مسجداً. والغيل الذي يقع في صدر يلملم في قول ذؤيب بن بوية بن لأي:

لعمري لقد أبكت قريم وأوجعوا — بجزعة بطن الغيل من كان باكيا

وجزعة باقٍ بهذا الإسم إلى هذا العهد بين ماءة السعدية وجبال وادي المحرم.

سعد — والمواضعِ التي يطلق عليها سُعْد ـــ بسكون العين ـــ كثيرة. قال ياقوت[2]: والسُّعْد: ماءة وقرية ونخل غربى اليمامة. قال أبو زياد: سُعْد ماءة وقرية ونخل من جانب اليمامة الغربي بقرقرى، وقد ذكره الشعراء؛ فقال الصِّمَّة بن عبد الله القُشَيرى وقد فارق أهله وافترض في الجند:

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً — بِسُعْدٍ ولما تَحُلُ من أهلها سُعْدُ
وهل أقبلَنَّ النجدَ أعناق أيْنُق — وقد سار مُسْياً ثم صَبَّحها النجد
وهل أخبطن القوم والريحُ طَلَّة — فروعَ ألاءٍ حفهُ عَقَد جعد
وكنت أرى نجدا وريًّا من الهوىٰ — فما من هوَايَ اليوم ريًّا ولا نجدُ
فدعنيَ من ريًّا ونجد كليهما — ولكنني غادٍ إذا ماغدا الجند

وقال جرير :

ألا حي الديار بِسُعْدَ إنِّى — أحب لحب فاطمة الديارا
إذا ما حل أهلك ياسليمىٰ — بدارة صُلْصُل شَحَطوا مَزارا
أراد الظاعنون ليحزنوني — فهاجوا صدع قلبي فاستطارا

وسَعْد أيضاً: موضع قريب من المدينة، كانت غزوة ذات الرقاع التي

---

(١) انظر معجم البلدان ٨/٥١٤.
(٢) انظر معجم البلدان ٥/٨٣.

غزاها رسول الله ﷺ قريباً منه، وهناك موضع يقال له «سعد» على طريق السالك من فَيْدَ إلى المدينة، قال فيه نصيب :

وهل مثل أيام بنعف سويقة عوائد أيام كما كنَّ بالسعد
تمنيت أنّا من أولئك، والمنىٰ على عهد عادٍ لا تُعيد ولا تبدى

ودير سعد: بين بلاد غطفان والشام، وحمام سعد: في طريق حاج الكوفة، ومسجد سعد على ستة أميال من الزبيدية بين القرعاء والمغيثة في طريق حاج الكوفة، فيه بركة، أما القرعاء فهي موجودة بهذا الإسم إلى هذا العهد من قرى الجِوَاءِ، يقال لها القرعى، وهذا المسجد ينسب إلى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، قال ابن الكلبى: وكان لمالك وملكان ابني كنانة بساحل جدة وبتلك النواحي صنم يقال له سعد، وكان صخرة طويلة، فأقبل رجل منهم بإبل له ليقفها عليه، يتبرك بذلك فيها، فلما أدناها منه نفرت منه، فذهبت في كل وجه وتفرقت عنه، فأسف صاحب الإبل، فتناول حجراً، فرماه به وقال: لابارك الله فيك إلٰهاً! أنفرت عليَّ إبلي، ثم انصرف عنه وهو يقول :

أتينا إلى سعد(١) ليَجْمَعَ شملنا فشتَّتنا سعدُ فما نحن من سعد
وما سعد إلا صخرة بتَنُوفَة من الأرض لايدعى لغى ولا رشد

فأما الموضعان اللذان ذكرهما النابغة بقوله «بين الغيل والسعد» فالغيل ماء إذا كثرت السيول يصب من الجبل الذي يدعى اليوم جبل الرخم، وهو مُتَاخم للجبل المسمى اليوم «جبل النور».

---

(١) وفي معجم البكرى ج ٣ ص ٧٣٨: وهناك موضع يقال له «سعد» غير هذا، واقع في بلاد غطفان، وهو الذي يقول فيه كعب بن زهير :

جعـــل السعـــد والقنـــان يمينـــا
والمـــروراة شامـــة وحفيـــرا (المصنـــف)

وأما السعد ــ بفتح العين ــ فهو ماءة تصب من جبل أبي قُبيْس، معروفة عند جميع العرب بهذا الاسم، ولكن هذا الماء انقطع إلا أن يكون هو الذي يُسَميه أهل مكة المكرمة في هذا العهد المصافي فهو باقٍ يحجز الماء، وأقرب ما يكون لهذا التحديد هو موضع المصافي اليوم.

* * *

٦ ــ وقال النابغة من قصيدة مطلعها :

كِلِينِى لِهَمٍّ يَا أُمَيْمَةُ نَاصِبِ وَلَيْلٍ أُقَاسِيهِ بَطِىءِ الْكَوَاكِبِ

وهو يمدح فيها الحارث الأعرج الغساني لما التجأ إليه حين هرب من النعمان بن المنذر، إلى أن قال:

حَلَفْتُ يَمِيناً غَيْرَ ذِى مَثْنَوِيَّةٍ وَلَا عِلْمَ إِلَّا حُسْنُ ظَنٍّ بِصَاحِبِ
لَئِنْ كَانَ لِلقَبْرَيْنِ قَبْرٍ بِجِلَّقٍ وَقَبْرٍ بِصَيْدَاءِ التي عِنْدَ حَارِبِ
وَلِلْحَارِثِ الْجَفْنِيِّ سَيِّدِ قَوْمِهِ لَيَلْتَمِسَنْ بِالْجَمْعِ أَرْضَ الْمُحَارِبِ
وَثِقْتُ لَهُ بِالنَّصْرِ إِذْ قِيلَ قَدْ غَزَتْ كَتَائِبُ مِنْ غَسَّانَ غَيْرُ أَشَائِبِ
إِذَا مَا غَزَوْا بِالْجَيْشِ حَلَّقَ فَوْقَهُمْ عَصَائِبُ طَيْرٍ تَهْتَدِي بِعَصَائِبِ

إلى أن قال :

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنَّ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكَتَائِبِ

جلق جلق: قيل في كتب المعاجم أنها اسم لكورة الغُوطة، وقيل: بل هي دمَشق نفسها، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه في جاهليته :

لله دَرّ عِصَابَــةٍ نَادَمْتُهــمْ يَوْماً بِجِلَّقَ فِي الزَّمَانِ الْأَوَّلِ

وهي مشهورة بهذا الاسم إلى هذا العهد.

صيداء: قال في معجم البلدان[1]: تطلق على كل أرض تربتها أجزاء غليظة الحجارة مستوية الأرض، قال الشماخ: صيداء

حذاها من الصيداء نعلا طراقها حوامى الكراع المؤيدات العشاوز

وهي اسم لمدينة عظيمة على ساحل بحر الشام، من أعمال دمشق، شرقي صور، بينهما ستة فراسخ، قالوا إنها سميت بصَيْدَاء لأن أول من اختطَّها صيدون ابن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح عليه السلام، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

حارب[2] موضع من أعمال دمشق بحوران قرب مرج الصفر، من ديار قُضَاعة، واستدل صاحب معجم البلدان على هذا الموضع ببيت النابغة، ولا أعلم أهو باقٍ بهذا الاسم أم قد تغير. حارب

الحارث الجفني الذي ذكره النابغة هو الحارث الأعرج الغساني، وعلى ذكر البيت الأخير الذي يقول فيه «ولاعيب إلخ» نقول: ذكروا أن عروة بن الزبير وفَدَ على عبد الملك بن مروان وقد كُفَّ بصر عروة، فقال له عبد الملك: أتعرف سيف أخيك عبدالله بن الزبير أن أتيناك به؟ قال : نعم، فجآءوه بعشرين سيفاً ووضِعَتْ بين يديه، فقال عبد الملك: أخرج سيف أخيك منها، فاندفع يتتبعها بيديه، فوجد سيف أخيه، فعرفه بمس يديه، ثم مده إلى عبد الملك بن مروان وقال: هذا سيف أخي، فقال له: وما يدريك وقد كف بصرك؟ قال: استدللت عليه ببيت النابغة حين قال:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنَّ فلول من قراع الكتائب

فأعجب عبد الملك به، فقال: صدقت هذا سيف أخيك.

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٥/٤٠٣.
(٢) معجم البلدان ٣/١٩٨.

قلت : ويروى أنه قال (عرفته بفلة فلها يوم أُحد، واستشهد بالبيت)

٧ ـــ وقال النابغة من قصيدة مطلعها :

إنِّي كأنِّي لَدى النُّعْمَانِ خَبَّرَهُ بَعْضُ الأوُدِّ حَديثاً غَيْرَ مَكْذُوبِ

إلى أن قال :

تأتِي الْجِيَادُ مِنَ الْجَوْلَانِ قَائِظَةً مِنْ بَيْنِ مُنْعَلَةٍ تُرْجىٰ وَمَجْنُوبِ
حَتَّى اسْتَغَاثَتْ بأهْلِ الْمَلْح مَاطَعِمَتْ فِي مَنْزِلٍ طَعْمَ نوم غَيْر تأْوِيبِ
يَنْضَحْنَ نَضْحَ الْمزادِ الْوُفْرِ أتأقَها شَدُّ الرُّوَاةِ بمَاءٍ غَيْرِ مَشْرُوبِ

إلى أن قال :

وَمَا بِحِصْنٍ نُعَاسٌ إذْ تُؤَرِّقُهُ أصْوَاتُ حَيٍّ عَلَى الْأمْرَارِ مَحْرُوبِ

الجولان — الجولان: قرية من نواحى الشام من أعمال حوران، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، ومنهم من قال: إنه موضع فيه مزارع في وسط جبل، وقال النابغة في غير هذه القصيدة:

بكى حارثُ الْجَوْلَانِ من فَقْد ربه وحورانُ منه مُوحِشٌ مُتَضائل

وجبل الجولان يقال له «حارث» قال حسان بن ثابت:

هبلَتْ أمهم وقد هبلتهم يوم راحوا لحارث الجولان

وقال الراعى :

كذا حارث الجولان يبرق دونه دساكر في أطرافهن بروج

وقال حسان بن ثابت رضي الله عنه من قصيدة له طويلة مطلعها «منع النوم إلخ». وهي في السيرة:

إن خالي خطيبُ جابية الجو لانِ عندَ النعمان حين يَقُومُ

وقال حسان أيضاً في قصيدة له ذكرها صاحب السيرة في ذكر خير البرية:

منعنا رسولَ الله إذ حَلَّ وَسْطنا على أنْفِ راضٍ من معّدٍّ وراغِمِ
منعناه لما حَلَّ بين بيوتنا بأسيافنا من كل باغ وظالم
ببيتٍ حريدٍ أصلُه وثراؤه بجابية الجولان بين الأعاجم
هَلِ المجد إلا السؤدد العَوْدُ والنَّدَى وجاهُ الملوك واحتمالُ العظائم

وقال الجواس بن القعطل الكلبي يتهدد عبد الملك بن مروان، ويذكر مواقف قومه معه يوم مرج راهط لما هزمت كلب جيشَ ابن الزبير وقتل رئيسه الضحاك بن قيس، ورئيس أهل الشام مروان بن الحكم، ورئيس كلب حسان بن بحدل خال يزيد بن معاوية، وأقوى داع لنصرة كلب لبني أمية هذه المصاهرة، وهي تزوج معاوية بن أبي سفيان ميسونَ بنت بحدل أخت حسان المذكور، وهي التي تقول لما اختارت البادية على قصور الشام :

لبيت تخفق الأرواحُ فيه أحبُّ إليَّ من قصر منيف

وقصتها طويلة، قال الجواس :

أعبد المليك ما شكرتَ بلاءنا فَكُلْ في رخاء الأمن ماأنت آكلُ
بجابية الجولان لولا ابنُ بحدل هلكتَ، ولم ينطق لقومك قائلُ
وكنت إذا أشرفت في رأس رامة تَضَاءلت، إن الخائفَ المتضائلُ
فلما علوتَ الشام في رأس باذخ من العز لا يسطيعه المتناولُ
نضحت لنا سَجْلَ العداوة معرضا كأنك عما يُحْدثُ الدهرُ غافلُ
فلو طاوعوني يومَ بطنان أسلمت لقيس فروج منكم ومقاتل

روى عن ابن عباس رضي الله عنه أنه قال: أرواح المؤمنين بالجابية من أرض الشام، وأرواح الكفار في برهوت من أرض حضرموت.

وأكثر شعراء غطفان ذكر المَلْح وذكر المروراة، قال النابغة:

*** حتى استقامت بأهل الملح ***

وقال في هذه القصيدة

*** أصوات حى على الأمرار محروب ***

وقال زهير[1] بن أبي سُلْمى وهو ـــ مع كونه مزني النسب ـــ يعد من شعراء غطفان :

تَرَبَّصْ فإن تُقْو المروراة منهمُ ودار اتها لم تقومنهم إذا نَحْلُ

المروراة والأملاح التي أكثر شعراء غطفان من ذكرها واقعةٌ في بلاد غطفان، ولكن في بلاد العرب ثلاثة مواضع من الأرض لايستطيع أحد أن يشرب من مائها ولا أن يطبخ بها زاداً، ولكن الله اللطيف بعباده جعل للناس بين تلك الأملاح معاذبَ يستعذب أهلُ الأملاح منها، فيهم من يركب جمله بمزادة فيستقى ثم يعود إلى أهله، وفيهم من يبيت ليلة على الماء العذب، أما المياهُ المرة في بلاد بني عبد الله ابن غطفان فهي واقعة في أعلاها، وتنقسم سيول تلك الناحية إلى قسمين؛ فما كان يصبُّ إلى جهة الشرق فهو وادي الرمة، وما كان يصب منها إلى جهة الغرب فهو يصب في الشعبة التي تصب في وادي الحمض، وسنذكر المياه التي حضرتنا أسماؤها، بعضُها لا تسيغه الإبل، تكظم عليه ثم تمجه، قال شاعر غطفاني في ماءة المرير وقد أوردنا هذا الشاهد:

---

(١) قد ذكرنا في صفحة ٣٧ من الجزء الأول: أن زهيرا من قيس عيلان لأنه ناشيء في بلاد غطفان، ونسبه في مزينة وهم من بنى عمرو بن أد، من الياس بن مضر. (المصنف).

هذا المريــــــر فاشربيــــــــه أوذَرِى
إن المريـــــرَ قطعـــــــة من أخضر

(أي من بحَرْ)

وطرف تلك المياه الجنوبي: ماءة الخضارة الواقعة بين الدفينة وعفيف، وسنذكر المتصل بها منها إلى طرف المرواة الشمالي، وشحاذه، والغثمة، والسريحية، وثرب، وفج، وفجيج، والسليلة، والبدنة، والمرير، والمرة، وطلال، والهميج، وأبو مغير، والماوية، وبلغة، وبعض تلك المياه إذا خرج من الدلوجمد؛ فالسالك من الدفينة إلى عفيف يترك طرفها الجنوبيَّ على شماله، والسالك من النقرة إلى المدينة يترك طرفَها الشمالي على شماله، وهذهِ كان يقال لها في الجاهلية «مرواة غطفان» وفي الإسلام همج بني عبد الله بن غطفان.

والقطعة الثانية: واقعة في عالية نجد الجنوبية ، معظمها للمقطة جماعةِ ابنِ حميد، يقال لها في هذا العهد «همج المقطة» والواقع منها في جهتها الجنوبية: حفاير خالد، والهمجة، والأروسة، ومحضب، والكبدي، والبديعة، والهتيميّة، ومأمون، ودسمان، ولقطان، ولقيطين، والأيسري، والبقرة،وعبّاب، والعوجا، والحفيرة، وللميسنة، وسم ساعة، والطفية، والرجمة، والرمرمية، وأحسن تلك المياه الهتيمية والبقرة.

والقطعة الثالثة: يقال لها «همج الدبول» وسيولُها تصبُّ في الركاء، يحدها من الشرق جبل العارض الواقع في طرف اليمامة الجنوبي، وأعلاها قريب جبل الحصاة، وهي في القطعة الجنوبية الشرقية من نجد، وهي: بقيران، ولجع، والوهوهي، وعمْق، والسيح، والخبراء، وحنيظلة، والهوة، والحيانية وقنا، وقنى، وجفن ضب، وماوان، والمنجور، وحميمان، والجويفاء، وهذه غير جويفاء الطريق.

هذه الأمواه الثلاثة من نجد ماؤها مر، ولكنها من أصلح الأرض للإبل، والقطعة الأولى لبني عبد الله بن غطفان، والثانية لبني عامر بن صعصعة، وقد يكون بعض البطون من عتيبة التي تسكنها الآن من بقايا بني عامر بن صعصعة، والقطعة الثالثة ـــ وهي الجنوبية ـــ تشترك فيها قحطان والدوّاس.

وإذ ذكرنا الأملاح من المياه فإنا نحب أن نكمل البحث بذكر معادن ملح الطعام وغيره، وسنبتدىء من شمالي المملكة فنقول: قريات الملح المشهورة، والسعدان وهو في بلاد غطفان، في مفيض سيل وادي المحاني مما يلي حاذة، على طرف الحرة في أرض سبخة، ومجيرمة بين الليث وجدة، وملح جيزان الواقع في القطعة الجنوبية من المملكة العربية السعودية، وملح مران وهو واقع في صبخا مران، وملح في طريق رنية، في طريق القاصد لها من نجد. بين العرق وجبل الصاقب، وملح الخبراء الواقعة في القطعة الجنوبية من نجد، وملح الأفلاج في فيضة شعيب الهدار، وملح القصب في شرقي بلدان الوشم، وملح العوشزية الواقعة شرقي عنيزة، وملح الشقة في غربي القصيم من قرى الجواء، وملح الخاصرة قريب جبل العلم الواقع جنوبي جبل ثهلان على مسافة يوم ونصف، وبعض تلك المواضع يُحْمَل ملحُهَا على الإبل بحبال من غير شئ يمسكه، كأنه قطع من الحجارة وهو ملح الشقة وملح العوشزية الذي في جهة القصيم، وملح الخاصرة، والملح الذي يكون قريب الصاقب في القطعة الجنوبية من نجد.

وفي عالية نجد معادن ملح البارود: ملح القهر، وهو في الجنوب بين اليمن ونجد، وملح الشبكة في شرق نجد بين بلد عروى وبلد الشعرى، وهو من أحسن تلك المعادن، وملح واسط في بلد الدوادمي، وملح خفا قريب ماءة القاعية يمر به القاصد إلى مكة من الرياض، إذا ترك القاعية وراء ظهره فالتفت يميناً رأى هضبة هناك حمراء، وملح شبيرمة بين بلد نفى وكبشان، وملح الركاء بين دخنة وسواج، وهو غير وادي الركاء

المشهور في جنوبي نجد، وملح الجريف قريب بلد الرس وملح العقابة في حمرة عرض ابني شمام، وملح وضاخ، وملح القرى قرى الحرة.

هذا الذي حضرني اسمه من جميع الأملاح الواقعة في نجد، وهذه الأسماء هي أسماؤها في هذا العهد، ولما ورد ذكر الأملاح في قصيدتي زهير والنابغة لم أشأ إهمالها[1]:

٨ ـــ وقال النابغة :

ظَلَّتْ أَقَاطِينُ أَنْعَامٍ مُؤَبَّلَـةٍ ... لَدَى صَلِيبٍ عَلَى الزَّوْرَاءِ مَنْصُوبِ
فَإذْ وُقِيتِ بِحَمْدِ اللهِ شِرَّتَهَا ... فَانْجِى فَزَارَ إلِيَ الأَطْوَادِ فَاللُّوبِ
وَلَا تُلَاقِى كمَا لَاقَتْ بَنُو أَسَدٍ ... فَقَدْ أَصَابَتْهُمُ مِنْهُ بِشُؤْبُوبِ

الزوراء

الزوراء: في بلاد العرب مواضع كثيرة تسمى بهذا الاسم، وكذلك في غير بلاد العرب، فأما الزوراء التي عناها النابغة فهي دار بناها النعمان بن المنذر بالحيرة، كان يتنزه فيها في بعض الأوقات، قال النابغة أيضاً :

وأنت ربيعٌ ينعشُ الناسَ سَيْبُه ... وسيفٌ أعيرته المنيةُ قاطع
وتُسْقَى إذا ما شئت غير مُصَرَّد ... بزوراء في أكنافها المسك كارع

وقول النابغة :

*** لدى صليب على الزوراء منصوب ***

---

(١) قال المصنف: لما ذكرت الأملاح الواقعة في بلاد العرب خطر لي أن أذكر المياه العذبة التي كأنها من ماء المزن، ثم خشيت الإطالة، غير أنى أذكر أن معظم مياه بلاد العرب عذبة: فجبل اليمامة من طرفه الجنوبي إلى طرفه الشمالي أغلب مياهه عذبة، وجميع جبال نجد أغلب المياه الواقعة فيها عذبة، والذي دعانا إلى ذكر الأملاح مرورها في شعر النابغة، وهي من شروط كتابنا هذا.

وقال في معجم[1] البلدان رواية عن الأصمعي : الزوراء هي رصافة هشام بن عبد الملك، وكانت فيما سبق للنعمان، وفيها كان يكون، وإليها كانت تنتهى غنائمه، وكان عليها صليب لأنه كان نصرانيا، وكان يسكنها بنو حنيفة، وكانت أدنى بلاد الشام للشيح والقيصوم.

الأطواد واللوب

الأطواد واللوب: تطلق على الجبال والحِرَار، يقال للجبل «طَوْد» وللحرة «لَابَة» وليسا بموضعين معينين

* * *

٩ ـــ وقال النابغة :

فإنْ تَكُنِ الْفَوَارِسُ يَوْمَ حِسْيٍ أَصَابُوا مِنْ لُقِيِّكَ مَا أَصَابُوا
فَمَا إنْ كانَ مِنْ نَسَبٍ بَعِيدٍ وَلٰكِنْ أَدْرَكُوكَ وَهُمْ غِضَابُ
وَلَمْ نَرَ مِثْلَ جَمْعِ بَني عَدِيٍّ غَدَاةَ الْحِسْى إذْ حَمِيَ الضِّرَابُ

الحسى

الحِسْي: أكثرت شعراء غطفان من ذكره، وقد مضى الكلام عليه في أشعار زهير، وهو موجود بهذا الإسم إلى هذا اليوم، يقال له اليوم «حسى علياء» وكانت به وقعة عظيمة في الجاهلية كانت لبني بَغِيض على بنى عامر بن صَعْصَعَة، قتل فيها حَنْظلة بن الطُّفيل أخو عامر بن الطفيل، وفي هذه الوقعة يقول النابغة يخاطب عامر بن الطفيل :

فإن يَكُ عامرٌ قد قال جهلا فإن مَظِنة الجهل السِّبَابُ[2]
فكن كأبيك أو كأبى بَرَاءٍ تُوَافِقْكَ الحكومـةُ والصَّوَابُ
فإنك سوف تحكم أو تناهي إذا ما شِبْتَ أو شاب الغرابُ
ولا تذهب بقولك طاميات من الخُيَلاء ليس لهنَّ باب

(١) انظر معجم البلدان ٤١٣/٤.
(٢) ويروى * فإن مطية الجهل الشباب *

١٠ ــ وقال النابغة:

أَرَسْمًا جَدِيداً مِنْ سُعَادَ تجنُّبُ ... عَفَتْ رَوْضَةُ الأجْداد مِنْهَا فَيثْقُبُ
عَفَا آيهُ رِيحُ الَجْنُوبِ مَعَ الصَّبَا ... وَأَسْحَمُ دَانٍ مُزْنُهُ مُتصَوِّبُ

إلى أن قال:

رَعَى الرَّوْضَ حَتّى نُشَّت الغُدْرُ وَالْتَوَتْ ... بِدحْلَانِهَا قِيعَانُ شَرْجٍ وَأَيْهَبُ[١]

روضة الأجداد

روضة الأجداد: معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، تبعد عن بلد قصيبة مسافة يوم ونصف مما يلي جنوبيها الغربي، قال مرداس بن حشيش التغلبى[٢]:

إن الديار بروضة الأجداد ... عَفَّتْ سَوَارٍ رسَمهَا وغواد
من كل سارية وغادٍ مُدْجِنٍ ... خَنِقِ البوارق مُونق الرواد

وكانت روضة الأجداد المذكورة تتربَّع فيها بطونٌ من بنى عبس وبطونٌ من بنى أسد. وهي واقعة بين القبيلتين: بين غطفان وبنى أسد. وهي الفاصل بينهما. قال صاحب معجم البلدان[٣]: قال الهيثم بن عدى: خرج عروة الصعاليك العبسى وأصحابه إلى خيبر يمتارون منها، فعشروا، وهم يرون أنهم إذا خافوا وباء مدينةٍ وأرادوا دخولها وقفوا على بابها وعشروا كما تعشر الحمير، والتعشير: نُهاَق الحمير؛ فيرون أنه يصرف عنهم وباءها. قال: فعشروا خوفا من وباء خيبر، وأبىٰ عروة أن يعشر، وهذا التعشير ذكرته لهم يهودُ خيبر تهكما بالعرب؛ فقال عروة:

وقالوا اجْبُ وانْهَقْ لا تضرك خيبر ... وذلك من دين اليهود وَلُوعُ
لعمرى لئن عَشَّرْتُ من خشية الردى ... نُهَاقَ الحمير إننى لَجَزُوعُ

---

(١) في الديوان «والتوت بدجلاتها».

(٢،٣) معجم البلدان ٤/٣٠٩ .

فلا وألَتْ تلك النفوسُ ولا أتت   على روضة الأجداد وَهْيَ جميعُ
فكيف وقد ذكَّيْتُ واشتدَّ جانبى   سُلَيْمىٰ وعندى سامعٌ ومُطِيعُ
لسانٌ وسيـــفٌ وحَفِيظـــــة   ورأى لآراء الرجـــال صَرُوعُ
تُخَوِّفُنى ريبَ المنون وقد مضى   لنا سَلَف قَيْسٌ مَعاً وربيع

يشير إلى قيس بن زهير رئيس عبس، والربيع بن زيادة العبسى. قال: فدخلوا وامتاروا ورجعوا فلما بلغوا إلى روضة الأجداد ماتوا إلا عروة.

يثقب يثقب: أكثرت الشعراء من ذكره، وأنا لا أعرفة بهذا الاسم في هذا العهد.

شرج أما شرج[1] فكل وادٍ يصب منه الماء يقال لها شرج. والشراج: مجاري المياه من الحِرَار إلى السهل، واحدها شرج. فأما شرج الذي عناه النابغة فهو موضع بعينه شرقي بلاد غطفان قريب الأجفر، داخل في بلاد بني أسد، يسمى شرجا في هذا العهد أيضاً، وبهذا الموضع ماء عذب، قال الراجز:

أنْهلْتُ من شَرْج فمن يعِلُّ   ياشرجُ لافـاء عليك الظِّـلُّ
* في قَعْر شرج حَجَر يَصِلُّ *

وقالت امرأة من كلب :

سقىٰ الله المنازلَ بين شرج   وبيـن نواظـرٍ دِيَماً رِهَامَـــا
وأوسَاط الشقيق شقيق عبس   سقى رَبِّـى أجَارِعَهَـا الْغمَامَـا
فلـو كنـا نُطَاع إذا أمَرْنـا   أطَلْنـا في ديارهُـمُ الْمُقَامَـا

ونواظر التي قرنتها بشرج: أكثبة مرتكمة لاتزال إلى هذا العهد تعرف بهذا الاسم، وهي واقعة بين النباج وزرود يقال لها نواظر. وأما شقيق عبس

---
(١) في معجم البلدان ٥/٢٥٠.

التي قرنتها بهما فإنها موجودة إلى هذا العهد ويقال لها اليوم «الشقق» وهي في بلاد غطفان من قرى الجواء، مفردها شقة، وقال حسين بن مطير الأسدي :

عرفْتُ منازلاً بِشِعَاب شَرْج فحييْتُ المنــازلَ والشِّعابــا
منازل هَيَّجَتْ للقـلب شوقـا وللعينيــن دمعــا واكتئابــا

أيهب وأيهب: أكثرت ذكره الشعراء من بنى أسد ومن غطفان، ولا أشك أنه واقع في بلادهم، وأنا لاأعرفه.

* * *

١١ ــ وقال النابغة :

فَرَاحَ يُرِيُد الْعَيْنَ، عَيْنَ مُتالِعٍ يَؤُمُّ بَنَاتِ الأَحْدَرِيِّ، وَيَقْطُبُ
إذَا هبطَا سهْلاً، أثَارَ عَجَاجَةً كأنَّ بِهِ منْها مُلَاءً، يُنَصَّبُ

متالع متالع: جبل قريب حمى ضَرِية، وفي جهة الأحساء جبل كان يقال له في الجاهلية «متالع» وثمة جبل في بلاد غطفان يقال له «متالع» ولا أعلم جبلاً بهذا الاسم في هذا العهد. وإليك روايات صاحب المعجم عنه[١] قال الأصمعي: مُتَالع جبل بنجد، وفيه عين يقال لها الخرارة، وهو الذي يقول فيه صدقة بن نافع العميلي، وكان بالجزيرة :

أرقْتُ بحران الجزيـرة مَوْهِنـاً لِبرْق بَدَا لى ناصبٍ متعال
بَدَا مثل تَلْماع الفتاة بكفها ومن دونه نأى وعبر قلال
فَبتُّ كأن العين تُكْحَل فلفلا وبي عس حُمَّى بيِّن وملال[٢]
فهل يرجعَنْ عيشٌ مضى لسبيله وأظـلالُ سدرٍ تالـع وسَيَـالُ

---

(١) معجم البلدان ٣٨٠/٧.
(٢) الأبيات الأربعة الأخيرة مرفوعة القوافي على الإقواء في البيتين الأوليين.

وهـل ترجعـن أيامُنَـا بِمُتَالـع ... وشرب بأوشال لهـن ظلالُ
وبيض كأمثال المَهَا يستبيننا ... بقيلٍ وما مَعْ قيلهن فَعَالُ

ومتالع: جبل بناحية البحرين بين السودة والأحساء، وفي سفح هذا الجبل عين يسيح ماؤها يقال لها «عين متالع» ولذلك قال ذو الرمة:

نحاها لثأج نَحْوَه ثم إنـه ... تَوَخّى بها العينين عينَيْ متالع

قال الحفصي: وهو جبل وعنده ماء، وهو لبني مالك بن سعد، وقيل: متالع جبل لغنى. وقال الزمخشري: متالع لبني عميلة، قال صدقة بن نافع العميلي:

وهـل ترجعـن أيامنـا بمتالـع ... وشرب بأوشال لهنَّ ظلالُ

وقال السكوني أبو عبد الله: متالع: ماء شرقي الظهران عند الفوارة، وقال كثير :

بكى سائب لمّا رأى رملَ عالج ... أتى دونه والهضبَ هضب متالع
بكى إنه سهو الدموع كما بكى ... عشية جاوزنا نجـاد البدائـع

* * *

١٢ ـــ وقال النابغة :

فَمَـا جَادَلْتُمـا بِقِيَـادِ خَيْـلٍ ... يَصُونُ الْوَرْدُ مِنْهَا وَالْكمَيْتُ
إِلَـى ذُبْيَـانَ حَتَّـى صَبَّحَتْهُـمْ ... ودُونَهُـمُ الرَّبَائِـعُ وَالْخُبَـيْتُ

الرّبائع: هضبات[1] حُمْر في بلاد بني أسد، منقطعة عن جبل الغيمار الربائع

(١) انظر معجم البلدان ٤/٢٢١.

كأنها منه. ويقال لها اليوم «الروابع» وهي لاتبعد عن جبل التين. وجبل التين يقال له اليوم «تين»تراه إذا كنت قريبَ الجبل المسمى «حبش» وماءة الخوة لاتبعد عن جميع تلك المواضع. وقد أكثر الشعراء من ذكر تلك المواضع. وفي ذكر الربائع المذكورة يقول الراجز:

وبين خَوَّيْن زقاقٌ واسِعٌ   زقاقُ بين التين والربائع

وقالت امرأة من بني أسد وقد أوردنا هذه الأبيات شاهداً على غمار، ولكنا أعدناها هنا لأنها ذكرت فيها الربائع:

لعمرك لَلْغَمْران غَمْرا مقلد   فذو نَجَب غُلَّانُه ودوافعه
وخَوٌّ إذا خو سقته ذِهَابُه   وأمرعَ منه تينهُ وربائعه
أحبُّ إلينا من فراريج قريةٍ   تَزَاقَى ومن حي تنقُّ ضفادعه

والخوة وسميراء منهلان، وحبشى والربائع وغمار وتين جبال، وتلك المواضع في بلاد بنى أسد.

الخبيت

أما الخبيت فهو تصغير الْخَبْت، وأصل الخبت المنخفض من الأرض، وقال أهل اللغة: إنه يطلق على كل منخفض سواء أكان رملاً أم حزنا. والخبوت كثيرة، ولا أعرف موضعاً يقال له «الخبت» في هذا العهد. وبين مكة والمدينة موضع يقال له «خبت الجميش» وبين مكة والمدينة موضع آخر يقال له «خبت البزوا» وخبت: من قرى زبيد باليمن، وظني أن الخبت الذي ذكرهُ النابغة مصغراً قريب الربائع الواقعة في بلاد بني أسد؛ لأنه عطف الخبت عليها.

* * *

١٣ ــ وقال النابغة :

كأنَّ الظُّعْنَ حِينَ طَفَوْنَ ظُهْراً   سَفِينُ الْبَحْرِ يَمَّمْنَ الْقَرَاحَا

قِفَـــا فَتَبَيَّنَـــا أُعُرَيْتِنَـــاتُ تَوَخَّى الحَيُّ أَمْ أَمُّوا لُبَاحَا
كَأَنَّ عَلَى الْحُدوجِ نِعَاجَ رَمْلٍ زَهَاهَا الذُّعْرُ أَوْ سَمِعَتْ صِيَاحَا

عريتنات أما عريتنات فقد مضى الكلام عليها.

لباح ولباح: لم أسمع لها ذكرا، ولاأعرفه بهذا الاسم في هذا العهد. قال صاحب المعجم[1]: هو موضع في قول النابغة، يريد هذا البيت، ولم يزد على ذلك. وفي غامد بلد يقال لها «الباحة» تتبع مقاطعة بلد الطفير بين أعلى وادي تربة ووادي بيشة، ولا أعرف غير تلك القرية باسم يقارب هذا الاسم.

* * *

١٤ ــ وقال النابغة، وهو مطلع قصيدة له يمدح فيها النعمان بن وائل بن الجلاح الكلبي، وقد أغار على بني ذبيان وأخذ وسَبَى، وكان في السبايا عقرب ابنة النابغة، فسألها من أبوها؟

فقالت: النابغة الذبياني، فقال: قد وهبتك لأهلك، ووهبت هؤلاء السبايا لك. فزوّد السبايا وكساهُنَّ ورجعهن إلى بني ذبيان؛ فمدحه النابغة بعد ذلك، وليس من شرط كتابنا هذا إلا ذكر المواضع:

أَهَاجَكَ مِنْ سُعْدَاكَ مَغْنَى الْمَعَاهِدِ بِرَوْضَةِ نُعْمِيٍّ فَذَاتِ الْأَسَاوِدِ
تَعَاوَرُهَا الْأَرْوَاحُ يَنْسِفْنَ تُرْبَهَا وَكُلُّ مُلِثٍّ ذِي أَهَاضِيبَ رَاعِدِ
بِهَا كُلُّ ذَيَّالٍ وَخَنْسَاءَ تَرْعَوِي إلي كُلِّ رَجَّافٍ مِنَ الرَّمْلِ فَارِدِ

روضة نعمى روضة نعمى: قد مضى الكلام على وادي النعيم في قصائد امرىء القيس. وقد مضى ذكر «الأنيعم» بالتصغير، وهذه الروضة لاتكون إلا من رياضه، وهو واقع في عالية نجد.

---

(١) انظر معجم البلدان ٣١٨/٧.

فأما ذات الأساود فإن ثمة موضعين بهذا الاسم قريب تلك الروضة، وهي «جبال الأسودة» الواقعة بين جبل ثهلان وكثيب رمحة. ومنهم من يقول «رمحات» وفي جبال الأسودة ماءة يقال لها «ملية» وهي من الآبار القديمة، ورمحات المذكورة غير رمح الواقعة في الشمال الشرقي لبلد اشيقر، وهي التي يقول فيها ناهض بن ثومه[1] وقد ثناها على عادتهم في ذلك: ذات الأساود

فما العهد من أسماء إلا محلَّة ... كما خُطَّ في ظهر الأديم الرواقشُ
برمحين أو بالمُنْحَنَى دبَّ فَوْقَهَا ... سَفَا الريح أو جزع من السَّيل خادشُ

المنحنى: هو وادي أشيقر، ورمحان معروفان بقريب من هذا الاسم إلى هذا العهد، وينتهي سيل المنحنى إلى روضة رمحين، أما الموضع الثاني فهو «جبال السوادة» التي تمتد من قريب ذقانين، وتندفع إلى جهة الشرق الجنوبي، وتقف عند جبل صاحة التي مر ذكرها في أشعار امرىء القيس؛ والنعيم والأسودة كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد.

* * *

١٥ ــ وقال النابغة :

يَاعَامِ لَا أعْرِفْكَ تُفْكرُ سنَّة ... بَعْدَ الَّذِينَ تَتَابَعُوا بِالْمَرْصَدِ
لَوْ عَايَنَتْكَ كُمَاتُنَا بِطُوَالَةٍ ... وَالْحَزْوَرِيَّةِ أَوْ بِلَابَةِ ضَرْغَدِ
لَثَوَيْتَ في قدٍّ هُنَالِكَ مُوثَقاً ... فِي الْقَوْمِ أَوْ لَثَوَيْتَ غَيْرَ مُوَسَّدِ

طُوَالَة: في عالية نجد، وهي جبل يقال له اليوم «الأطولَة» واقع بين سجا وحماه وبين الجنوبي من أجبلة النير، قال الحطيئة[2]: طوالة

(١) معجم ياقوت ٤/٢٨٥.
(٢) انظر معجم البلدان ٦/٦٥.

وفي كل مُمْسَى ليلةٍ ومُعَرَّس خيالٌ يوافي الركب من أم مَعْبَدِ
فَحَيَّاك وُدٌّ، ماهداك لفتيةٍ وخوصٍ بأعلى ذي طُوَالة هُجَّدِ؟

وقال الشماخ :

كلا يَوْمَىْ طُوَالَة وَصْلُ أروى ظَنُون، آنَ مُطَّرَحُ الظنونِ

وفي طُوَالة يوم من أيام العرب.

الحزورية الحزورية: ماءة تُعَد من أملاح غَطَفان، ولكن اسمها قد تغير الآن فصار في هذا العهد «حزرة» إذا سلكت الشعبة مُغَرباً أتيت على ثرب، ثم فج، ثم فجيج، ثم حزرة، ثم النعيرية وعندها جبيلات صِغار يقال لها «الحزورية».

لابه ضرغد أما لابة ضرغد فقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد «ضرغد» موضع به زروع ونخيل وسكان، وعنده لابة عظيمة، إذا دخلها الجاني لم يُقْدَر عليه واقع في بلاد بني أسد، وهو الفاصل بينها وبين بلاد طي.

* * *

١٦ ــ وقال النابغة

نُبِّئْتُ زُرْعَة وَالسَّفَاهَةُ كَاسْمِها يهدِي إلَيَّ غَرَائِبَ ٱلأشْعَارِ
فَحَلَفْتُ يَازُرْعَ بْنَ عَمْروٍ إنَّنى رَجُلٌ يَشُقُّ عَلَى الْعَدُوِّ ضِرَارِي
أرَأَيْتَ يَوْمَ عُكاظَ حِينَ لقيتني تحْت الْعجَاج فما شَقَقْت غُبَارِي
إنَّا ٱقْتَسَمنَا خُطَّتَيْنَا بَيْنَنَا فَحَمَلْتُ بَرَّةَ وَاحْتَمَلْتَ فَجَارِ

عكاظ عكاظ: قد أكثر أهل المعاجم وأهل اللغة من ذكره وتحديده، واختلفوا، وأحسن كلام ذكره الذين تعرضوا لتحديده كلامُ عالمٍ يقال له

الرداعي، يماني، ذكر ذلك في قصيدة له ذكر فيها المواضع التي يمر بها السالك من صَنْعاء حتى يدخل مكة. وذكر الهمداني القصيدة في كتابه صفة جزيرة العرب، ومن قول الرفاعى في أرجوزته:

حتى إذا اسْتَسْهَلْنَ من كلاخ وأوقح ذي الْحَمْض والسباخ
وأسْهَلَتْ في البطن من عُكَاظِ وسيرها في زاجر كظَّاظ
وخلفت قرّان ذا المَنَاقب وشرباً في جنح لَيْلٍ واقب

فقران الذي ذكره: ثنايا السَّيْل الصّغير وماحولها، ولايزال يقال لها «قران» إلى هذا العهد، وهناك وادٍ يقال له «قران» إلى هذا العهد أيضاً يقع شمال مطار الحوية وسيلُه يصب في العقيق.

وهذا من أقوى الدلائل على أن عكاظاً في وادي شرب في مفيضه، ومما يدل على ذلك أيضاً قولُ الكميت بنَ زيد الأسدي:

وفي الْحَنيفة فاسأل عن مَنَازلهم بالمسجدين ومَلْقَى الرحل من شرب

المسجدين: حَرَم المدينة وحرم مكة، وملقى الرحل من شرب: سوق عكاظ الذي تُلْقِى فيه العربُ رحالها، أما موضع عكاظ[1] اليوم فحدوده الشمالية قريب المطار الواقع قريب وادي الحوية، وحدوده الجنوبية العبلاء، وعند العبلاء كان اليومُ الثاني من أيام الفِجَار، وقال خداش بن زهير[2]:

إلم يبلغكم أنا جَدَعْنَا لدى العَبْلَاء خندف في القياد
ضربناهم ببطن عكاظ حتى تولوا طالعين من النجاد

وقال خداش[3] أيضاً :

---

(١) عكاظ بعد اكتشافنا الأخير يبعد عن المطار عشرة كيلو مترات من جهته الشرقية وسنذكر اكتشافنا له برمته في آخر هذا الكتاب.

(٢) انظر معجم ماستعجم ٩٦١ ومعجم البلدان ١١٣/٦.

(٣) انظر معجم البلدان ١١٤/٦.

ألـم يبلـغك بالعَبْـلاَء أنّـا ضربنا خندقاً حتى استقـادوا
نبَنّـى بالمنـازل عز قيس وودُّوا لو تَسِيخُ بنا البلاد

وعكاظ: واقع أسفل وادي شرب، وقد غلط من قال: إنه السيل الصغير أو داخل الريعان، والصحيح أن موضعه هو الذي ذكرناه؛ لأنه موضع يتسع لاجتماع الناس، وبه آثار ومياه عذبة، والأرجوزة التي أشرنا إليها في تحديده قيلت منذ ثمان مائة سنة تقريباً.

* * *

١٧ ــ وقال النابغة في هذه الرائية :

وَبَنُو جَذِيمَةَ حَيُّ صِدْقٍ سَادَةٌ غَلَبُوا عَلَى خَبْتٍ إلَى تِعْشَارِ

خبث وتعشار: ماآن لكلب، وقد مضى الكلام على خبت مصغراً في الكلام على بيت النابغة الذي يقول فيه:

إلـى ذُبْيَـان حتّى صَبَّحتهـم ودونهـمُ الربائـع والخبـيت

* * *

١٨ ــ وقال النابغة في هذه الرائية أيضاً :

حَوْلِي بَنُو دُودَانَ لَا يَعْصُونَنِي وَبَنُو بَغِيضٍ كُلُّهُـمْ أَنْصَارِي
زَيْدُ بْنُ بَدْرٍ حَاضِرٌ بِعُرَاعِرٍ وَعَلَى كُنَيْبٍ مالِكُ بْنُ حِمَارِ
وَعَلَى الرُّمَيْثَةِ مِنْ سكينٍ حُضَّرٌ وَعَلَى الدُّثَيْنَةِ مِنْ بَنِي سَيَّارِ

عراعر — عُرَاعر: ماءة في الهضب، لاتزال تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد مضى الكلام عليها في رائية امرىء القيس.

كنيب — كُنَيْب: لم أجد في بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم[1]، وهناك

(١) ذكر ياقوت (معجم البلدان ٢٨٧/٧) أن كنيبا ــ بضم الكاف وفتح النون ــ موضع في ديار فزارة لبني شمخ منهم، واستشهد له ببيت النابغة هذا.

موضعان: أحدهما كتيبة، بالتاء وآخره هاء، والآخر: كثيب بالثاء المثلثة، فأما كتيبة: فحصن من حصون خيبر، ذكر في المغازي[1] قال: لما قُسمت خيبر كان القَسْم على نَطَاة والشق والكتيبة، فكانت نطاة والشق في سهام المسلمين، وكانت الكتيبة خمسَ الله وسهم النبي ﷺ وسهم ذوي القربىٰ واليتامىٰ والمساكين وطعم أزواج النبي ﷺ وطعم رجال مَشَوا بين رسول الله وبين أهل فدك بالصلح، ووقع في كتاب الأموال لأبي عبيد «كثيبة» بالثاء المثلثة، والموضع الثاني الذي بالثاء ذكره صاحب معجم البلدان[2] فقال: الكثيب: ــ بلفظ الكثيب من الرمل ــ قريتان في البحرين، يقال: الكثيب الأكبر، والكثيب الأصغر، والذي عناه الشاعر هو الموضع الواقع في خيبر.

الرميثة

أما الرميثة فقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا، وأوضحنا أن هذا الإسم يطلق على وادي الرميثي الذي يصب من شمال جبل النير ويختلط سيله بسيل وادي غثاة، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

الدثينة

الدثينة: يذكرها العرب كثيراً في أشعارهم، غير أن منهم من يذكرها بالفاء، ومنهم من يذكرها بالثاء، فأما الدفينة المشهورة فهو المنهلُ المشهور المعروف بين المويه وعفيف والذي يجاوره جبل الخال، وقد سألت في هذا العام رجلاً من بني سليم، فقلت له: هل عندكم ماءة يقال لها الدثينة؟ قال: نعم هي باقية في بلادنا بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي الحد الفاصل في بلادنا بين الحجاز ونجد، فصح أن هناك موضعين؛ فمن ذكره بالفاء فإنما قصد المنهل الواقع على الطريق بين المويه وعفيف، ومن ذكره بالثاء فإنما يقصد المكان الواقع في بلاد بني سليم.

* * *

(١) انظر معجم البلدان ٢١٧/٧.

(٢) انظر معجم البلدان ٢١٩/٧ وعبارته «الكثيب : قرية لبني محارب بن عمرو بن وديعة من عبد القيس، بالبحرين».

١٩ ـــ وقال النابغة في آخر هذه الرائية :

إنَّ الرُّمَيْثَـةَ مَانِــع أرْمَاحُنَــا مَا كانَ من سَحَمٍ بهَا وصُفَارِ

السَّحَم والصُّفَار نباتٌ معروف، وأما الرميثة فهي كما ذكرنا.

قال مصنف هذا الكتاب: لقيني في بلادنا ذات غسل من الوشم قومٌ من المقطة من جماعة ابن حميد، ومعهم امرأة يقال لها رُمَيْثَة، فسألت أهلها: ماالسبب لتسميتكم هذه المرأة رميثة؟ قالوا: ولدت في وادي الرميثي، ونحن قاطنون على مائه، فسميناها باسم ذلك الموضع الذي ولدت فيه، وقد مضى الكلام على تحديده.

* * *

٢٠ ـــ وقال النابغة :

يَوْما حَلِيمَة كانَا مِنْ قَديمِهِم وَعَيْنُ بَاغٍ فَكانَ الأمْرُ مَاائْتَمرَا
يَاقَوْمِ إنْ ابْنَ هِنْدٍ غَيْرُ تَارِكِكُمْ فلَا تَكُونُوا الأدْنىٰ وَقْعَةٍ جَزَرا

يوم حليمة

يوم حليمة: يومٌ عظيم من أيام العرب، وحليمة: هي بنت الحارث الغساني، واليوم المذكور بين الغسانيين ملوك الشام، واللَّخميين ملوكِ الحِيرَة، قتل في ذلك اليوم المنذرُ بن المنذر بن امريء القيس اللَّخْمي.

عين أباغ

عين أباغ: قال أبو الحسين التميمي النسابة: كانت منازل إياد بن نزار بعين أباغ: رجلٍ من العمالقة، قال أبو نُوَاس[1]:

فما نجدت بالماء حتى رأيتها مع الشمس في عينى أباغ تغور

وعين أباغ ليست بعين ماء، وإنما هي اسم لوادٍ وراء الأنبار، على طريق

(١) معجم البلدان ١/٦٨.

الفرات إلى الشام يقال له «عين أباغ» معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٢١ ــ وقال النابغة في مطلع قصيدة :

بخَالَةَ أو مَاءِ الذّنَابَةِ أوْ سِوَى	مَظِنَّةِ كَلْبٍ أوْ مِيَاهِ الْمَوَاطِرِ

إلى أن قال :

تَظَلُّ الْإِمَاءُ يَبْتَدِرْنَ قَرِيحَهَا	كَمَا ابْتَدَرَتْ سَعْدٌ مِيَاهَ قُرَاقِرِ
اتَطْمَعُ فِي وَادِى الْقُرَى وَجنابِهِ	وَقَدْ مَنَعُوا مِنْهُ جَمِيعَ الْمَعَاشِرِ

خالة والذنابة

قال مصنف هذا الكتاب: أحب أن أزيل الشك عن قارىء هذه الأبيات، فأذكر له أن خالة التي ذكرها النابغة والذنابة ليست بخال الدفينة ولاذنابتها المجاورة لها، بل تلك المواضع واقعة في مفاوز بلاد كلب، وهي معروفة بهذه الأسماء إلى اليوم، ودليل ذلك أنه قرن خالة والذنابة بسوى وقراقر، وجميع هذه المواضع متصل بعضها ببعض في بلاد كلب، قال في الفتوحات: لما عزم خالد بن الوليد على التوجه من العراق إلى جهة الشام، وذلك في سنة اثنتي عشرة في أيام أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه! ــ قيل له: إنها مفاوز لا يجيزها إلا دليل خِرِّيت، فسأل عن الدليل، فذكر له رافع الطائي، فجيء به إليه، وسأله فقال: أتعرف هذه المفاوز؟ قال: قطعتها مع أبي وأنا غلام من ثلاثين سنة، فقال: هل تعرفها؟ فقال: نعم، هذه العبارة قصتها طويلة، فلما مشى بالمسلمين وجعته عيناه، وهو في عرض المسافة، وكان يسأل غلاماً له عن العلامات، وكلما ذكر له علامة قال: اجعلها عن يمينك، أو اجعلها عن شمالك، حتى ورد الماء، فقال الشاعر يمدحه:

لله در رافع قَدِ اهتدى فوز من قراقر إلى سوى
خمسا إذا ماسارها الجبس[1] بكى ماسارها من قبله إنس يرى

وسوى مقصورة، ومدها عبيد الله بن قيس الرقيات لضرورة الشعر، فقال:

وَسَوَاء وقريتان وعَيْنُ التمر خَرْقٌ يكلُّ فيه البعيرُ

وذنابة، وخالة، وسوى، وقراقر، كلُّها في بلاد كلب، وقراقر قريب ذي قار.

وادي القرى — وادي القرى: معروف بهذا الإسم إلى هذا العهد، وهو وادٍ عظيمٌ كثير المياه والنخيل، له ذكر في المغازي، وفي كتاب الفتوحات أنه بين تَبُوك والمدينة، مر عليه رسول الله ﷺ في غزوة تبوك.

* * *

٢٢ — وقال النابغة :

كَأَنَّمَا الرَّحْلُ مِنْهَا فَوْقَ ذِى جُدَدٍ ذَبِّ الرِّيادِ إِلَى ٱلأَشْبَاحِ نَظَّارِ
مُطَرَّدٍ أَفْرِدَتْ عَنْهُ حَلَائِلُهُ
مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ أَوْ مِنْ وَحْش ذِى قَارِ

وجرة — وجرة: قد مضى الكلام عليها في أشعار زهير، وقد مضى الكلام على «ذي قار» في ذكر الوقعة المشهورة بين العرب والعجم.

* * *

(١) «الجبس» — بالكسر — الجامد الثقيل الروح، والفاسق، والجبان، واللئيم، ووقع في معجم البلدان ٤٤/٧ «الجيش» محرفا عما ذكرته، وقد أوردها على الصواب في ١٥٧/٥.

٢٣ ــ وقال النابغة :

كتَمْتُكَ لَيْلاً بالْجَمُومَيْنِ سَاهِرَا وَهَمَّيْنِ هَمًّا مُسْتَكِنًّا وَظَاهِـرَا
أَحَادِيثَ نَفْسٍ تَشْتَكى مَا يَرِيبُهَا وَوِرْدَ هُمُوم لَنْ يَجِدْنَ مَصَادِرَا

الجمومين: أعلم موضعاً يُمْسك الماء في جهة الحجرة، بين لينة وحدود العراق، يقال لهذا الموضع «الجميماء» تصغير الجَمَّاء، وظني أن هذا الموضع هو الذي عناه الشاعر، والجَمُوم: عين جارية عليها زروع وغروس، وهي في مر الظهران الذي يقال له اليوم «وادي فاطمة» وأعرف قريب المدينة هضبة يقال لها «الجما»، والجمَّا والجموم باقيان باسميهما إلى هذا العهد. وأم الجماجم: مَنْهَل معروف في جبل مجزّل يُعَدُّ من مياه البطين التي يقال لها البطينيات؛ وهذه المياه هي: أم الجماجم المذكورة، والدجانى، والقاعية، والأرطاوية، وأم جريف، وجراب، جميعُ هذه المناهل يقال لها البطينيات، فأما منهل الأرطاوية فقد عمر في هذا الوقت الأخير، سكنته مطير ورئيسهم الدويش. قال في معجم البلـدان: ذو جُمَاجم من مياه العمق على مسيرة يوم منه، وقال صاحب معجم البلدان في كلامه على جماءِ المدينـة: وفي كتاب أبى الحسن المهلبى: الجماء اسمُ هضبةٍ سوداء قال: وهما جماوان، يعنى هضبتين عن يمين الطريق للسالك من المدينة إلى مكة، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه: الجمومين

وكان بأكناف العقيق وبيـدِهِ يحطُّ من الجماء ركناً ململما

وفي كتاب أحمد بن محمد الهمذاني: الجماوات ثلاث بالمدينة، فمنها «جماء تُضَارع» التي تسيل إلى قصر أم عامر وبئر عروة وما وإلى ذلك، وفيها يقول أحيحة بن الجُلاح:

إنـى والمَشْعَـر الحـرام ومـا حَجَّتْ قريشٌ له وما نَحَرُوا
لا آخذُ الخُطَّة الدنيَّـةَ ما دام يُرَى من تضارع حجر

ومنه مكمن الجماء، وفيه يقول سعيد بن عبد الرحمن بن حسان بن ثابت:

عفا مكمن الجماء من أم عامر　　فسَلْع عفا منها فَحَرَّةُ واقم

ثم الجماء الثانية «جماء أم خالد» التي تسيل على قصر محمد بن عيسى الجعفري وما والاه، وفي أصلها بيوت لأشعث بن قيس من أهل المدينة، وقصر يزيد بن عبد الملك بن المغيرة النوفلي، وفيفاء الخبار: من جماء أم خالد، والجماء الثالثة «جماء العاقر» بينها وبين جماء أم خالد فسحة، وهي تسيل على قصور جعفر بن سليمان وما والاها، وإحدى هذه الجماوات أراد أبو قطيفة بقوله:

الْقَصْر فالنَّخْل فالجَمّاء بينهما　　أشهى إلى القَلْبِ من أبْوَاب جَيْرُون
إلى البلاط فما حازت قرائنهُ　　دور نزحْنَ عن الفحشاء والهون
قد يكتم الناسُ أسراراً وأعلمها　　وليس يدرون طول الدهر مكنوني

* * *

٢٤ ــ قال النابغة :

فآلَيْتُ لا آتِيكَ إنْ كُنْتُ مُجْرِمًا　　وَلَا أَبْتغِى جَاراً سِوَاكَ مُجَاوِراً
فأهْلِي فِدَاء لامرىء إنْ أتَيْتُهُ　　تَقَبَّلَ مَعْرُوفِي وَسَدَّ المَفَاقِـرَا
سَأكْعَمُ كلبي أنْ يَرِيبَكَ نَبْحُهُ　　وَإنْ كُنْتُ أرْعَىٰ مُسْحُلَانَ وَحَامِرَا

مُسْحُلَان: قد تغير اسمه، وصار الآن يقال له «السحَّل» وهي أودية **مسحلان وحامر**

معروفة بين قرى الجبل وقرى القصيم[1]، معروفة عند عامة أهل نجد بهذا الاسم، وقد أكثر الشعراء من ذكر مُسْحُلَان وقَرَنُوه بحامر، وحامر في بلاد العرب، وأنا أعرف في عالية نجد خمسةَ جبالٍ كلُّهَا يقال لها «حامر» والذي قرنوه بِمُسْحُلَان منها واقع في شرقي بلاد غَطَفان، قال النابغة في غير هذه الرائية[2]:

ليت قَيْساً كلها قد قطعت مُسْحُلَانــاً فحصيــداً فَتُبَــلْ

وحصيد، وتُبَلُ: في عالية نجد الشمالية، وحَصِيد غير حُصَيد الذي يقع بين الكوفة والشام فإن الذي بين الكوفة والشام مصغر بضم الحاء وسكون الياء، وقد أوقع القعقاع بن عمرو في سنة ثلاث عشرة من الهجرة بالأعاجم ومن تجمع إليها من تغلب وربيعة وقعةً منكرةً وقُتِل من الأعاجم في المعركة (روز مهر) و (دوذبة) مُقَدماهم، وكانت هذه الواقعة في ذلك الوادي، فقال القعقاع بن عمرو في ذلك اليوم[3]:

ألا أبلغا أسماء أن خليلها قضىٰ وَطَرا من روز مهر الأعاجم
غَدَاةَ صبحنا في حصيد جموعَهُمْ بِهِنْدِية تَفْرى فِراخ الجَمَاجِمِ

وهذا الوادي المذكور في جهة العراق، وهو ــ كما قلنا ــ في غير الموضع الذي ذكره النابغة، والحصيدات ــ بالضم والتصغير ــ جبل في شعر عدى بن الرقاع[4]:

فَلَمَّا تجاوزن الْحُصيْدات كلها وخَلَّفْن منها كل رَعْن ومَخْرَمِ
تخطَّيْنَ بطن السر حتى جَعَلْنَه يلي الغرب سيل المنتوى المتيمم

وحصيد وتبل اللذان ذكرهما النابغة وقَرنهما بمُسْحُلان في نجد، قال

---

(١) صح عندي أنها بين بلد الكهفة وبين ياطب وفيد، وفيها جبيل يقال له «الحويظ».
(٢) انظر معجم البلدان ٨/٥١ وليس في ديوان النابغة المطبوع.
(٣،٤) معجم البلدان ٣/٢٨٨.

لبيد بن ربيعة العامرى وقد ذكر تُبَلا[1]:

ولقد يعلم صحبي كلُّهم بَعَدَان السِّيفِ صَبْرِى ونَقَلْ
ولقد أغدو وما يَعْدَمُنِي صَاحِبٌ غيرُ طَوِيلِ المُحْتَبَلْ
كلَّ يوم مَنَعُوا جَاملهم ومرنَّاتٍ كآرامِ تُبَلْ
قَدِّمُوا إذ قال قَيسٌ قَدِّمُوا واحْفَظُوا المجدَ بأطراف الأسَلْ

ذكر لبيد الآرام وأضافها إلى تُبَل، وأظن أنه قصد بذلك آرام تَبَالة فقال تبل لضرورة الشعر والحطيئة العبسِي شاعر مُخَضْرَم من شعراء غطفان قرن مُسْحُلَان إلى حامر فقال:

عَفَا من سليمي مُسْحُلَان فحامِرُهْ تَمَشَّى بها ظِلمانه وَجآذِره

وَمُسْحُلَان وحامر اللذان ذكرهما النابغة في موضع السحل اليوم الواقع بين قرى القَصيم وقرى الجبل، وحامر: جبل معلوم بهذا الاسم إلى هذا العهد في شرقي بلاد غطفان، والموضعان قريبان بعضهما من بعض، وقد أكثر القوم من الكلام على مُسْحُلَان وحامر، ومما قالوه أنهما واديان بين العراق والشام، وقال آخرون: هما واديان في بلاد كلب، ولكن من تأمل قول النابغة «وإن كنت أرعى مُسْحُلَان وحامرا» تبين له أنه إنما أراد البعد عن النعمان، والمواضع التي ذكرها الشراح لا تبعد عن النعمان ذلك البعد الذي يوميء إليه قول النابغة، فدل ذلك على أنه إنما يريد مواضع في بلاد قومه، والسحل وحامر باقيان بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٢٥ ــ وقال النابغة :

لَقَدْ نَهَيْتُ بَنِي ذُبْيَانَ عَنْ أَقُرٍ وَعَنْ تَرَبُّعِهِمِ فِي كُلِّ أَصْفَارِ
فَقُلْتُ: ياقَوْمِ إنَّ اللَّيْثَ مُنْقَبِضٌ عَلَى بَرَاثِنِهِ لِعَدْوَةِ الضَّارِى

(١) انظر معجم البلدان ٣٦٤/٢. وانظر ديوان لبيد ١٤ ليدن ١٨٩٢.

إلى أن قال:

اضْطَرّكَ الْحِرْزُ مِنْ لَيْلَى إلَى بَرِدٍ ... تَخْتَارُهُ مَعْقِلاً عَنْ جَشٍّ أعْيَارِ

إلى أن قال:

قَدْ كَانَ وَافِدَ أقْوَامٍ وَجَاءَ بِهِمْ ... وَانْتَاشَ عَانِيَه مِنْ أهْلِ ذِي قَارِ

أقــر أُقُر: قد مضى الكلام عليه في قصائد امرىء القيس، وهو موضع قريب الشربة، وقد أوردنا هناك الشواهد عليه.

ليلى ليلى: يشير في هذا البيت إلى «حرة ليلى» وهي واقعة في بلاد غطفان، يسلكها حاجُّ البصرة إلى المدينة[1]، قيل: إن الوليد بن يزيد بن عبد الملك بعث إلى الرماح بن أبرد المرى الذي يعرف بابن ميادة حين استخلف، فمدحه، فأمره بالمُقَام عنده فأقام، ثم اشتاق إلى وطنه، فقال هذا الشعر، وهو مما يدل على أنها في بلاد بني مرة:

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً ... بحَرّة ليلى حيث ربتَني أهلي
بلادٌ بها نِيطَتْ عليَّ تمائمى ... وقطعن عني حين أدركني عَقْلِي
وهل أسمعَنَّ الدهر أصواتَ هَجْمَةٍ ... تُطَالع من هجل خصيب إلى هجل
تحنُّ فأبكي كلما ذَرَّ شارقٌ ... وذاك على المُشْتَاق قبل من القبل
فإن كنتَ عن تلك المواطن حابسِي ... فأفْشِ عليَّ الرزق واجْمَعْ إذاً شملى

فقال الوليد: اشتاق الشيخُ إلى وطنه، فكتب له إلى مصدّق كلب أن يعطيه مائة ناقة دَهْماء جَعْداء، فأتى المصدّق، فطلب إليه أن يعفيه من وصف الجعودة ويأخذها دُهْما، فكتب الرماح إلى الوليد:

ألم تعلم بأن الحيَّ كلْباً ... أرادُوا في عطيتك ارتدادا

---

(١) انظر معجم البلدان ٣/٢٦٠.

فكتب الوليد إلى المصدّق أن يعطيه مائة ناقة دهماء جعداء، ومائة صهباء، فأخذ المئتين وذهب بها إلى أهله، فجعلت تضيء هذه من جانب، وتظلم هذه من جانب، حتى أوردها حوض البَردَان، فجعل يرتجل ويقول :

ظلت بحوض البردان تَغْتَسِلْ   تشرب منهـا نَهَـلَاتٍ وتُعَـلْ

وقال بشر بن أبي خازم :

عَفَتْ من سُلَيمى رامةٌ فكثيبها   وشَطَّتْ بها عنك النوى وشعوبها
وَغَيّرَهَا ماغير النـاسَ بعدهـا   فباتتْ وحاجاتُ النفوس نَصِيبُهَا
معاليـةً لاهَّـم إلا مُحَجَّـر   وحرة ليلى السهل منها فَلُوبُهَا

ولا أعرف موضعاً باسم «حرة ليلى» في هذا العهد.

بــرد   أما بَرَدُ الذي ذكره النابغة فقد أكثر شعراء غطفان من ذكره، وظني أنه كان في موضع بريدة اليوم، لأن بريدة بلد حديث، وقد مضى الكلام عليها وعلى بَعْثها في أشعار زهير على ذكر القَصيِم، وفيه يقول الفَضْل بن العباس اللَّهبي[1] :

عوجا على ربع سُعْدَى كى نسائله   عُوجَا فما بكما غيٌّ ولا بَعَدُ
إنى إذا حَلَّ أهلى من ديارهِمِ   بَطْنَ العقيق وأمست دارَها بَرَدُ
تجمعنا نِيَّةٌ، لا الخلَّ واصلةٌ   سُعْدَى، ولا دارُنَا من دارهم صَدَدُ

وقال المغترف المالكي :

سائلـوا عن خيلنـا مافَعَـلَتْ   ببني القَيْنِ على جنبي بَرَدْ

---

(١) انظر معجم البلدان ١١٦/٢.

وقد ورد هذا الإسم على اختلاف ضبطه: بَرَد، وبُرْد، وبَرْد، وبَرَدَانِ، وَبَرَدَى، وبَرُود، ويومُ البردين من أيام العرب، وهو يوم الغبيط المشهور، ظفرت فيه بنو يربوع ببني شَيْبان، وفيه يقول مالك بن نُوَيْرة اليَرْبُوعي :

فأقررت عَيْنِى يوم ظَلوا كأنهم ... ببطن الغَبيط خُشْبُ أثْلٍ مُسَنَّدُ
صَرِيعٌ عليه الطيرُ تنقر عَيْنَه ... وآخر مكبولٌ بمالٍ مقيدُ
لَدُنْ غدوةً حتى أتى الليلُ دونهم ... ولا تنتهي عن مَلْئِها منهمُ يَدُ
وأصبح منهم بعد فل لقاؤنا ... بِفَيْفَاءة البردين فَلٌّ مُطَرَّدُ

وقال القَتّال الكلابى :

سمعت، وأصحابي بذي النَّخْل، نازلاً ... وقد يَشْعَفُ النفسَ الشعاع حَبِيبُهَا
دُعَاء بذي البردين من أم طارقٍ ... فيا عَمْرُو هل تبدو لنا فَتُجِيبها

قال في معجم البلدان[1]: البَرَدَان مواضع كثيرة، فالبَرَدَانُ: اسمُ نهرٍ بالشام، واستدل ببيت أبي القاسم الزمخشري:

إلا إن في قلبى جَوى لايبلُّه ... قويقٌ ولا العاصِى ولا البَرَدَانُ

وهذه أنهار بالشام، وقال: البردان بأعلى نخلة الشامية، ثم قال عن نصر: البردان جبل مشرف على وادي نخلة قريب مكة، وقال عن الأصمعي: البردان ماء بنجد لبني عقيل، وقال أبو زياد: البردان في أقصى بلاد عقيل، وقال أيضاً: البردان ماءة لبنى نصر بن معاوية في الحجاز وقال أيضاً: البردان ماء بالسماوة دون الجناب، والبردان أيضاً: ماء للضباب قرب دارة جلجل، وقال أيضاً عن الأصمعي: البردان في جبال الحمى، وقال أيضاً: البردان من قرى بغداد، وقال أيضاً: البردان موضع أسكَنَ فيه بخت نصر اليهودَ حين سباهم، وقال أيضاً: البردان بالكُوفة، وقال أيضاً: البردان

---

(١) انظر معجم البلدان ١١٣/٢ ومابعدها.

نهر بثغر طرطوس، مجيئه من بلاد الروم، ويصب في البحر، والبردان أيضاً: نهر يسقى بساتين مرعش، والبردان أيضاً: سَيْح البردان موضع في اليمامة فيه نخل عن ابن أبى حفصة والبردان: غديران بنجد بينهما حاجز، فهذه رواية المعجم، وأسقطنا منها أكثر الشواهد.

والذي أعرفه بهذا الاسم موضع يقال له «البردان» بين ثرمدا ورغبة، وفي شرقى الكثيب الواقع بينهما، فيه قصر ومزارع، وأعرف موضعاً يقال له «البرود» من قرى السر، فيه مزارع وقصور، وماءة يقال لها «الباردة» في عالية نجد الجنوبية، وبلد «بريدة» التي مر ذكرها، وجبل «برد» في غربي الطائف، ومنها «البرود» بئر كثيرة الماء، تقع في وادي المغمس، يمر بها السالك من مكة إلى نجد، والذي عناه الشاعر موضع بريدة اليوم.

جش أعيار جش أعيار: قال صاحب معجم البلدان[١] هو من المياه الأملاح في بلاد فزارة، مجاور عدنة، وعدنة قد صار اسمها اليوم «بدنة» وأعرف جبيلات صغار يقال لها «أعيار» والجبيلات فيها ماءة ملحة، وربما كانت هي «جش أعيار».

فأما ذو قار، فقد تقدم الكلام عليه في مواضع كثيرة.

* * *

٢٦ ــ وقال النابغة :

فَلَمْ يَكُ نَوْلكم أنْ يقذعُونى وَدُونى عَازِبٌ وَبِلَادُ حجْرِ

عــازب عازب: جبل في اليمامة، وعازب وعارمة متجاوران، فأما عارمة فهي طرف العرمة الجنوبى، وعازب واقع غربيها في جبل اليمامة، وهو الذي

(١) انظر معجم البلدان ١٠٦/٣.

يصب منه وادي نساح ووادي الأوسط ووادي لحا وجميعها قد مضى الكلام عليها عند ذكر اليمامة.

حجـر

وحجر: هو حجر اليمامة الموجود اليوم في الرياض، ولايزال بهذا الاسم. **قلت** لم يعد معروفا، وكان يطلق على بستان بين شارعى الملك فيصل والبطحـاء.

وعازب قد انقطع اسمه.

* * *

٢٧ ــ وقال النابغة :

لَقَدْ قُلْتُ لِلنُّعْمَانِ حِينَ لِقيتُهُ ... يُرِيدُ بَنِى حُنٍّ بِبُرْقَةِ صَادِرِ
تَجَنَّبْ بَنِى حُنٍّ فَإنَّ لِقَاءَهُمْ ... كَرِيهٌ وإنْ لَمْ تَلْقَ إلاَّبصابر
هُمْ مَنَعُوا وَادِي الْقرى عَنْ عَدُوِّهِمِ ... بجَمْعٍ مُبِيدٍ لِلْعَـدُوِّ الْمُكَاثِـرِ
مِنَ الْكَارِعَاتِ الْمَاء بِالْقَاعِ تَسْتَقِي ... بأعْجازِهَا قَبْلَ اسْتِقَاءِ الْحَنَاجِرِ
بُزَاخِيَّـةٌ أَلْـوَتْ بليـفٍ كَأَنَّـهُ ... عَفَاءُ قِلَاصٍ طَارَ عَنْهَا تَوَاجِرِ
هُمُ طَرَدُوا عَنْهَا بَلِيًّا فأصْبَحَتْ ... بلىٌّ بِوَادٍ مِنْ تِهَامَـةَ غَائِـرِ
وَهُمْ قَتَلُوا الطَّائِيَّ بِالْحِجرِ عَنْوَةً ... أَبَا جَابِرٍ وَاسْتَنْكَحُوا أَمَّ جَابِرِ

برقة صادر

برقة صادر: أكثر أهل المعاجم من ذكرها وذكر صادر؛ فمنهم من قال: إنها في الشام، ومنهم من قال: إنها في اليمن، والذي أعرفه بهذا الاسم لم يتغير جبلٌ على طريق المدينة يمر به السالكُ من الحناكية إلى المدينة، ولايزال يقال له «صادر»، وعنده ماءة يقال لها «الصويدرة» يردها السالك لذلك الطريق، وهي التي عناها النابغة، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد.

أما «وادي القرى» قد مضى الكلام عليه.

بزاخة: اختلف أهل المعاجم في تحديدها؛ فمنهم من قال: إنها في بلاد طي، ومنهم من قال: إنها في بلاد بني أسد، والصحيح أنها في بلاد بني أسد، ولا تبعد عن سميراء، وقد نسى اسمها اليوم، ولكن هناك وادياً بين جبال سميراء وجبل رمان يقال له «بزاخ» ولاشك أن بزاخة فيه أو قريبة منه، وإليك رواية صاحب معجم البلدان عنها[1] بتمامها، قال الأصمعي: بزاخة ماء لطي بأرض نجد، وقال أبو عمرو الشيباني: ماء لبني أسد كانت به وقعة عظيمة في أيام أبي بكر الصديق رضي الله عنه مع طليحة بن خويلد الأسدي، وكان قد تنبأ بعد النبي ﷺ، واجتمع إليه أسد وغطفان، فقوى أمره، فبعث إليه أبو بكر خالد بن الوليد، فقدم خالد أمامه عُكَّاشة بن مِحْصَن الأسدى حليفَ الأنصار، فلقيه ببُزَاخة ماء لبني أسد، فقتل عكاشة، وكان عيينة ابن حصن مع طليحة في سبعمائة من بني فزارة، وجاء خالد على الأثر، فلما رأى عيينة أن سيوف المسلمين قد استلحمت المشركين قال لطليحة: أما ترى ما يصنع جيش أبى الفضل؟ يعنى خالد بن الوليد، فهل جاءك ذو النون بشيء؟ قال: نعم قد جاءني وقال لي: إن لك يوماً ستلقاه، ليس لك أوله، ولكن لك آخره، ورَحىً كرَحَاه، وحديثاً لاتَنْساه، فقال: أرى والله أن لك حديثاً لاتنساه، يابني فزارة هذا كذاب، وولَّى عن عسكره، فانهزم الناسُ، وظهر المسلمون، وأسر عيينة بن حصن، وقدم به المدينة، فَحقَن أبو بكر دمه، وخلَّى سبيله، وهرب طُلَيحة فدخل جُبًّا له فاغتسل وخرج، وركب فرسه وأهَلَّ بعمرة ومضى إلى مكة وأتى مسلماً، وقيل: بل أتى الشام فأخذه غُزَاة المسلمين وبعثوا به إلى المدينة فأسلم وأبلى بعده في فتوح العراق، وقيل: بل هو قدم على عُمَر بعد وفاة أبي بكر مسلماً، فقبله، وقال له عمر: أقتلت الرجلَ الصالح عكاشَةَ بن مِحْصَن؟ فقال: إن عكاشة سَعِدَ بي وشقيتُ به أنا، وأنا أستغفر الله، فقال له عمر: أنت الكاذب على الله حين زعمتَ أنه أنزل عليك إن الله لايصنع

(١) انظر معجم البلدان ١٦٠/٢.

بتعفير وُجُوهكم وقُبْح أدباركم شيئاً فاذكروا الله قياماً فإن الرغوة فوق الصريح؟ فقال: ياأمير المؤمنين ذلك من فتن الكفر الذي هَدَمه الإسلام كله، فلا تعنيفَ عليَّ ببعضه، فسكت عمر، وقال القعقاع بن عمرو يذكر يوم بُزَاخة :

وأفلتهُنَّ المِسْحَلَانُ وقد رأى بعينيهِ نِقْعاً ساطعاً قد تَكَوْثَرَا
ويوما على ماء البُزَاخةِ خالدٌ أثار بها في هَبْوة الموت عِثْيَرَا
ومَثَّلَ في حافاتها كلَّ مُثْلَة كفعل كلاب هارشَتْ ثم شَمَّرَا

وقال ربيعة بن مقروم الضبي :

وقَوْمى فإن أنتَ كذبتنــى بِقَوْلِي فاسأَلْ بقومى عَلِيمـاً
بنو الحرب يوماً إذا استلأموا حسبتَهُمْ في الحديِد القُرومَا
فِدًى ببزاخـة أهلـى لهـم إذا مَلَئوا بالجمـوع الحريمـا

وقال جحدر بن معاوية المُحْرزى اللص :

يادار بيـن بُزَاخـة فكثيبهـــا فلوى غبير، سَهْلِهَا أو لُوبِها
سقتِ الصَّبا أطلال رَبْعك مُغْدقا ينهلُّ عارضُها بلبس جيوبهـا
أيام أرعى العين في زهر الصبا وثمار جنات النساء وطيبهـا

هذا آخر عبارة معجم البلدان على ذكر بزاخة، وأنت ترى جَحْدر اللص قرن بُزَاخة بلوى غبير، ودارة غبير لبني الأضبط من بني كلاب، في عالية نجد الشمالية، ولاشك أن بُزَاخة في بلاد بني أسد، ولوى الغبير الذي قُرنت به قريب منه، قال شبيب بن البرصاء :

ألم تر أن الحَيَّ فرَّق بينهم نوىً بين صحراء الغبير لجوجُ

ولا أعلم موضعاً يقال له «غبير» إلا بئراً في بلد الفرعة المجاورة لأشيقر من أعمال الوشم، يقال لها «غبيراء» جاهلية عظيمة الماء، إذا

سقط فيها الرجل لم يُرْجَ خروجه، بل تكون هي مقبرته من بُعْد قعرها ووسع أسفلها، وهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد.

وقد ذكر بُزَاخة أبو عبيد البكرى في معجم ما استعجم وأنشد عليه قول البعيث المُجَاشِعى، يمدح الوليد بن عبد الملك:

وخَالُكَ رَدَّ القومِ يوم بُزَاخة وكـر حفاظا والأسنـــة تردم

والبعيث أراد بخاله قيس بن زهير العبسي، ولا أعلم في بُزَاخة يوماً من أيام العرب إلا يوم خالد بن الوليد على طُلَيحة وكان معه عيينة بن حصن الفزاري وأخوه خارجة بن حصن، والصحيح أن بُزَاخة في بلاد بني أسد، وظنى أن النابغة لم يَعْن بزاخَةَ الواقعَةَ في بلاد بني أسد؛ لأنه لما ذكر وادي القرى ذكر نخَلةً ووصفها بقوله «بزاخية ألوت بليف كأنه ــ إلخ» بزاخة الممدوحة بجَوْدة النَّخْل واقعة في نواحى هجر، كانت مشهورة بهذا الاسم في الزمن القديم، ولا أعلم اليوم لها ذكراً، ومنهم من قال: إن بُزَاخة موضع بلد المبرز اليوم التابع للأحساء.

تهامة تهامة: معلومة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي: ما كان بين جبال الحجاز والبحر، يطلق هذا الاسم على تلك القطعة الواقعة بين عدن والعقبة مما يلي ساحلَ البحر، والشواهد كثيرة، وليس في ذكرها فائدة؛ لأن شهرة اسمها تغنى عن ذكر الشاهد عليها.

الحجـر الحجر: هو الموضع المعروف الذي ذكره القرآن الكريم في شأن قوم صالح عليه السلام، وبه بئر الناقة، وهو يُعَد من وادي القرى، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو الذي عناه جَميل في قوله:

أقول لداعى الحب والحجْرُ بيننا ووادي القرى: لَبَّيْكَ لَمَّا دعانيا
فما أحدث النأىُ المُفَرق بيننا سُلوا ولا طولُ اجتماعٍ تقاليا

وموضعه قريب العلا، بينه وبين تبوك.

٢٨ ــ وقال النابغة :

وَدِّعْ أُمَامَـةَ وَالتَّوْدِيـعُ تَعْذِيـرُ وَمَا وَدَاعُكَ مَنْ قَفَّتْ بِهِ الْعِيرُ
وَمَا رَأَيْتُكَ إلا نَظْرَةً عَرَضَتْ يَوْمَ النُّمارَةِ وَالْمَأمُـورُ مَأمُـورُ
إنَّ الْقُفُولَ إلَى حَيٍّ وَقَدْ بَعُدُوا أَمْسَوْا وَدُونَهُمْ ثَهْلَانُ وَالنِّيـرُ

النمارة النمارة، هضبة سوداء منقطعة من حَرَّة بني سُلَيم، معروفة إلى هذا العهد بهذا الاسم، وهي واقعة في بلاد بني سليم، وبها يوم من أيام العرب، وقد سألت غيرَ واحدٍ من بنى سُليم، فذكروا أنها باقية بهذا الاسم.

ثهلان والنير وثهلان، والنير: جبلان في عالية نجد، باقيان على اسميهما لم يتغيرا، وقد مضى الكلام عليهما وأوضحنا ما يتعلق بهما.

٢٩ ــ وقال النابغة :

ظَلِلْنَـا بِبَرْقَـاءِ اللُّهَيْـمِ تَلُفُّنَـا قَبُولٌ نَكادُ مِنْ ظَلَالَتِهَا نمْسِي
إذَا مَا تَدَاعَتْ منْ كِنَانَة عُصْبَةٌ عَلَيْهَا سَرَاوِيلُ الْحَدِيدِ أولُو بأسِ
هُمُ قَتَلُوا مَنْ قَتَّلُوا مِنْ سَرَاتِنَا وَهُمْ حَبَسُوا الْأَمْلَاكَ بِالْمَحْبِسِ الشَّأْسِ

اللهيم اللُّهَيم: رأيت في معجم البلدان[١] وأخبار المغازى أنها بطنٌ من الأرض في أرض الجزيرة في غربي تكريت، وهو ماء للنمر بن قاسط، يلتهم الماء ويفرغ في السِّهاب، فسمى اللُّهَيم لالتهامه الماء، والذي أعرفه في بلاد العرب موضعان أحدهما يقارب اسمه هذا الاسم، الأول جبلٌ يقال له «ليم» وعنده أبارق يقال لها «برقاء ليم» وهو قريب مسكة المعروفة في الحمى شماليَّ ضرية، في جهة الشمال الشرقي لمسكة على مسافة نصف يوم، والموضع الثاني جبيلات صغار يقال لها «اللهيب» بين سواج وجبل نجخ وأبان، وعندها أبارق يقال لها «برقاء اللهيب» وعندها ماءة يقال لها «بقيعاء اللهيب» وهي قريب أمَّرة، واللهيب هو الذي يقول فيه الأفوهُ الأودي :

(١) معجم البلدان ٣٤٥/٧.

وجرَّد جمعَها بيضٌ خفاف على جنبى تضارع فاللهيب

* * *

٣٠ ــ وقال النابغة

عَفَا ذُو حَسًى مِنْ فَرْتَنَا فَالْفَوارِعُ فَشَطَّا أريكٍ فَالتِّلَاعُ الدَّوَافِعُ
فَمُجْتَمَعُ الْأَشْرَاجِ عَفَّى رُسُومَهَا مَصَايِفُ مَرَّتْ بَعْدَنَا وَمَرَابِعُ
تَوَهَّمْتُ آياتٍ لَهَا مَا عَرَفْتُهَا لِستَّةِ أَعْوَامٍ وَذَا الْعَامُ سَابِعُ

ذو حسى — ذو حسى: قد مضى الكلام عليه في مواضع كثيرة، وهو في بلاد غطفان.

الفوارع — والفوارع: قد تغير اسمها؛ ففى بلاد غطفان هضبة يقال لها «الفارعة» ويمكن أن تكون من الفوارع، قال في معجم البلدان(١): تلال رمال مشرفة، وقال في غير المعجم: كل ما ارتفع من تل أو جبل يقال له فارع.

شطا أريك — شطا أريك: أما أريك فهو جبل في بلاد غطفان قريب النقرة، معروف، له ذكر في كتب المعاجم بهذا التحديد، وأنا لا أعرفه اليوم، إلا أني أعرف جبلاً في تلك الناحية يقال له «ريك» به ماءة، ويمكن أن يكون هو الذي ذكره النابغة، قال رجل من بني مرة يصف ناقة:

إذا أقبلت قلت مشحونة أطاع لها الريح قلعا جفولا
فمرت بذي خُشُب غدوةً وجازت فويق أريك أصيلا
تخبط بالليل حزّانهُ كخبط القوى العزيز الذليلا

ويدل على أن أريكا جبلٌ قولُ جابر بن حنى التغلبى :

---

(١) انظر معجم البلدان ٤٠٣/٦.

تصعد في بَطْحاء عرق كأنها ترقى إلى أعلى أريك بسلم

وقال عمرو بن خويلد أخو بني عمرو بن كلاب :

فكنّا بني أم جميعاً بيوتُنَا ولم يك منا الواحدُ المتفرِّدُ
نفيل إذا قيل اظْعَنُوا قد أتِيتُم أقاموا وقالوا: الصَّبْرُ أبقى وأحمد
كأن أريكا والفوارع بيننا لِثَامِنة من أول الشهر مَوْعِدُ

هذه الشواهد المذكورة تدل على أن أريكا هو الجبل الواقع قريب النقرة والذي يقال له في هذا العهد «ريك» سقطت منه الهمزة، وهناك موضع آخر في بلاد عنزة، وهي أكثبة مرتكمة يقال لها «وريك» بالواو، وقد قتل في هذا الموضع ناس من عنزة، وفي القتلى عقاب العواجى وأخوه حجاب، قتلهم ناس من عبدة بطنٍ من شمر، في معركة قريب وريك المذكور، وأكثر شعراء النبط من ذكر تلك الوقعة، قال التبيناوى وهو من شعراء شَمَّر في قصيدة له :

*** غطا زبار وريك مثل الهماليل ***

وقال ولد العواجى المقتول في قصيدة له يطلب فيها الأخذ بثأر أبيه :

لوى على من قاد عليا ثنيه بدور أبويه عند روس الخواوير

عليا: اسم فرس له، وهي قصيدة طويلة، فأجابه التبيناوي على هذه القصيدة بقصيدة نبطية فمنها قوله:

أبوك ضرب بحربة شوشلية كزه حبيبى كزة الدّلو في البير

ومن هنا يتضح أن أريكا الذي ذكره النابغة هو «ريك» الواقع في بلاد غطفان والذي يسمى اليوم بهذا الاسم، وشطاه: جانباه.

الأشراج فأما «الأشراج» فهي مجارى الماء التي تهبط من الجبال، وتصبُّ في

الحِرار، وتشق بطون الارض، وشرج الذي يعنيه هنا قد مضى الكلام عليه في أشعار النابغة أيضاً.

* * *

٣١ ــ وقال النابغة :

وَقَدْ حَالَ هَمٌّ دُونَ ذَلِكَ وَالِجٌ مَكَانَ الشِّغَافِ تَبْتَغِيهِ الْأَصَابِعُ
وَعِيدُ أبى قَابُوسَ فِي غَيْرِ كُنْهِهِ أَتَانِي وَدُونِي رَاكِسٌ فَالضَّوَاجِعُ
فَبِتُّ كَأَنِّي سَاوَرَتْنِي ضَئِيلَةٌ مِنَ الرُّقْشِ فِي أَنْيَابِهَا السُّمُّ نَاقِعُ

راكس: قد مضى الكلام عليه غير مستقصى، قال العباس بن مرداس السُّلمي: راكس

لأسماء رَسْمٌ أصبح اليوم دارسا وأوْحش إلا رَحْرَحَانَ فراكسا

وقال دواد بن عوف أخو بني عامر بن ربيعة :

وأنا دمَمْنَا الأعلم بن خُوَيلد وحلم عقال إذ فَقَدْنا أبا حرب
إذا ما حَلَلْتُم بالوحيد وراكِسٍ فَذَلك نَصْرٌ طائش عن بني وهب

أما راكس فقد أعياني الوقوف على حقيقته، وبعد طويل البحث والتدقيق وقفت على حقيقته كفلق الصبح، كنت في بلد الشعرى عند تصنيف كتابي هذا، وعندي رجل علامة خبير ببلاد بني عبد الله بن غَطَفان، فعزم على السفر إلى تلك الناحية، فقلت له: ابحث لي عن راكس واعلم أنه يذكر في بعض الأشعار مقترناً برَحْرَحان، فقال: أنا أعرف رحرحان، فقلت: وتجده يُقْرَن في بعض الأشعار بالوحيد، قال: أنا أعرف الوحيد، وهو جُبَيْل صغير ليس عنده جبال، فسمى الوحيد لذلك، فلما عزم على المسير إلى غرضه قال: سآتيك بالخبر اليقين، فغاب شهراً ثم عاد إلينا في بلد الشعرى، فقال لي: وجدت راكساً وهو واقع شرقي ماءة

«بلغة» الماء المعروف بين النقرة واللعبا، قال في وصفه: إنه سناف أسود، وعنده أبرق يسمى «أبرق راكس» فتغلب هذا الأبرق على هذا الاسم فلا يعرف اليوم إلا بلفظ «أبرق راكس» وهو قريب الجبل الشاهق الرفيع، وهو صغير المنظر يقال له «عاج[1]» وراكس وعاج متجاوران، أحدهما قريب من الآخر.

الضواجع الضواجع: قال في معجم البلدان[2]: هي هضاب، ثم قال: هي موضع في قول النابغة الذبياني.

*** ودونـــى راكس فالضواجـــع ***

وأنا لأعرفها بهذا الاسم في هذا العهد، وسألت الخبيرين ببلاد غطفان عن الضواجع فلم أجد لها عندهم ذكرا.

* * *

٣٢ ـــ وقال النابغة في قَسَمه، وهو يعتذر إلى النعمان بن المنذر :

حَلَفْتُ فَلَمْ أتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيبَةً وَهَلْ يَأْثَمَنْ ذُو إِمَّةٍ وَهْوَ طَائِعُ
بمُصْطَحِبَاتٍ من لَصَافِ وَثبرة يَزُرْنَ إلالاً سَيْرُهُنَّ التَدَافُعُ
سمام تُبَارِى الرِّيحَ خُوصاً عُيُونُهَا لَهُنَّ رَذَاياً بِالطَّرِيقِ وَدَائِعُ
عَلَيْهِنَّ شُعْثٌ عَامِدُونَ لِحَجِّهِمْ فَهُنَّ كَأَطْرَافِ الحنىِّ خَوَاضِعُ
لكلَّفتَني ذَنبَ امْرِيءٍ وَتَرَكْتَهُ كَذِى الْعُرِّيكْوَى غَيْرُهُ وَهْوَ رَاتِعُ

لصـــاف لصاف: منهل معروف في الصمان شرقي الدو، وهو في طرف الشواجن من جهتها الجنوبية، وهو من النحائت القديمة من أعلاه إلى أسفله، منحوت في حجر، وطولُه خمسة وثلاثون باعاً تقريباً، على طريق

---

(١) انظر لمعرفة عاج معجم البلدان ٨/٢٦.
(٢) انظر معجم البلدان ٤٤٢/٧.

السالك من نجد إلى الكويت، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال له «اللصافة» واستشهد صاحب المعجم عليه ببيت النابغة المذكور، ولكنه أكثر من الروايات عنه؛ وبعضها صواب وبعضها خطأ؛ فمما أخطأ فيه من رواياته قوله: لصاف ماء بقرب شرج وناظرة، أما شرج وناظرة فهما قريب النباج الذي يقال له اليوم «الأسياح» يمر به حاجُّ العراق فيمكن أن ياقوتاً قصد منهلا على هذا الطريق يقال له «اللصف» لايزال يعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد، فأما الذي أصاب فيه فقوله: قال أبو زيد: لصاف ماء بالدو لبني تميم، هذا صحيح لصاف بالدو، وهي من مياه بني تميم في الزمن القديم، ولم يتغير هذا الاسم إلى اليوم، إلا أن المتأخرين زادوا هاء فقالوا «لصافة».

والدليل على أن لصاف منهل لبني تميم في الجاهلية قولُ المهوس الأسدى[1] وهو يهجو بنى تميم:

قد كُنْتُ أحْسِبكم أسودَ خَفِية ... فإذا لصاف تَبِيضُ فيه الحُمَّرُ
فترفعوا مدح الرئال فإنما ... تجنى الهُجَيْم عليكم والعَنْبَرُ
عضت تميم جلد أيْر أبيكُم ... يوم الوقيط وعاونتها حَضْجَرُ

الوقيط والوقيط: يوم من أيام العرب، ووقيط: منهل معروف إلى اليوم قريبَ أبان يقال له في هذا العهد «وقط» حذفوا منه الياء.

ثبرة ثبرة:[2] اسم ماء من مياه الشواجن، وهو لبنى تميم، لبني مناف بن دارم ولبني مالك بن حنظلة يقال له في هذا العهد في ألْسُن عامة أهل نجد «وبرة» أبْدِلت ثاؤهُ واواً، وهو متاخم للصافة في الجهة الشرقية منها، يبعد عنها مسافة يوم ونصف يوم تقريباً، وهو في المنتصف بين اللصافة وقرية، وبه يوم من أيام العرب، وهو اليوم الذي فر فيه عتيبة بن الحارث بن شهاب

(١) انظر معجم البلدان ٧/٣٢٩.
(٢) معجم البلدان ٣/٦.

وأسّلمه ابنُه حَزْرة بن عتيبة، فقتله جعل ابن مسعود بن بكر بن وائل، وقتل وديعة بن عتيبة، وأسر ربيع بن عتيبة، فنجا عتيبة بن الحارث، وقُتل ابناه حَزْرة ووديعة، وأسر ابنه ربيع، فقال في ذلك اليوم في ابنه حزرة:

نَجَّيْتُ نفسي وتركت حَزْرَه ۝ نعم الفتى غَادَرْتُــهُ بثبــرهْ

والمنهلان معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد، أما لصاف فيقال له في هذا العهد «لصافة» وأما ثبرة فيقال لها في هذا العهد «وبرة».

إلال

إلال: هو جبل عَرَفَة الذي يُحيط به الحجاج يَمْنَةً وَيسْرة يوم الوقوف بعرفة، وهو معروف اليوم عند عامة الناس بجبل الصخرات، واسمه في الجاهلية إلال، وهذا النابغة قد ذكره في شعره في قصيدته العينية، وقال النابغة أيضاً في لاميته التي مدح فيها النعمان بن المنذر:

فأرْسِلْ فِي بني ذُبْيَان فَاسأل ۝ وَلا تَعْجَلْ إليّ عن السُّؤال
فلا عمر الذي أثنى عليـه ۝ وقد رفع الحجيج إلى إلال
لما أغْفَلْتُ شُكْرَكَ فاصطنعني ۝ وكيف ومن عطائك جُلُّ مالي؟

وقال أبو طالب يذكر إلالاً، في قصيدته اللامية المشهورة التي يُدَافع فيها عن رسول الله ﷺ:

وَمَنْ حَجَّ بيتَ الله من كل راكبٍ ۝ ومن كل ذي نَذْرٍ ومن كل رَاجلِ
وبالمَشْعَر الأقْصَى إذا عَمَدُوا لَهُ ۝ إلال إلى مُفْضَى الشِّراج القَوَابل
وتَوْقَافهم فوق الجِبال عشيـةً ۝ يُقيمون بالأيدى صدورَ الرواحل

وقال الرضى الموسوى :

فأقْسِمُ بالوقـوف علـى إلَالٍ ۝ ومَنْ شهد الجِمارَ ومن رَمَاهَا
وَأركـان العقيـق ومَـنْ بَنَاهـا ۝ وزمزم والمَقَـام ومـن سَقَاهـا
لأنْت النفسُ خالصةً وإن لم ۝ تكونيهـا فأنت إذاً مُنَاهــا

وقد أكثر الشعراء من ذكر هذا الجبل باسمه الجاهلي «إلال» وهذا الاسم قد نسي الآن، وقد صار له اسم آخر، وهو «جبل الصخرات» وإذا قيل «مشعر عرفة» فهم يعنونه، وهو يعد من المشاعر في الجاهلية وفي الإسلام.

* * *

٣٣ ــ وقال النابغة :

فَمَا أَنَا فِي سَهْمٍ وَلَا نصْرِ مَالِكٍ   وَمَوْلَاهُمُ عَبْدِ بْنِ سَعْدٍ بطَامِعِ
إِذَا نَزلُوا ذا ضَرغد فَعتَائِداً   يُغَنِّيهِمُ فِيهَا نَقِيقُ الضَّفَادِعِ
قُعُوداً لَدَى أَبْيَاتِهِمْ يُثمدُونَهَا   رَمَى اللهُ في تلْكَ الْأنُوفِ الْكَوَانِعِ

ضرغد ضرغد: قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وله لَابَةٌ عظيمة قد مضى الكلام عليها، واسمه في هذا العهد «ضرغط». أبدلت داله طاء.

عتائد عتائد: قال في معجم البلدان(١): عتائد ماء بالحجاز لبني عوف بن نَصْر بن معاوية خاصة، ليس لبني دهمان فيها شيء، عن الأصمعي، أما هذا الموضع فهو معروف قريب الطائف، وقد تغير اسمه بعض التغير فصار يقال له «عتود»، وهو في بلاد بني عوف بن نصر بن معاوية، وقال أيضاً في المعجم(٢): قال العمراني في هضبات أسفل من أُبر لبني مرة، وهذا الموضع هو الذي عناه النابغة؛ لأنه قريبُ بلادِ بني مرة ولأنه قرنه بضَرْغد وأنا أعرف وادياً يقع بين ضرغد والحائط الذي كان يقال له في الجاهلية «فدك» يعرف بما يقرب من هذا الاسم إلى هذا العهد يقال له «عتاد» في موضع متسع، وهو بين حَرَّتين.

* * *

(١، ٢)معجم البلدان ١١٦/٦.

٣٤ ــ وقال النابغة، وهو مطلع القصيدة التي مدح بها النعمان بن المنذر وقد أوردنا ذكر إلَالٍ منها:

أمِنْ ظَلَّامَةَ الدِّمَنُ الْبَوَالِي بِمُرْفَضِّ الْحَبِّي إِلَى وُعَالِ
فأمْوَاهِ الدَّنَا فَعُوَيْرِضَاتٍ دَوَارِسَ بَعْدَ أحْيَاءٍ حِلَالِ
تَأبَّدَ لَا تَرَى إلَّا صُوَاراً بِمَرْقومٍ عَلَيْهِ الْعَهْدُ خَالِي
تَعَاوَرَهَا السَّوَارِي وَالْغَوَادِي وَمَا تُذْرِي الرِّيَاحُ مِنَ الرِّمَالِ

الحبى: موضع في تهامة، كان لبني أسد وكنانة، وهو الذي قال فيه مُضَرِس بنُ رِبْعي[1]: الحبى

لعمرك إنَّني بِلوَى حُبَى لأرجى عائنا حذرا أزوحا[2]
أرى طيراً تمرُّ ببين سَلْمى وقبل النفس إلا أن تريحا

وحُبّى ــ بالضم وتشديد الباء مقصوراً ــ موضع في قول الراعي، ومنهم من قال: إنه اسم امرأة، ولكنه للموضع أقرب:
أبتْ آياتُ حُبَّى أنْ تُبِينَا لَنَا خَبَراً فأبكين الحزينا.

ولا أعرف الآن موضعاً بهذا الاسم، إلا منهلا قريب نجران يقال له «حبيّة».

وعال أما «وُعَال» فقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وهناك جبل في عالية نجد الجنوبية يقال له «وعلة» ومنهم من يقول له «وعال» وهو جبل طرفه الشمالى منعقد في جبل كرش الواقع قريب الصخة مما يلى مطلع سهيل، وطرف وعال الجنوبى يتصل بحدود ماءة «الكبدى» وهو منهل

---

(١) معجم البلدان ٣/٢١٥.

(٢) وقع في معجم البلدان «أروحا» بالراء المهملة ــ وهو تحريف، صوابه ما أثبتناه بالزاى، والأزوح : المتخلف المتباطىء المستأخر عن المكارم، قال الراجز :

جرى ابن ليلى جرية السبوح جرية لا كاب ولا أزوح

معروف في عالية نجد الجنوبية قد ذكرناه في ذكر الأملاح.

الدنا الدَّنَا: قال في معجم[1] البلدان: إنه موضع بالبادية، وقيل: في ديار بني تميم بين البصرة واليمامة، واستدل ببيت النابغة الذي أثرناه، ثم انتقل إلى موضع ثان، وقال: إنه قريب الكوفة واستدل بشطر بيت للمتنبى :

*** وغَــادَى الأضارعَ ثم الدَّنــا[2] ***

عويرضات عويرضات: موضع، قال عامر بن الطُّفَيل :

وقد صبحـن يوم عويـرضات قبيل الصبح باليمن الحصيبا

وأنا لأعرف موضعاً بهذا الاسم، إلا موضعاً واحداً يقارب اسمه ذلك الاسم، وأظنه الذي عناه النابغة، سِناف بين الشقرة والسواد، منقطع من جبل النير في شرقيه، يقال له «متعرضات» طرفُها الشمالى يتصل بوادي بحار، وطرفها الجنوبى يتصل بوادي المصلوب الذي كان يقال له في الزمن القديم «المسلوق» وغربيها جبل النير، وشرقيها جبل الخوار، وسيول تلك الناحية تصب في وادي طينان الذي يقطعه طريق السيارات بين القاعية وجبل ذريع، وتصب تلك السيول في وادي خنوقة، وخنوقة معروفة بهذا الاسم منذ العهد القديم إلى هذا العهد، قال القُحَيف العقيلى[3]:

تحملن من بطن الخنوقة بعدما جرى للثريا بالأعاصير بارح

وقد ذكرنا تفصيل تلك الأودية التي يصب سيلهُا في وادي الرشاء.

* * *

(١) معجم البلدان ٤/٨٩.

(٢) صدره * ومسى الجميعى دأداؤها * وهو من قصيدة له يهجو فيها كافورا الأسود.

(٣) قلت : وهو القحيف بن حمير بن سليم العقلي : شاعر عده الجمحي في الطبقة العاشرة من الإسلاميين، وكان معاصراً لذى الرمة، له تشبيب بمحبوبته (خرقاء) وعاش إلى يوم (الفلج) الذي قتل فيه يزيد بن الطثريه مات سنة ١٣٠ هـ. انظر الاعلام ٣٠/٦ ــ ٣١.

٣٥ ـــ وقال النابغة من قصيدته التي رثى بها النعمان بن الحارث الغسانى التي مطلعها:

دَعَاكَ الْهَوَىٰ وَاسْتَجْهَلَتْكَ الْمنَازِلُ وَكَيْفَ تَصَابِى الْمرَءِ وَالشَّيْبُ شَامِلُ

إلى أن قال في ذكر راحلته :

وسَلَّيْتُ مَاعِنْدِي بِرَوْحَةِ عِرْمِسٍ تَخُبُّ بِرَحْلِي تَارَةً وَتُنَاقِلُ
مُوَثقَةِ الأنْسَاءِ مَضبُورَةَ الْقَرَى نَعُوبٌ إذَا كَلَّ الْعِتَاقُ الْمَرَاسِلُ
كَأَنِّي شَدَدْتُ الرَّحْلَ يَوْمَ شَدَدْتُه عَلَى قَارِحٍ مِمَّا تَضَمَّنَ عَاقِلُ

عاقل: قد مضى الكلام عليه، يقال له اليوم «العاقلي» يصب في وادي الرمّة، في جهته الجنوبية مما يلي الرس. **عاقل**

* * *

٣٦ ـــ وقال النابغة في هذه المرثية :

فآبَ مُصَلُّوهُ بِعَيْنٍ جَلِيَّـــةٍ وَغُودِرَ بالْجَوْلَانِ حزْمٌ وَنائلُ
سَقَى الْغيْثُ قَبْراً بيْنَ بُصْرَى وَجَاسِمٍ ثَوَى فِيهِ جُودٌ فَاضِلٌ وَنَوَافِلُ
وَلَا زَالَ يَسْقِي بَطْنَ شَرْجٍ وَجَاسِمٍ بِغيْثٍ مِنَ الْوسْمِيِّ قَطْرٌ وَوَابِلُ

الْجَوْلان، وبُصْرى: قد مضى الكلام عليهما. **الجولان**

جاسم: قرية بينها وبين دمشق ثمانية فراسخ، على يمين الطريق إلى طبرية، سميت باسم جاسم بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه: **جاسم**

*** فَقَفَا جاسمٍ فأودية الصفر مَغْنَى قنابل وهجان ***

وقد نسب إليها عدى بن الرقاع العاملي الطائي الشاعر، وقد قال:

لولا الحياة وأن رأسي قد عَسَى فيه المشيبُ لزرْتُ أمَّ القاسِمِ
وكأنها بين النساء أعارها عينيه أحْوَرُ من جآذرِ جاسِمِ
وَسْنَان أقْصَدَه النعاسُ فرنَّقَتْ في عَيْنه سِنَة وليس بنائم

شرج أما شرج فقد مضى الكلام عليه في مواضع كثيرة. وأما شرج الذي ذكره النابغة وقَرَنه بجاسم فهو واد من أودية جاسم، وكل واد يطلق عليه لفظ «شرج».

* * *

٣٧ ــ وقال النابغة :

وَيَنبُتُ حَوْذَانًا وَعوْفاً مُنَوِّراً سَأتْبِعُهُ مِنْ خَيْرِ مَا قالَ قَائِلُ
بَكى حَارِثُ الْجَوْلَان مِنْ فَقْدِ رَبِّهِ وَحَوْرَانُ مِنْهُ مُوحِشٌ مُتَضَائِلُ
سُجُوداً له غَسَّانُ يَرْجُونَ أَوْبَهُ وَتُرْكُ وَرَهْطُ الْأَعْجَمِينَ وَكابِلُ

حارث الجولان، وجولان، وحوران: قد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا.

* * *

٣٨ ــ وقال النابغة، وهو مطلع قصيدته التي ذكر فيها غزوة عمرو بن الحارث الأصغر الغساني لبني مرة :

أَهَاجَكَ مِنْ أَسْمَاء رَسْم الْمنَازِلِ بِرَوْضَةِ نُعْميٍّ فَذَاتِ الْأَجَاوِلِ
أَرَبَّتْ بهَا الْأَرْوَاحُ حَتَّى كأنَّمَا تهَادَيْنَ أعْلَى تُرْبِهَا بالْمنَاخِلِ
وَكُلِّ مُلِثٍّ مُكْفَهِرٍّ سَحَابُهُ كَمِيشِ التَّوَالِى مُرْتَعِنِّ الْأَسَافِلِ

روضة نعمى روضه نعمى: قد مضى الكلام عليها، ولا تكون إلا قريب وادي النعيم الذي ذكرناه في عالية نجد.

ذات الأجاول: لم أجد لها ذكراً في بلاد العرب الآن، ولعل اسمها قد تغير. ذات الأجاول

* * *

٣٩ ــ وقال النابغة :

نَصَحْتُ بَنِي عَوْفٍ فَلَمْ يَتَقَبَّلُوا ... وَصَاتِي، ولَمْ تَنْجَحْ لَدَيْهِمْ رَسَائِلِي
فقُلْتُ لَهُمْ لَا أعْرِفَنَّ عَقَائِلاً ... رَعَابِيبَ مِنْ جَنْبَيْ أرِيكَ وَعَاقِلِ

أريك، وعاقل: قد مضى الكلام عليهما. أريك وعاقل

* * *

٤٠ ــ وقال النابغة :

خِلَالَ الْمَطَايَا يَتَّصِلْنَ وَقَدْ أَتَتْ ... قَنَانُ أُبَيْرٍ دُونَهَا وَالْكَوَاتِلِ
وَخَلَّوْا لَهُ بَيْنَ الْجُبَابِ وَعَالِجٍ ... فِرَارَ الْخَلِيطِ ذِي الْأَذَاةِ الْمُزَايِلِ
وَلَا أعْرِفَنِّي بَعْدَمَا قَدْ نَهَيْتُكُمْ ... أُجَادِلُ يَوْماً بين شرى وَحَائِلِ

قنان أبير القنان غير المضاف إلى أبير قد مضى الكلام عليه، وأما القنان المضاف إلى أبير فلا أعلم موضعاً في بلاد العرب بهذا الاسم في هذا العهد، إلا موضعاً واحداً يقرب اسمه من هذا الاسم، وهو من المدينة في جهة مطلع الشمس يقال له «البوير» ولايزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد.

الكواتل الكواتل: قال في معجم البلدان[1]: الكواثل: جمع كوثل، وهو مؤخر السفينة، واسم موضع في أطراف الشام مر به خالد بن الوليد لما قصد الشام من العراق. واستدل ابنُ السكيت ببيت النابغة المذكور، ثم قال :

---

(١) المعجم ٢٨٩/٧.

الكواتل ــ بالتاء ــ من نواحي أرض ذُبْيَان، تلى أرض كلب.

وأنا أعرف موضعا لايزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد.

الجباب الجباب: عطف عالجا عليها، وقد مضى الكلام عليها.

عالــج عالج: قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وهو الأكثبة المرتكمة عن الأسياح شمالا.

شرى شرى: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، في بلاد طى، وهو من المياه المعروفة في تلك الناحية الشمالية في الجاهلية والإسلام، وقد أكثر الشعراء من ذكره، قالت امرأة من طى(1):

دَعَا دعوة يوم الشرى يالَمَالِكٍ ... ومن لم يُجب عند الحفيظة يكلم
فيا ضَيْعَةَ الفتيان إذ يعتلونه ... ببطن الشرى مثل الفنيق المسدَّل
أما في بني حصن من ابن كريمة ... من القوم طَلَّاب التِّراتِ غشمشم
فيقتل حُرًّا بامرىء لم يكن له ... بَوَاء، ولكن لاتكايل بالدم

وشرى باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقع في جهة «حائل» مما يلي مطلع الشمس على مسافة يوم تقريباً.

حائــل حائل: قد مضى الكلام عليها، وهي عاصمة قرى الجبل، ولاتزال بهذا الاسم إلى هذا العهد، وأميرها اليوم عبد العزيز بن مساعد بن جلوى ابن عم جلالة الملك.

* * *

---

(1) معجم البلدان ٥/٢٤٥، والشرى في هذه الأبيات مقصور كفتى، وفي بيت النابغة بوزن ظبى.

٤١ ــ وقال النابغة :

تحينُ بِكَفَّيْهِ الْمَنَايَا وَتَارَةً تَسِحَّانِ سَحًّا مِنْ عَطَاءٍ وَنَائِلِ
إِذَا حَلَّ بالْأَرْض الْبَرِيَّةِ أصْبَحَتْ كَئِيبَةَ وَجْهٍ غبها غيْرُ طَائِلِ
يَؤُمُّ برِبْعِيٍّ كأنَّ زُهَاءَهُ إِذَا هَبَطَ الصَّحْرَاءَ حَرَّةُ رَاجِلِ

حرة راجل: قد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا. حرة راجل

* * *

٤٢ ــ وقال النابغة في مرثية له في أخيه صحار، وهو أخوه لأبيه وأمه، وأمهما عاتكة:

لايهنأ الناسَ مَا يَرْعَوْنَ مِنْ كَلإٍ وَمَا يَسُوقُونَ مِنْ أهْلٍ وَمِنْ مَالِ
بَعْدَ ٱبْن عَاتِكَةَ الثَّاوِى عَلَى أَبَوَى أَضْحىٰ بِبِلْدَةِ لَاعَمٍّ ولَا خَالِ
سَهْلِ ٱلْخلِيقةِ مَشّاءٍ بِأقْدُحِهِ إلَى ذَوَاتِ الذُّرَى، حَمَّالِ أثْقَالِ
حسْبُ ٱلْخلِيلْينِ نَأْىُ الْأرْضِ بَيْنَهُمَا هَذَا عَلَيْهَا، وَهَذَا تَحْتَهَا بَالِ

أبوى أَبَوَى ــ بفتح الباء ــ الذى ذكر النابغة أن فيه قبر أخيه: اسُم موضع أو جبل بالشام، وأما الذي بسكون الباء مقصوراً فاسم لقريتين على الطريق السالك من البصرة إلى مكة منسوبتين إلى طَسْم وجَديس، واقعتين في القصيم، قال المثقَّبُ العبدي :

أَلَا مَنْ مُبلغ عَدْوان[1] عنى وما يُغْنى التوعُّدُ من بعيد
فإنك لو رأيت رجالَ أبوَى غداة تَسَرْبَلُوا حلَقَ الحديد
إذاً لظننت جنة ذي عرين وآسادَ الغريفة في صعيد

(١) قلت: ومازالت بقايا قبيلة عدوان العربية مقيمة في الجزيرة الفراتية بالقرب من رأس العين في بعض القرىٰ المحيطة بها.

والأبواء: موضع معروف بين مكة والمدينة، ولايزال بهذا الاسم إلى هذا العهد، وقد سئل كثيّر الشاعر: لماذا سميت الأبواء أبواء؟ فقال: لأنهم تبوؤوا بها منزلاً، وهي قريب «الفرع» بينها وبين الجُحْفة مما يلي المدينة ثلاثة وعشرون ميلاً، قال ابن قيس الرقيات :

فمنًى فالجمار من عبد شمسٍ ... مُقْفرات فبلدح فحراء
فالخيامُ التي بعُسْفَان أقْوَتْ ... من سُلَيمى فالقَاع فالأبواء

الأبواء

وبالأبواء قبر آمنة بنت وَهْب أم النبي ﷺ، وكان السبب في دَفْنها هناك أن عبدَ الله والد رسول الله ﷺ كان قد خرج إلى المدينة[1] يمتار تَمْراً فمات بالمدينة، فكانت زوجتُه آمنة بنت وهب بن عبد مناف بن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى بن غالب تخرج في كل عام إلى المدينة تزور قبرهُ، فلما كان رسول الله ﷺ ابَن ست سنين خرجت زائرة لقبره ومعها عبد المطَّلب وأم أيمن حَاضنة رسول الله ﷺ، فلما صارت بالأبواء منصرفة إلى مكة ماتت بها، ويقال: إن أبا طالب زار أخواله بني النَّجَّار بالمدينة، وحَمَل معه آمنة أم رسول الله ﷺ، فلما رجع منصرفاً إلى مكة ماتت آمنة بالأبواء.

* * *

٤٣ ــ وقال النابغة :

بَانَتْ سُعَادُ وأمْسَىٰ حَبْلُهَا انْجَذَمَا ... وَاحْتَلَّتِ الشَّرْعَ فَالْأَجْزَاعَ مِنْ إضَمَا
احْدَى بَلِّي وَمَا هَامَ الْفُؤَادُ بِهَا ... إلّا السَّفَاة وَإلّا ذكرَةً حُلُمَا
لَيْسَتْ مِنَ السُّودِ أعْقاباً إذَا انْصَرَفَتْ ... وَلَا تَبيعُ بجنْبَىْ نَخْلَةَ الْبُرَمَا

(١) المشهور أنه خرج في تجارة قريش إلى الشام، فلما كان في طريقة عائداً إلى مكة مرض فعرج على المدينة ليتمرض فيها عند أخواله ــ وقيل : أخوال أبيه عبد المطلب ــ فمات بها.

الشرع الشرع: وادٍ معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، قريب صفينة به ماءة يقال لها «الشارعة» وهي التي عناها الشاعر.

إضم إضم: هذا الاسم يطلق على مواضع يسمى كل واحد منها بهذا الاسم؛ يطلق هذا الاسم على موضع بالعراق معروف بهذا الاسم، والموضع الثاني: بطن كبير من الأرض في جهة النباج، وهو حنيظل وأبو الدود، وبه قصور ونخيل ومزارع، وهو من قرى الأسياح، والموضع الثالث: وادٍ يصب من الجبال المجاورة للمدينة حتى ينتهي إلى البحر يقال له «إضم» وهو الذي عناه الشاعر، وهو الذي عناه سلامة بن جندل[1] بقوله:

يادار أسْمَاءَ بالعلياء من إضَمِ   بين الدَّكادك من قَوٍ فمعصوب
كانت لها مرة دارا فغيرها   مَرُّ الرياح بسافِي التُّرْب مجلوب

الموضع الرابع: منهل في بلاد العرب، وهو بضم الهمزة، وأنا لا أعرفه بهذا الاسم، وهو الذي قال فيه عنترة العبسي:

عجلت بنو شيبان مدتهم   والبقعُ أستاهَا بنو لأم
كنا إذا نفر المطيُّ بنا   وبدت لنا أحواض ذي أضْمِ
نعدى فنطعن في أنوفهم   نَخْتارُ بين القتلِ والغنمِ

والشرع المتقدم ذكره المجاور لصفينة هو الذي يقول فيه بَشَامة بن الغَدِير[2]:

طن الديار عَفَوْنَ بالجزع   بالدوم بين بحار فالشرع

وهو الذي يقول النابغة فيه أيضاً :

(١) معجم البلدان ٢٨١/١ على اختلاف ضبطه في شعر سلامة وشعر عنترة.
(٢) المعجم ٢٥٢/٥.

لسعدى بشرع فالبحار مساكن   قفار تَعَفَّتْها شَمـاَلٌ فداجـنُ

نخلة   نخلة: ذكروا أن العرب في الجاهلية لهم سوق، إذا أفضت نخلة الشامية على بستان ابن عامر في مكان عين الجديدة اليوم؛ هناك سوق تباع فيه على الحاج موجوداتُ البلاد؛ ومنها البرم، والبرم: أوانٍ من الطين، فيها الكبير والصغير، والكبير منها يطبخ فيه الحمل من الضأن، والصغير يستعمل لشرب الماء، ونخلة الشامية هي التي تمر في عين المضيق وتصب إلى وادي فاطمة جَمِيعُ سيولها، وهي التي يقول فيها كثير:

حلفت برب المُوضِعين عشيةً   وغيطانُ فلج دونهم فالشقائق
يحثون صبح الحر خُوصاً كأنها   بنَخْلة من دون الوحيفِ المطارق
لقد لقيتنا أم عمرو بصادقٍ   من الصرم أو ضاقت عليها الخلائق

* * *

٤٤ ــ وقال النابغة :

هَلا سَأَلْتَ بَنِي ذبْيَانَ مَاحَسَبِى   إِذَا الدُّخَانُ تَغَشَّى الْأَشْمَطَ الْبَرَمَا
وَهَبَّتِ الرِّيحُ مِنْ تِلْقَاءِ ذِي أُرُلٍ   تُزْجِى مَعَ الصُّبْحِ مِنْ صُرَّادِهَا صِرَمَا
صُهْبَ الظلَالِ أتيْنَ التِّينَ عَنْ عُرُضٍ   يُزْجِيَن غَيْماً قليلاً مَاؤُه شَبِمَا

أرل   أرل: موضع ذَكروا أنه في بلاد غطفان، وأنا لاأعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، وامرؤ القيس ذكره بضبط آخر حين قال:

تخطَّف خزان الشَّرّبّة بالضحى   وقد حجرت منها ثعالب أورال

التين   التين : جبل أعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، وهو في بلاد بني أسد، بالقرب من سميراء، وهو معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم في الجاهلية وفي الإسلام، وهذا الجبل قد رأيته، أصله واحد، وأعلاه كأنه جبلان، قال شاعر أسدي[1]:

(١) انظر معجم البلدان ٤٤٤/٢ وفيه «ممنونة رهبا».

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً بأسفل ذات الطلح ممنوعة رهبا
وهل قائل هذاكُمُ التين قد بدا كأن ذرى أعلامه عممت عصبا
ولا شارب من ماء زلفة شربة على الْعَلِّ منى أو مُجِيرٌ بها ركبا

وأنشد شاعر آخر أسدى، وثناه :

أحبُّ مغارب التينين إنـى رأيت الغوث يألفها الغريب
كأن الجار في شَمَجَى بن جرم له نعماء أو نسب قريب

وقال شاعر من بنى فَقْعس، وقد ثناهُ أيضاً :

أرّقنـى الليلَـة برقٌ لامـعُ من دونـه التينانِ والربائـعُ

والربائع قد مضى الكلام عليها، وهي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد قريب التين، وقال العوام بن عبد الرحمن:

أحقّاً ذرَى التينين أن لَسْتُ رائياً قِلَالَكما إلا لعينىَ ساكبُ

وهناك جبل آخر يقال له «تين» واقع جنوبىَّ منهل القنصلية الواقعة في أسفل الوادي وادي الخرمة، يبعد عنها مسافة نصف يوم، وشرقيَّ بلد الخرمة على مسافة يوم أو أكثر، معروف عند عامة أهل نجد بهذا الاسم.

* * *

٤٥ ــ وقال النابغة :

بَاتَتْ ثَلَاثَ لَيَالٍ ثُمَّ وَاحِدَةً بِذِي الْمَجَازِ تُرَاعِى مَنْزِلاً زِيَمَا
فَانْشَقَّ عَنْهَا عَمُودُ الصُّبْحِ جَافِلَة عَدْوَ النُّحُوصِ تَخَافُ الْقَانِصَ اَللَّحِمَا

وفيها :

تَحِيدُ مِنْ أَسْتَنٍ سُودٍ أَسَافِلُهُ مَشْىَ الْإِمَاءِ الغَوَادِى تَحْمِلُ الْحُزَمَا
أوذِي وُشومٍ بِحَوْضَى بَاتَ مُنْكَسِرَا فِي لَيْلَةٍ مِنْ جمَادَى أَخْضَلَتْ دِيَماَ

ذو المجاز

ذو المجاز[1]: واقع في وادي المغمس، إذا قطعت وادي الشرائع المعروف وأنت قاصدُ مكة أتيتَ وادي المغمس في الطريق على يسارك، فإذا أنت حاذيت كَبْكَب فهو هناك، فيه آثار قديمة لاتزال ماثلة إلى هذا العهد، وهو سوق من أسواق الجاهلية المشهورة، ولكن هذا الاسم قد أَمَّحَىٰ واضمحل إلا عند القليل، قال حسان بن ثابت رضي الله عنه يخاطبُ أبا سفيان في شأن أبي أزيهر، وكان الوليد بن المغيرة المخزومى قَفَلَة، وكان أبو سفيان صِهْرهُ، فأراد حَقْن الدماء وأدَّى عَقْلُه[2]، ولم يطالب بدمه، فقال[3]:

غدا أهلُ ضوجَىْ ذي المجاز كليهما وجارُ ابنِ حرب بالمُغَمَّسِ ما يغدو
ولم يمنع العير الضروط ذِماره وما منعت مَخْزاة والدها هندُ
كساك هشامُ بن الوليد ثيابَهُ فأبْلِ وأخْلِقْ مثلها جُدداً بعدُ

وقال المتوكل الليثي :

للغانيات بذى المجاز رسومُ في بطن مكة عَهْدُهُنَّ قديمُ
لاتنه عن خلق وتأتى مثلَه عار عليك إذا فَعَلْتَ عظيمُ

حوضى

حوضى: جبل أسود في عالية نجد لبني عامر بن صعصعة، عند ماءة يقال لها «ورشة» يقع شرقيها، على مسافة نصف ساعة للراجل، وهو معترض شمالاً وجنوباً، من أحد طرفَيْهِ إلى طرفه الآخر مسافة ساعة للراجل، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العَهد لم يتغير منه شيء، وأحببت أن أورد ما حضرني من الشواهد لشعراء[4] الجاهلية وغيرهم، قال أبو خِرَاش الهُذَلى :

---

(١) المجاز فيه بئر باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال لها «ذو المجاز» وهي في الموضع الذي ذكرنا تّحديده، يعرفها جميع أهل تلك الناحية.

(٢) العقل ــ بالفتح ــ الدية.

(٣) انظر معجم البلدان ٧٪٣٨٥.

(٤) انظر جميع هذه الشواهد في معجم البلدان ٣/٣٦٦.

فأقسمَت لا أنسى قتيلا رزئتُهُ بجانب حوضى ما مشيت على الأرض

وقال أبو ذؤيب :

من وحش حوضى يراعى الصيد مبتقلا كأنه كوكب في الجو منفرد

وقرأت في نوادر أبي زياد: حوضى منازل بني عقيل، وفيه حجارة صلبة، ليس بنجد أصلب منها، قال ذو الرمة :

إذا ما بَدَت حوضى وأعرض حارك من الرمل تمشى حوله العين أعفر

لقد صدق غيلان في هذا التشبيه، لأن الحارك المرتفع من الرمل، وحوضى يجاورها عرقُ سبيع وهي في ضفته الشرقية، يرى جبل حوضى من مسافة يوم أو أكثر، وهي أعظم دليل للسفار على ماءة «ورشة» وهي بئر واحدة لكنها لا تنضب على كثرة من يردها. وقد وردت هذا المَنْهل مراراً، ومررت على حوضى في طريقي للاتجار.

وقرأت في بعض الكتب أن أعرابية توفى زوجها فخطبها ابن عم لها، فأطرقت وجعلت تنكت الأرض بأصبعها حتى خَدَّت فيها حفيراً وملأته بدموعها وقد دفن زوجها في سفح حوضى، ثم قالت:

فإن تسألاني عن هَوَاى فإنه مقيمٌ بحوضى أيُّهَا الرجلانِ
وإن تسألاني عن هَوَاي فإنه رهينٌ له بالبث يافَتَيَانِ
وإني لأسْتَحْييه والتربُ بيننا كما كنت أستحييه وَهْوَ يراني
أهابك إجلالاً وإن كنت في الثَّرَى وأكره حقاً أن يسؤك مكاني

فقام الفتى وآيس منها، ثم رآها بعدُ عند قبر زوجها في أحسن زي، فقال لرجل معه: أما ترى فلانة في أحسن زى؟ لقد خرجت متعرضة للرجال، فلما دنت من قبر زوجها التزمته وأنشأت تقول:

ياصاحبَ القبر يامن كان يَنْعَم بي عيشاً ويكثر في الدنيا مُوَاتاتي
لما علمتك تهوى أن ترانِيَ في حَلْى وتهواه من ترجيع أصواتى
فمن رآني رأى حَيْرَى مُفَجَّعَةً بشهرة الزى أبكى بين أموات

ثم شهقت شهقة فارقت معها الدنيا، فدفنت إلى جنب زوجها.

وقال القتال الكلابي(١)، وحوضى من بلاد قومه:

وما أنس مِ الأشياء لاأنس نسوةَ طوالعَ من حوضى وقد جَنَحَ العصر
ولا موقفى بالعَرْج حتى أجنها عليَّ من الْعَرْجَيْنِ أسبرة حمر
طوالع من حوضى الرداة كأنها نواعم من مرّانَ أوقرها النشر
بشرقِيِّ حوضى أخرتنى منازل قفار، جلا لي عن معارفها القطر
تُنِيرُ وتُسْدِى الريح في عَرَصَاتها كما نمنم القرطاسَ بالقلم الحَبْرُ
وخيط نعامى الربد فيها كأنها أباعِرُ ضُلَّال بآباطها نشر

وحوضى: واقعة شرقي عِرق سبيع وغربي جبل الصاقب.

* * *

٤٦ ــ وقال النابغة :

بَاتَ بِحقْفٍ منَ الْبَقَّارِ يَحْفِزُهُ إذَا استَكَفَّ قَلِيلاً تُرْبَهُ انْهَزَمَا
مُوَلِّيَ الرِّيحِ رَوْقَيهِ وَجَبْهَتَهُ كالْهبرقيِّ تَنَحَّى يَنْفُخُ الْفَحَمَا

البقار: المواضعُ التي أعرفها بما يقرب من هذا الاسم في هذا العهد منها «أبقار» وهي أودية وسنفان بين منهل عفيف ومنهل القاعية على الطريق السالك من مكة إلى الرياض، وموضع «أبقار» بين المنهلين، وهي التي قال فيها صاحب المعجم(٢): هي من الحمى، واستدل بقول الشاعر: البقار

(١) مرت ترجمته.

(٢) معجم البلدان ٢/٢٥٠.

إلّا كداركُمُ بِذى بقَرِ الحمى   هيهات ذو بقَرٍ من المزدار

وقال القُحَيف العقيلي وهو يقصد «أبقارا» المشار إليها، لأنه من أهل تلك الناحية:

فياعجبا منى ومن طارق الكَرَى   إذا منع العين الرقاد وسهدا
ومن عبرة جاءت شآبيبَ إنْ بَدَا   بذى بَقَرٍ آيات ربع تأبـدا

وأعرف وادياً يقرب اسمه من هذا الاسم إلى هذا العهد، وهو واقع بين الزلفى والأرطاوية، يقال لذلك الوادى «بقر»، وأعرف منهلا في عالية نجد يعد من الأملاح، يقال له «البقرة» وهو من أعذب الأملاح، وأعرف مخلافاً من مخاليف الطائف يقع جنوبي الطائف يقال له «بقران».

* * *

٤٧ ــ وقال النابغة :

حَتَّى غَدَا مِثْلَ نَصْلِ السَّيْفِ مُنْصَلِتاً   يَقْرُو الأَمَاعِزَ مِنْ لُبْنَانَ وَالْأَكَمَا
وَغَارَةٍ ذَاتِ أَظْفَـارٍ مُلَمْلَمَـةٍ   شَعْوَاءَ تَعْتَسِفُ الصَّحْرَاءَ وَالْأَكَمَا
أَقْدَمْتُها وَنَوَاصِى الْخَيْلِ شَاحِبَةٌ   جَرْدَاءَ عِجْلِزَةٌ أرمى بِهَا قُدُمَا

لبنان

لبنان: شهرته تكفي عن تحديده، ولكني أحب أن أورد عبارة صاحب معجم البلدان[1] قال: لُبْنَان ــ بالضم وآخره نون ــ قال رجل لآخر: لي إليك حُوَيجة، فقال: لا أقضيها حتى تكون لبنانية، أي مثل لبنان، وهو اسم جبل، وهو فُعْلَان منصرف، كذا قال الأزهرى، ولبنان: جبل مطل على حمصٍ، يجىء من العرج الذي بين مكة والمدينة حتى يتصل بالشام، فما كان بفلسطين فهو جبل الحَمَل، وما كان بالأردن فهو جبل الجَليل،

(١) معجم البلدان ٧/٣٢٠.

وبدمشق سنير، وبحلب وحماة وحمص لبنان، ويتصل بأنطاكية والمصِّيصة فيسمى هناك اللُّكَامَ، ثم يمتد إلى ملطية وسُمَيْساط وقاليقلا إلى بحر الخَزَر فيسمى هناك القَيْق، وقيل: إن في هذا الجبل سبعين لساناً، لايعرف كل قوم لسانَ الآخرين إلا بترجمان، وفي هذا الجبل المسمى لبنان كورة بحمص جليلة، وفيه من جميع الفواكه والزروع من غير أن يزرعها أحد، وفيه يكون الأبدال من الصالحين، وقال أحمد بن الحسين بن حيدرة المعروف بابن الخراساني الطرابلسي(١):

دَعُونِى لَقىً في الحرب أطفو وأرْسُبُ ... ولا تنسبوني فالقواضب تنسب
وإن جهلَتْ جُهّال قومي فضائلي ... فقد عرفَتْ فضلى مَعَدٌّ ويعرب
ولا تعتبوني إذ خرجت مُغَاضباً ... فمن بعض مابي ساحلُ الشام يغضَبُ
وكيف التذاذي ماء دجلة معرقا ... وأمواه لبنان ألَذُّ وأعذب
فمالي وللأيام لا دَرَّدَرُّها ... تُشَرق بى طَوْراً وطَوْراً تغرب

* * *

٤٨ ــ وقال النابغة :

أَبْلِغْ بَنى ذُبْيَانَ أَنْ لَا أخالَهُمْ ... بعَبْس إذَا حَلُّوا الدّمَاخَ فَأظْلَمَا
بِجَمْعٍ كَلَوْنِ ٱلأَعْبَلِ الْجَوْنِ لَوْنُهُ ... تَرَى في نَوَاحِيهِ زُهَيْراً وَجِذْيَمَا

دماخ: لا أعرف موضعاً بهذا الاسم إلا جبلاً مشهوراً في عالية نجد يقال له «دمخ» وهو باقٍ على اسمه إلى هذا العهد، وقد مضى الكلام عليه. دماخ

(١) قلت: هو أحمد بن الحسين بن حيدرة، أبو الحسين، المعروف بابن خراسان: شاعر، من أهل طرابلس الشام. كان هجاءاً هجا فخر الملك وأخاه فأمر به فضرب حتى مات. ودفن بطرابلس. له «ديوان شعر» كان مترفاً في حياته، أورد له سبط ابن الجوزي أبياتاً، قال الحافظ ابن عساكر إنه عملها في بركة له في طرابلس. انظر الأعلام ج ١/١١٣.

فأما «أظلم» فأنا أعرفه، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، تراه بعينك إذا كنت في الحناكية، يقع في غربيها الشمالي على مسافة أقل من نصف يوم، وهو الذي قال فيه[1] كثير: أظلم

سقى الكُدْر فاللَّعْباء فالبرق فالِحمىٰ فَلوْذَ الحصى من تَعْلَمَين فأظْلمَا

وأظلم معروف عند جميع أهل نجد في تلك الناحية التي ذكرنا، والمواضع التي ذكرها كثير في هذا البيت ــ وهي: الكدر، واللعباء، والبرق ــ كلها باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، يطوف عليها الراكب في يوم ونصف يوم، أما أظلم ففي شماليها وأما اللعباء ففي جنوبيها.

وقد كنت في الحناكية ضيفاً عند أحمد بن نيف العلوي في أواخر الحرب العظمىٰ سنة ١٣٣٧ هجرية، فبينا نحن في قصره نشرب القهوة سألت أهل تلك البلد عن جبل معترض أسْوَدَ فقالوا: هذا الجبل أظلم، وقد كنت رأيت ذكره في الأشعار وفي كتب المعاجم، فغربت الشمس عنا ونحن جلوس مما يلى طَرَفهُ الغربى، ولا يبعد أظلم عن الحناكية أكثر من نصف يوم.

أما جبل دماخ فقد ذكرت أني لا أعرفه ولا أعرف موقعه، إلا أني خرجت من الحناكية يوماً وسرت متجهاً إلى جهة الشرق قاصداً قريات الحمى مسكة وضرية، فلما خلفت جبل رَحْرَحَان المتاخِمَ للحناكية الواقعَ في جنوبيها التفتُّ على يميني ثم سألت رجلاً في صحبتنا من أهل تلك الناحية: ما هذه الهضبة؟ فقال: هي «الدمخاء» وأعتقد أن الدمخاء هذه هي دماخ الذي ذكره النابغة، فلما خلفنا الدمخاء المذكورة التفتُّ على يميني فرأيت أبرق رمِلٍ مرتفعاً إلى السماء في أرض مصطحبة، فقلت لصاحبي: ما هذا الأبرق؟ فقال: هذا «قوز اللعباء» الذي تسمع به، نفع

(١) : معجم البلدان ٢٨٨/١.

الله الناس به، فقلت: ما سبب المنفعة؟ قال: إن به جنّاً يسكنونه، فإذا اشتكى المريضُ خرجوا به إلى هذا القوز، فيذبحون عنده ويهدون إليه الحلى والحلل وخواتم المرضى. فقلت له: إلى هذا العهد؟ فقال: إلى هذا العهد، ولكنه قد قل اليوم خوفاً من تأديب الحكومة، وهذه إحدى خرافات الأعراب المقيمين في بلاد غَطَفان، وثمة خرافة أخرى لأعراب عتيبة تتعلق بأبرق خنوقة الذي على طريق مكة، إذا قطعت وادي الرشا وأنت قاصد مكة وخَلَّفت جبل ذريّع جهة منكبك الأيسر ثم التفت إلى يمينك رأيت هضبة شهباء بها أبرق رمل له ذكر في أشعار العرب بهذا الاسم إلى هذا العهد، ولكن هذه الخرافات انقطعت ببركة جلالة الملك وهمته وإقامته معالم الدين وإزالته البدع والخرافات.

وسبب نزول أحمد بن نيف بلَدَ الحناكية الذي كنت ضيفاً عنده أنه لما كانت الحربُ العظمىٰ أخرج فخري باشا جميعَ قبائل حرب من المدينة المنورة وضواحيها، فتفرقوا في البلاد، ونزل جماعة من بني على وغيرهم بلد الحناكية، وبنو على المقيمون في العوالي الذين منهم أحمد بن نيف المذكور جميعُهم رافضة، إلا هذا الرجل، وجدته شافعيَّ المذهب، له تُقىً ودين، فقلت له: ما السبب في تركك مذهب قومك؟ قال: هلك والدي وأنا في حجر والدتي، فتزوجها رجل من أهل المدينة شافعي المذهب عالم في شرائع الإسلام، فربَّاني ونشأتُ على تربيته، وأحمد الله الذي وفَّقني وأخرجني من هذه الطغمة الضالة، وليس لهذا الرجل إلا الدعاء له بالجنة.

* * *

٤٩ ــ وقال النابغة :

كَأَنَّ الشَّذْرَ وَالْيَاقُوتَ مِنْهَا عَلَى جَيْدَاءَ فَاتِرَةِ الْبُغَامِ
خَلَتْ بغَزَالِهَا وَدَنَا عَلَيْنَا أَرَاكُ الْجزْعِ أَسْفَلِ مِنْ سَنَامِ

تَسُفُّ بَرِيرَهُ وَتُرُودُ فِيهِ ... إِلَى دُبُرِ النَّهَارِ مِنَ الْقَسَامِ
كَأَنْ مُشَعْشَعاً مِنْ خَمْرِ بُصْرى ... نَمَتْهُ البخت مَشْدُودَ الْخِتَامِ
نَمَيْنَ قِلاَلَهُ مِنْ بَيْتِ رَأْسٍ ... إِلَى لُقْمَانَ فِي سُوقٍ مُقَامِ

سَنَام: أعرف ثلاثة مواضع يقال لكل واحد منها سنام، اثنان منها في بلاد العرب، والثالث قلعة أحدثها المقنع الخارجي، وهي التي عناها مالك ابن الرَّيْب في قوله حين خرج مع سعيد بن عثمان بن عفان إلى خراسان: سنام

تُذَكِّرني قبابُ الترك أهلي ... ومبدأهم إذا نزلوا سناما
وصوت حمامة بجبال كِشٍ ... دَعَتْ من مطلع الشمس الحَمَامَا
فبتُّ لصوتها أرِقاً وباتت ... بمنطقها تُرَاجِعُني الكلاما

والموضعان اللذان في بلاد العرب أحدهما جبل مجاور لبلد الزبير يقال له «سنام» وذكروا فيه أخباراً كثيرة أغلبها قريب من الخرافات، قالوا: إن بجنبه ماء كثير السافي، ولا شك أنه ماءة سَفَوان، قال صاحب معجم البلدان(١): إنه أول ماء يرده الدجال من مياه بلاد العرب، وذكروا في رواية ثانية أنه سار من الحجاز حتى وقف مكانه الآن متاخماً لبلد الزبير، ونباته الذي فيه من نبات جبال الحجاز: القطف، والإذخر، والقيا، كلُّها موجودة فيه، وقالوا: إن ذلك الجبل طريقه وادي الرمة الذي يصب من قريب الحجاز وينتهى قريب الزبير، ولكن هذه خرافات لايتصورها العقل وقد اختصرناها، وهذا الجبل قريب من الزبير، ولم أر فيه أشعاراً وهو أشهر الموضعين المعروفين بهذا الاسم إلى هذا العهد، والجبل الثاني جبل صغير له رأس في بلاد غطفان، قريب ماءة المرير، يقال له «سنام» وهو الذي قال فيه شاعر من غطفان:

شربن من ماوانَ ماء مُرًّا ... ومن سَنَام مثلَه أوشَرَّا

(١) انظر معجم البلدان ٥/١٤١.

أما قوله «من ماوان» فإنه قصد ماءة الموية التي تحت جبل ماوان، وهي من أَمَرِّ المياه، وقصد بسنام ماء المرير الذي يقول فيه الأعرابى حين مجت ناقته الماء:

هذا المريرُ فاشربَيه أو ذَرِى إن المَرِيَر قطعة من أخْضَرِ

وهذا الجبل يدخل في ذكر الحِمَيَيْنِ: حمى الرَّبَذَة، وحمى ضرية، وهو الذي يقول فيه الشاعر.

أحقًّا عبادَ الله أن لستُ ناظراً سَنَامَ الحمى أخْرىَ الليالى الغوابر
كأنَّ فؤادى من تَذَكُّره الحِمَى وأهلَ الحمى يهفو به ريشُ طائر

وهذه الأبيات للصمة بن عبد الله القُشَيرى، قالها وهو مريض في «طبرستان» وهي في قصيدة طويلة، ومات هناك من ذلك المرض.

بصرى بصرى: قد مضى الكلام عليها.

بيت رأس بيت رأس: اسم لقريتين(١) في كل واحدة منهما كروم كثيرة ينسب إليهما الخمر: إحداهما بالبيت المقدس، وقيل: بيت رأس كورة بالأردن، والأخرى من نواحي حلب؛ قال حسان بن ثابت:

كأنَّ سبيئةً من بيت رأسٍ يكون مزاجَهَا عسلٌ وماء
فنشربهـا فتتركنـا مُلوكـا وأسداً ما ينهنهنـا اللقـاء

وهذه الأبيات من قصيدة لحسان بن ثابت رضي الله عنه قالها في فتح مكة؛ مطلعها:

عفت ذاتُ الأصابع فالجواء إلـى عذراء منزلُهَـا خلاء

وقال أبو نواس يذكر بيت رأس :

(١) معجم البلدان ٣٢١/٢.

دِثار من غنية أو سليمـى أو الدهماء أخت بنى الحماس
كأن معاقـد الأوضاح منهـا بجيد أغنَّ نوم في الكِنَاسِ
وتبسم عن أغر كأن فيـه مُجَاج سلافة من بيت راس

* * *

٥٠ ــ وقال النابغة :

وَلٰكِنْ مَا أَتَاكِ عَنِ ابْنِ هِنْدٍ مِنَ الْحَزْمِ الْمُبَيِّنِ وَالتَّمَامِ
فداء ما تُقِلُّ النعلُ منى إلى أعْلى الذُّؤابَةِ للْهُمَامِ
وَمغْــزَاهُ قَبَائِــلَ غَائِظَـــاتٍ عَلَى الذِّهْيَوْطِ في لِجَبٍ لُهَامِ

إلى أن قال :

وَأَنَّ الْقَـوْمَ نَصْرُهُـمُ جَمِيـعٌ فِئَـام مُجْلِبُونَ إِلَــى فِئَـامِ
فَأَوْرَدَهُـنَّ بَطْـنَ الأتـم شُعْثاً يَصُنَّ الْمَشْيَ كَالْحِدَاء التُّؤَامِ

ذهيوط، لاأعرفه بهذا الاسم في بلاد العرب، ولاأعرفه في غيرها، إلا أن صاحب معجم البلدان[١] قال: ذَهْوطَ على مثال قسور: موضع عن ابن دريد، وقال أيضاً: ذهيوط ــ بوزن عِذْيوط ــ واستدل ببيت النابغة الذي أوله «ومغزاه». ذهيوط

الأتم: قيل: إنه موضع بالعراق، والرواية الثانية أن الأتم قُرىً واقعة في حَرَّة بنى سليم، بينها وبين المسلح تسعة أميال، وهي من منازل حاج البصرة القاصدين لمكة، وقال ابن السكيت[٢] : الأتم اسم جامع لقريات أربع: حاذة، ونقيا، والمحدث، والقيا، وأنا لاأعرف موضعاً بهذا الإسم ولا قرية من تلك القرى، إلا حاذة فإنها باقية بهذا الاسم في بلاد بني سليم، الأتم

---

(١) معجم البلدان ٤/٢٠٠.
(٢) معجم البلدان ١/١٠٥.

وقريب منها صفينة والسوارقية، وقريب منها بلد المهد المعدن المعروف في بلاد بني سليم، وقد ذكر عمرو بن كلثوم الأتم في قصيدة له حين قال:

صَبَحْنَاهنَّ يوم الأتم شعثاً فَرَاسا والقبائـل من غِفـــار

ويمكن أن هذا الاسم باق في ألسن سكان تلك الناحية إلى هذا العهد بلفظة الأتم.

* * *

٥١ ــ وقال النابغة :

يُوَصِّيـنَ الـــرُّوَاةَ إذَا ألَمُّــوا بشُعْثٍ مُكْرَهِينَ عَلَى العِظَامِ
وَأضْحَى سَاطِعاً بِجبالِ حِسْمَى دُقَاقُ التُّـربِ محتـزِمَ القَتَـامِ
فَهَـــمَّ الطَّالِبُـــونَ لِيُدْركُـــوهُ وَمَا رَامُوا بِذَلِكَ مِنْ مَرَامِ
إلَى صَعْبِ المغـارَةِ مُنْـذِرِيٍّ نَمَاهُ في فروع الْمَجْدِ نَامِي

حسمى حِسْمَى: أحببت أن أورد عبارة كاملة لصاحب المعجم على حسمى، وهي(١) يجوز أن يكون أصلها من الحسم، وهو المنع، وهي أرض ببادية الشام، بينها وبين وادي القرى ليلتان، وبين وادي القرى والمدينة ست ليال، قال الراجز:

جاورن رمـل أيلـة الدَّهَّـــاسَا وبَطْنَ حِسْمَى بلـداً هِرْمَاسَا

أي واسعاً، وأيْلَة: قريبة من وادي القرى، وحسمى: أرض غليظة، وماؤها كذلك، لاخير فيها، تنزلها جُذَام، وقال ابن السكيت: حسمى لجذام، جبال وأرض بين أيْلَة وجانب تيه بني إسرائيل الذي يلى أيْلَة، وبين أرض بنى عُذْرَة من ظهر حرة نهيل، فذلك كله حسمى، قال كثير :

---

(١) معجم البلدان ٢٧٦/٣.

سيأتي أمير المؤمنين ودونهُ جماهيرُ حِسْمىٰ قُورهَا وحُزُونُهَا
تجاوب أصدائي بكل قصيدةٍ من الشعر مُهْدَاةً لمن لا يُهينها

ويقال: آخر ماء نَضَبَ من ماء الطوفان حسمى، فبقيت منه هذه البقعة إلى اليوم، فلذلك هو أخبث ماء، وفي أخبار المتنبي وحكاية مسيره من مصر إلى العراق قال:

حسمى أرض طيبة، تؤدي لين النخلة من لينها، وتنبت جميع النبات، مملوءة جبالاً في كبد السماء متناوحة مُلْس الجوانب إذا أراد الناظر النظر إلى قُلَّة أحدها فتل عنقه حتى يراها بشدة، ومنها مالا يقدر أن يراه، ولا يكاد القتامُ يفارقها، ولهذا قال النابغة :

فأصبح عاقلا بجبال حسمى دقاق الترب محتزمَ القَتامِ

واختلف الناس في تفسيره ولم يعلموه، ويكون مسيرةَ ثلاثةِ أيام في يومين، يعرفها مَنْ رآها حيث يراها، لأنها لا مثيل لها في الدنيا.

ومن جبال حسمى جبل يعرف بإرَم عظيم العلو، تزعم أهل البادية أن فيه كروماً وصنوبراً، وفي حديث أبى هريرة رضي الله عنه «تُخْرِجُكم الرومُ منها كَفْراً كفراً إلى سنبك من الأرض» قيل له: وما ذلك السنبك؟ قال: «حسمى جذام» وقرأت في بعض الكتب أن بعض العرب قال: إن الله اجتبى ماء إرَم والبَدِيعة ونَعْمان وعَلَلَان بعباده المؤمنين، وهذه المياه كلها بحسمى، وفي كتب السير وأخبار نوح أن حسمى جبل مُشْرِف على حَرَّان قرب الجودى، وإن نوحاً نزل منه فبنى حران،(1) وهذا بعيد من جهتين: إحداهما أن الجودى بعيد من حران، بينهما أكثر من عشرة أيام، والثانية أنه لايعرف بالجزيرة جبل يقال له حسمى.

أما ذو حسم الذي ذكره لبيد في شعره فإنه غير حسمى التي ذكرها النابغة والتي أوردنا عليها الشواهد، وأصح ماورد في حسمى العبارة التي

---

(1) قلت : وحران اليوم ولاية من ولايات تركيا تبعد عن الحدود السورية قدر ثمانية أميال.

أوردنا، وأهل تَبُوك يرون جبل حسمى في غربيهم وفي شرقيهم وشرورى، وهذه أبيات لبيد في ذي حسم[1].

لِيَبْكِ على النعمان شَرْبٌ وقَيْنَة ومختبطات كالسَّعَالِي أرامِلُ
له المُلْكُ في ضاحى معد، وأسلمت إليه العباد كلُّهَا ما يحاولُ
فيوماً عناةٌ في الحديد يكفُّهم ويوماً جيادٌ مُلْجَمات قوافلُ
بذى حُسَم قد عُرِّيَتْ ويزينها دِمَاثُ فيج رَهْوُهَا والمحافل

وذو حسم لاأعرفها بهذا الاسم في بلاد العرب، أعرف حسلات، وهي هضبات بين شُعَبَى وبين عريق الدسم، معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٥٢ ــ وقال النابغة :

طَلَعُوا إلَيْكَ برَايَةٍ مَعْرُوفَةٍ يَوْمَ ٱلأنِّيسِ إذْ لَقِيتَ لَئِيمَا
قَوْمٌ تَدَارَكَ بِالْعُقَيْرَةِ رَكضُهُمْ أولاد زرْدَة إذْ تَرَكْتَ ذَميمَا

الأنيس: لاأعلم في بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم، إلا أنى أعرف جبلا أحمر منقطعاً من جبيلات ظخفة الواقعة في عالية نجد، يقع في جنوبيها بين وادي الريان وجبال كبشات يقال له «إنسان» في هذا العهد، كأنه إنسان واقف، وهو الذي يقول فيه الراجز[2]: الأنيس

خَلِيــة أبوابهـــا كالطيقـــان أحمى بها الملك جنوب الريَّان

فكــــبشات فجنوبــــى إنسان

والريان الذي قرن بإنسان: وادٍ عظيم بين ظخفة وغول، قد مضى الكلام

(١) انظر معجم البلدان ٢٧٦/٣.
(٢) انظر معجم البلدان ٣٥٢/١.

عليه في معلقة امرىء القيس، ليس بجبل، ويمكن أن النابغة قصد هذا الجبل المسمى اليوم بإنسان.

العقيرة

العقيرة: لاأعرف في بلاد العرب موضعاً بهذا الاسم، واعرف موضعاً يقرب اسمه من هذا الاسم، وهو مرسى هجر، يقال له «العقير» في هذا العهد، ويمكن أن اسمه كان في الجاهلية العقيرة، لأن صاحب معجم البلدان قال: العقيرة مدينة على البحر، بينها وبين هجر ليلة، والمواضع التي تقارب هذا الاسم كثيرة: منها «عقار» موضع قريب اليمامة، وفيه وقع يوم عقار على بني تميم وكان فارسهم شهاب بن عبد قيس، فقتله سيار بن عبيد الحنفي، وفي ذلك يقول شاعرهم:

وأوسَعْنَا بنى يربوعَ طَعْنا فأجْلَوْا عن شهابٍ بالعُقَار

هذا عقار الواقع في اليمامة، وهو الذي يقول فيه الضبابى حين أخذت ناقته إلى معاذ بن الأقرع القشيرى(١):

قلت لها بالرمل وهي تَضْبَع رمل عقارٍ والعيونُ هُجَّع
بالسلع ذاتِ الحَلَقات الأربع ألِمُعَاذٍ أنت أم للأقرع

وهذا الموضع واقع قريب الأملاح من مياه الدبول قريب كثيب الدحى، وهو الذي يقول فيه الفرزدق:

أقول لصاحِبىَّ من التَّعَزى وقد نكبن أكثبة العقار
أعِينَانى على زفرات قلبٍ يحنُّ برامتين إلى البوار
إذا ذكرت منازله استهلَّتْ مدامعُ مسبلِ العَبرَات جَارِى

وهناك جبل في عالية نجد في جنوبيها يقال له «العاقر» وهناك جبال

(١) معجم البلدان ١٩١/٦ وفيه أن عقار اليمامة بضم أوله، والذي في شعر الضبابى بفتح أوله.

متصلة بمنهل البديعة الماء المعروف في عالية نجد يقال لها «العقر» وهناك جبل في عرض بنى شمام مرتفع إلى السماء يقال له «العاقر» وجميعُ هذه المواضع المذكورة باقية بهذه الأسماء إلى هذا العهد، هذا الذي أعرفه من جبال نجد، فأما لفظ العقر فإنه يطلق على كل قصر منيع، ويطلق على الدار، قال لبيد في ذكر[1] القصر:

كعقر الهاجري إذا ابتناه بأشباه حُذِينَ على مثال

وبنو شليل من بجيلة، وشليل هو جد جرير بن عبد الله البَجَلى، قال تأبط شراً في قصر بنى شليل:

شنئتُ العقر عقر بني شليل إذا هَبَّتْ لقارئها الرياح

ويطلق اسم العقر على عدة مواضع: منها عقر بابل قرب كربلاء من الكوفة، وقد روى أن الحسين بن علي رضي الله عنه لما انتهى إلى كربلاء وأحاطت به خيلُ عبيد الله بن زياد قال: ما اسم تلك القرية؟ وأشار إلى العقر، فقيل له: اسمها العقر، فقال: نعوذ بالله من العقر، فما اسم تلك الأرض التي نحن فيها؟ قال: كربلاء، قال: أرض كرب وبلاء، وأراد الخروج منها فمنع، وكان ما كان، وهذا الموضع الذي يقال له العقر قتل عنده يزيد بن المهلب بن أبى صفرة في سنة ١٠٢هـ، وكان خلع طاعة بني مروان، ودعا إلى نفسه، وأطاعه أهلُ البصرة والأهواز وفارس وواسط، وخرج في مئة وعشرين ألفاً، فندب له يزيدُ بن عبد الملك أخاه مَسْلَمة، فواقفه بالعقر من أرض بابل، فانجلت الحربُ عن قتل يزيد بن المهلب، وقال الفرزدق يُشَبب بعاتكة بنت عمرو بن يزيد الأسدي زوجة يزيد بن المهلب:

---

(١) انظر معجم البلدان ١٩٤/٦ وما بعدها، ونسب في اللسان (ق ر أ) بيت تأبط شرا إلى مالك بن الحارث الهذلي.

إذا ما الْمَزُونِيَّاتُ أصبحن حُسَّرا وبكين أشلاء على عَقْرِ بابل
وكم طالبٍ بنت المُلاءة أنها تُذَكِّر ريعانَ الشباب المزايـل

والعقر أيضاً: قرية بين تكريت والموصل، تنزلها القوافل، وهي أول حُدود أعمال الموصل من جهة العراق، والعقر: قرية على طريق بغداد إلى الدَّسْكرة، ينسب إليها أبو الدر لؤلؤ بن أبي الكرم بن لؤلؤ فارس العَقْرِيّ، من هذه القرية، والعقر أيضاً: قلعة حصينة في جبال الموصل، أهلها أكراد، وهي شرقي الموصل، تعرف بعقر الحُمَيْدية، خرج منها طائفة من أهل العلم وفي حمى ضرية جبالُ يقال لها العقر، وهي التي قال فيها طُفَيل الغَنَوي(١):

وبالعقر دار من جميلة هيجت سوالف حب في فؤادك منصب

وعقر السدن: من قرى الشرطة، بين واسط والبصرة، منها كان الضالُّ المضلُّ سنان داعية الإسماعلية ودَجَّالهم ومضلهم الذي فعل الأفاعيل التي لم يقدر عليها أحد قبله ولا بعده. والعقر ــ بالتحريك ــ من قرى الرملة في حسبان السمعانى، ونسب إليها أبو جعفر محمد بن أحمد بن إبراهيم العَقَرى الرملي، يروى عن عيسى بن يونس الفاخورى، روى عنه أبو بكر المقرى، سمع منه بعد سنة ٣١٠هـ.

قال مصنف هذا الكتاب: وأريد أن أنبه هنا إلى أن الذي أوردته عن العاقر والعقر والعقير فما كان من الحديث عن العقير الواقع في سواحل هَجَر إلى عالية نجد من المواضع التي تسمى بهذه الأسماء في بلاد

(١) قلت : هو طفيل بن عوف بن كعب، من بنى غنيّ، من قيس عيلان: شاعر جاهلي فحل، من الشجعان. وهو أوصف العرب للخيل، وربما سمي (طفيل الخيل) لكثرة وصفه لها ويسمّى أيضاً المحبّر، لتحسينه شعره، عاصر النابغة الجعدي، وزهير بن أبي سلمىٰ، ومات بعد مقتل هرم بن سنان توفي حوالى سنة ١٣ ق. هـ. انظر الاعلام ح ٣٢٩/٣.

العرب فإني أعرفها وأعرف مواضعها، وما كان منها خارج بلاد العرب فهي رواية صاحب معجم البلدان، والذي ذكره النابغة بقوله العقيرة هو الواقع في سواحل هجر.

* * *

٥٣ ــ وقال النابغة :

أَلِمْ بِرَسْمِ الطَّلَلِ ٱلأَقْدَمِ بِجَانِبِ السَّكْرَانِ فَالْأَيْهَمِ

السكران السكران: ذكروا أنه وادٍ عظيم بمَشَارف الشام، وهو الذي يقول فيه الأخطل[١]:

فرابية السكران قَفْر فما بها لهم شبَحُ إلّا سِلَام وحَرْمَلُ

وذكروا أنه وادٍ عظيم قريب الشام، إذا خرجْتَ من الشام قاصداً المدينة جعلته على يسارك وهو الذي يقول فيه عبيد الله بن قيس[٢] الرقيات:

زَوَّدَتْنَا رقية الأحزانا يوم جازت حمولُها سكرانا
إن تكن هي من عبد شمس أراها فعسى أن يكون ذاك وكانا[٣]
أنا من أجلكم هَجَرْتُ بن بدرٍ ومن أجلكم أحبُّ أبانا
ودخلنا الديار مانشتهيها طَمَعاً أن تنيلنا أو تدانا

وذكروا أن قريب المدينة جبل يقال له السكران؛ فإذا صح ذلك فعُبَيد الله بن قيس الرقيات يقصده؛ لأنه شاعر حجازي.

(١، ٢) انظر معجم البلدان ٩٧/٥.

(٣) هكذا وقع البيت في معجم البلدان، وهو في ديوان عبيد الله بن قيس الرقيات ص ٢٦٢ أوربة على وجه آخر لا ضرورة فيه، وهو:

إن تقل هن من بنى عبد شمس فعسى ذاك أن يكون وكانا

وأحب أن أزيل عن القاريء بعض الالتباس، هناك قصور ومزارع وفيها نخيل يقال لها السكران، واقعة بين «البرود» و«الفيضة» الواقعتين في قرى السر، وهذا الاسم حديث، بعثها علي بن سكران وإخوته، وهم أهل أشيقر، وهم بطنٌ من قبيلة الوهبة من بني تميم، بعثت تلك الناحية في أوائل القرن الرابع عشر، فأول ما بُعث قصر واحد، وسمي قصر ابن سكران، ثم زادت القصور والمزارع فاستمر الاسم «قصور ابن سكران» ثم حذفوا لفظ القصور فصار «سكران» إلى هذا العهد، فهي لا تعرف عند عامة أهل نجد إلا بهذا الاسم، وهناك في كثيب السر طريق مما يلي السكران يسلكه القاصد إلى قرى الوشم يسمى «خل السكران» فأما سُكَر بوزن زفر ــ فهو موضع بشرقي صعيد مصر، بينه وبين مصر يومان، كان عبد العزيز بن مروان في ولايته يخرج إليه ويعده من متنزهاته، وبه مات عبدالله بن عمرو بن عثمان بن عفان، ومات به أبو بكر بن عبد العزيز بن مروان، فقال نصيب يرثيه:

أصبت يوم الصعيد من سُكَر ... مصيبة ليس لي بها قِبَلُ
تالله أنسى مصيبتي أبداً ... ما أسمعتني حنينَهَا الإبلُ
ولا التبكي عليه أتركُه ... كل المُصيبات بعده جَلَلُ[1]
لم يعرف النعش ما عليه من السـ ... ـعُرْفِ ولا الحاملون ما حَمَلُوا
حتى أجَنُّوه في ضريحهم ... حيث انتهى من خليله الأمَلُ

وأما عبد العزيز بن مروان والى مصر في خلافة أخيه عبد الملك فقد ثبت أنه هلك في حلوان قرب مصر.

قلت: ومن جبال الطائف (جبل السكارى) فلعله حرِّف والله أعلم.

الأيهم

الأيهم: ذكروا أنه في نواحي الشام، وذكروا أيضاً أن أيهم وادٍ من أودية طى، ولكنى لم أجد له ذكرا إلا في بيت النابغة الذي مر ذكره.

(١) جلل، هنا : أي هينة سهلة.

٥٤ ــ وقال النابغة :

أَلَا أَبْلِغْ لَدَيْكَ أَبَا حُرَيْثٍ ... وَعَاقِبَةُ الْمَلَامَةِ لِلْمُلِيمِ
فَكَيْف تَرَى مُعَاقَبَتي وَسَعْيي ... بِأَذْوَادٍ الْقصيمة وَالْقَصِيمِ

نحب أن ننبه القارىء على هذين البيتين لئلا يظن أن القصيم فيهما هو القصيم المذكور المشهور الواقع في القطعة الشمالية من نجد.

القصيمة في اللغة: القطعة من الأرض ينبت فيها الغضى والأرطى والسلم، وهي أيضاً ما سهل من الأرض.

* * *

٥٥ ــ وقال النابغة :

إِنِّي أَظُنُّ ابْنَ هند غَيْرَ تَارِكِكُمْ ... بِالْقُرْنَتَينِ وَلَمَّا يُفْرِعِ النَّعَمُ
حَتَّى تَرَاءَوْهُ مَعْصُوباً بلمته ... نَقْعُ الْقَنَابل في عِرْنِينِهِ شَمَمُ

القرنتين — القرنتين: المواضع التي يطلق عليها اسم قريب من هذا اللفظ كثيرة، يوجد في بلاد غطفان هضبتان يقال اليوم لهما «القَرِينتان» وكان يقال لهما «القرين» وهما اللتان قال فيهما ذو الرمة[(١)]:

يردفْنَ خَشْباء القرين وقد بدا ... لهنَّ إلى أرض الستار زيالها

وهما قريبتان من الستار الواقع بين أَبْلَى وحدود حمى ضرية، الموضع الثاني هضبة لها رأسان بين شقرا والقراين تسمى تلك الهضبة «القراين» وهناك موضع ثالث بين حريملاء وملهم، يقال لتلك البلد اليوم القرينة، وهي التي قال فيها جرير[(٢)]:

كأن أظعانهم تحدى مقفية ... نَخْلٌ بملهم أو نخل بقرانا

---

(١) انظر معجم البلدان ٧٢/٧.
(٢) انظر معجم البلدان ٤٦/٧.

وفي بلد سدوس بئر كثيرة الماء عظيمة يقال لها القرينان؛ فأما القرية الواقعة بين مَلْهم وحريملاء المعروفة اليوم بالقرينة فهي التي قتل فيها نجدة ابن عامر الحنفي الحروري، والقرينة أيضاً: اسم روضة بالصمَّان، قال الشاعر في شَطْر بيت:

*** جرى الرمث في ماء القرينة والسدر ***

وقال صاعد، وأنشده أبو زياد :

ألا ياصاحبيَّ قفا قليلاَ ... على دار القدور فَحَيِّيَاها
ودارٍ بالشميط فحيياها ... ودارٍ بالقرينة فاسألاها
سَقَتْها كلُّ واكفة هَتُون ... تُزَجِّيها جنوبٌ أوصبَاها

وشميط التي ذكرها قريبُ القرينة الواقعة في بلاد غطفان من أشماط الرضم المعروفة في هذا العهد بالأشماط وهي هضبات شهب.

* * *

٥٦ ــ وقال النابغة :

عَشِيتُ مَنَازِلاً بعُرَيْتِنَاتٍ ... فَأَعْلىٰ الجزْعِ لِلْحَيِّ الْمُبِنِّ
تَعَاقدهُنَّ صَرْفُ الدَّهْرِ حتَّى ... عَفَوْنَ وَكُلُّ مُنْهَمِرٍ مُرِنِّ

عريتنات: قد مضى الكلام عليها. **عريتنات**

* * *

٥٧ ــ وقال النابغة :

إِذَا حَاوَلْتَ فِي أَسَدٍ فُجُوراً ... فَإِنِّى لَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ منِّى
فهُمْ دِرْعِي الَّتي اسْتَلأَمْتُ فِيهَا ... إِلَى يَوْمِ النَّسَارِ وَهُمْ مجنِّى
وَهُمْ وَرَدُوا الْجفَارَ عَلَى تَمِيمٍ ... وَهُمْ أصْحَابُ يَوْمِ عُكَاظَ إِنِّى
شَهِدْتُ لَهُمْ مَوَاطِنَ صَادِقَاتٍ ... أَتَيْتُهُمُ بِوُدِّ الصَّدْر مِنِّى

يوم النسار

يوم النسار: يوم عظيم من أيام العرب المشهورة، وهذه رواية صاحب العقد الفريد بتمامها، قال أبو عبيدة: تحَالفت أسد وطي وغَطَفان، ولحقت بهم ضبة وعدى، فَغَزَوْا بني عامر، فقتلوهم قتلاً شديداً، فغضبت بنو تميم لقتل بني عامر، فتجمعوا حتى لحقوا طيا وغطفان وحلفاءهم من بني ضبة وعدي يوم الفجار، فقتلت تميم طيا أشدَّ مما قتلت عامر يوم النسار، فقال في ذلك بشر بن أبي خازم:

غضبتْ تميمٌ أن تُقتل عامر يوم النسار فأُعْتِبُوا بالصَّيْلَمَ

وأحب أن أورد العبارات الواردة في النسار، قال صاحب معجم البلدان[١]: النسار: جبال صغار كانت عندها وقعة بين الرباب وهوازن وسعد بن عمرو بن تميم، فهزمت هوازن، فلما رأوا الغلبة سألوا ضبة أن تشاطرهم أموالهم وسلاحهم ويُخَلُّوا عنهم، ففعلوا، قال ربيعة بن مقروم الضبي:

قَوْمى فإن كنت كذبتنى بما قلت فاسأل بقومِي عليما
فدى ببُزَاخة أهلِي لهم إذا ملئوا بالجموع القَضيما
وإن لقيَتْ عامر بالنسا ر منهم وطخفة يوماً غشوما
به شاطروا الحى أموالهم هوازن ذا وَفْرها والعَدِيما

وقال في معجم البلدان[٢] عن أبي عبيدة: النسار أجبال متساورة يقال لها الأنسر، وهي التي تسمى النسار، وكانت به وقعة قال النظار الأسدي:

ويوم النسار ويوم النضا ر كانوا لَنَا مقتوى المقتوينا

المقتوى: هو الخادم، كأنه يقول: إنهم صاروا خدماً لخدمنا.

وأنا أعرف النسار المذكور يقينا، كان به ثلاث وَقَعَات في الجاهلية

(١، ٢) انظره ٨/٢٨٤.

ووقعة في مبتدأ القرن الرابع عشر عظيمة، بين عرب نجد، وفي وقعة الأنسر المتأخرة يقول رباح الصانع أحد شعراء النبط:

كريـم يـارق نوه حقـوق يشعـل أشعـال
أخيـل ضوحـة إلـى حزات وجبـات الصلاة

أمطر على وادي الأنصر وأرجعه من عقب المحال
وسيّـل شعيب الخنوقـة بعـد ماسيّـل غثات

وهو يعرف عند عامة أهل نجد اليوم بالأنصر، أبدلت سينه صاداً، وماءة الأنصر ماءة القاعية الواقعة على طريق السيارات السالكة من الرياض إلى مكة، بين منهل عفيف وبلد الدوادمي، إذا طلعت على ماءة القاعية فانظر على يمينك فإنك ترى جبيلاتٍ صغاراً أصلُهَا واحد، ورؤسها ثلاثة، وحولها أبارق، يقال لتلك الجبيلات «الأنصر» والنسار هو الذي يقول فيه بشر بن أبى خازم(1):

ويـوم النسار ويـوم الجفـا ركانـا عذاباً وكانـا غرامـا

وسَبَتْ بنو أسد نساء كثيرة من نساء ذبيان، فقالت سلمى بنت المحلق تعير جَوَّابا والطفيل وغيرهما:

لحى الإِلٰهُ أبا ليلى بفَرَّتـه يوم النسار وقُنْبَ العَيْر جَوَّابا
كيف الفَخار وقد كانت بمعترك يوم النسار بنو ذبيان أربابا
لم تمنعوا القوم إذ أشكوا سَوَامكم ولا النساء، وكان القوم أحزابا

النسار: جبل أصله واحد ورؤسه ثلاثة كأنها أنْسرُ وقَّع على ظهر ذلك الجبل، فسميت الأنسر، فبقيت على هذا الاسم في الجاهلية، ثم تداولته

---

(1) انظر معجم البلدان ٢٨٤/٨ وما بعدها.

الألسن حتى صار هذا الاسم الأنصر، وعنده أبارق وجبيلات كان يقال لها فيما سبق الأناسر، ويقال لها اليوم «الأناصر».

الجفار الجفار: منهل في[1] عالية نجد، وبه وقعة عظيمة في الجاهلية بين بكر ابن وائل وتميم بن مر أسر فيه عقال بن محمد بن سفيان بن مجاشع، أسره قتادة بن سلمة، وقال شاعر بكر:

أسر المحشر وابنه وحويرثا والنهشليَّ ومالكا وعقَالَا

وقال الأعشى :

وإن أخاك الذي تعلمين ليالينا إذ نَحُلُّ الجفارا
تبدَّل بعد الصبا حلمُهُ وَقنَّعه الشيب منه خمارا

والجفار: موضع معلوم، إذا انقطع جبل شعبىٰ في الجهة الجنوبية منها فهناك موضع يقال له «الجفر» وذكروا عنه أخباراً كثيرة، منها أنه من مياه الضباب، وبلى، قبل ضرية على ثلاث ليال يشبه هذا الماءَ ماء السماء يخرج من عيون تحت هضبة كأنه وشَل وليس بوشل، ولما سمع أمير نفى عمر بن ربيعان هذه العبارة خرج بأصحابه يلتمس تلك العين، فلم يجدها في جنبات الموضع الذي يقال له «الجفر»، ويليه في جهته الجنوبية الغربية منه هضبة يقال لها «مصودعة» إذا رأيتها فكأنها متصدعة، ويضاف هذا الجفر إليها فيقال له «جفر مصودعة». وهو الذي يقول فيه الشاعر الضبابي[2]:

كفى حزنا أنى نظرت وأهلنا بهَضْبَيْ شماريخ الطوال طلول
إلى ضوء نار بالجديف يشبُّهَا مع الصبح سنح الساعدين طويل

---

(١) انظر معجم البلدان ١١٢/٣.

(٢) معجم البلدان ١١٣/٣.

فَخَرَّ على اللحيين وهو كليل — **على لحم ناب عَضَّه السيفُ عضةً**
ألا هل إلى ماء الجفار سبيل — **أقول وقد أيقنت أن لَسْتُ فاعلا**
بأشهب يشفى لو كرهت غليل — **وقد صدر الوُرَّاد عنهُ وقد طما**

وهذا الجفر هو الذي كان يقال له «الجفار» في الزمن القديم، وهو الذي كانت به الوقعة المشهورة بين بكر وتميم. وقد صار اسمه في هذا العهد «الجفر» وقد أكثر الشعراء من ذكره شعراءُ العرب المتقدمين وشعراء العرب المتأخرين الذين سلكوا في الشعر المنهج النبطى، ومن هؤلاء متعب بن جبرين، وهو من رؤساء بنى عبدالله بن غَطَفَان، وله ذكر في قيادة الفرسان، وهو من أحلاس الخيل، وكانت زوجته قد هلكت وهم حلول في سفح الهضبة المعروفة بهذا الاسم «المصودعة» فدفنت زوجته في سفح الجفر المذكور، فقال أبياتاً نبطية منها:

سيل على سيل ووبل يهل — **يَمْصُودعة عَلَّك من الوسم رَعَّاد**
حيثن فيها بالدّويجن هل لى — **عساه يسقى لبة الجفر من غاد**

ولمتعب بن جبرين هذا أخبار طريفة، وكان تريحيب بن شرى بن بصيص من مطير، وهو من فرسان أهل نجد في أوائل القرن الرابع عشر، حتى إن كل معركة وقعت بين مطير وعتيبة لم يتخلف عن واحدة منها، وقد قتل في آخر وقعة قريب ماءة الغزيز القريب من وادي الحيسية قتله فاجر السلات من الروقة من ذوى عطية، وكان متعب بن جبرين المذكور أخاً له من أمه، فقال قصيدة نبطية منها :

نبى تدوّر فوقهنّه اتريحيب — **يَهْل الرمك زيدولهن في البريرة**
عسامهْ أكبر من خشوم العراقيب — **لابد من يوم يثور صبيرة**

الرمك: الخيل، والصبيرة: هو القَتَام، والعسام: نوع من القتام، العراقيب: أكثبة تقع جنوبي جبل النير.

ومن طرائف أخبار متعب بن جبرين ما حدثني به دعييس الصفياني من عتيبة سنة ١٣٤٥هـ وعمره في ذلك الوقت قريب ثمانين سنة، قال: كنا قاطنين على ماءة «دغيبجة» المعروفة قريب المويه، وكنت إذ ذاك ابن خمس عشرة سنة، فقال لي والدي: إن لنا غرضنا عند أهل «تنضبة» الماءِ الواقعة في وادي العقيق قريب عشيرة والمحدثة، وإنى لا أقدر أن أترك إبلى خشية الأعداء، ولكن انظر إلى هذا الجمل، فإنى والله لا أعلم ناقة ولا جملاً يُردانه عن طريقه، فاركبه، فإن رأيت أحداً فانهزم به فإنك تنجو إن شاء الله، قال: فأخذت مزادتى وزادي، وركبته لما بزغ الفجر، فقصدت أهل تنضبة تارةً يسير سيراً عجلاً وطوراً يُرْقل إرقالاً، فلما اشتدت القيلولة إذا أنا قد قربت جبيل بسيان المتاخِمَ لماءة المحدثة في ركبة، فقلت في نفسى: أرتاح قليلاً ويرتاح جملى، فأنخته في ظل دَوْحة، ووضعت عنه زادي ومزادتى، وقيدته، فتركته يرعى في الشجر، واضطجعت على جنبي، فما شعرت وأنا في النوم إلا بالأصوات المرتفعة، وإذا جيش يبلغ عدده مئة من المهارى النجُب، وإذا السابقون من هؤلاء إلى جملى يجاوزون العشرين وهم مختلفون على هذا الجمل الواحد، كل منهم يقول: أنا السابق إليه وهو لي، فما شعرت إلا برجل يقول: ياصاحب الجمل من أنت وما قبيلتك؟ فقلت: من عتيبة، فقال: عليك اللعنة مأخوذ ومجحود، أقبل إليّ وخذ أمتعتك معك، فجئت بها، وكان هذا الشيخ هو متعب بن جبرين، فلما أتيته بأمتعتي قال: ضعها على جملك واركبه، وقف، ثم الْتَفَتَ إلى هؤلاء فقال لهم: أيها المختلفون، إني أريدُ أن أترك صاحب هذا الجمل حتى يصل إلى تلك الشجرة، ونأمره يندفع في السير، ثم أنتم تغيرون على أثره، فمن لحقه فهو له، فرضى الجميع بذلك، فالتفت إليّ وقال: اندفع على جملك، فاندفع الجيش على أثرى فما مضى إلا قليل، ثم التفتُّ فلم أر من القوم إلا ثمانا، ثم اندفعت أيضاً والتفت فلم أر إلا أربعاً، ثم اندفعت قليلاً ثم التفت فلم أر إلا اثنين، فأنخت جملى

وأخذت حَثَوات من التراب فرميت بها أمام وجوههم، وركبت جملي، فانطلقت إلى ماءة تنضبة، فأنجاني الله منهم، ووصلت قومي سالماً[1].

والذي أعرفه في بلاد العرب من المواضع التي يقال لها «الجفر» هو هذا الموضع المذكور، وهو الجفار الذي ذكره النابغة. وأعرف منهلاً بين القَصيم وحائل يقال له «الأجفر» وأعرف منهلاً كثير الماء في عالية نجد جنوبي عرض باهلة يقال له الجفر جفر بتران، وبتران: جبل أسود رفيع القِمة مُطل على هذا الجفر، فأضيف الماء إلى هذا الجبل، فقيل له «جفر بتران» وقد مضى الكلام عليه في ذكر أملاح الدبول، وبتران قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وهناك موضع آخر يقال له «الجفر» في أسفل بيشة، وهو هضبات حمر بها ماء يقال له «الجفر» مطل على النقيع البلدِ الواقعِة في وادي بيشة وفي بلد أشيقر بئر يقال لها الجفر.

وعكاظ: قد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وسيأتي لنا بحث وافٍ عنه في آخر هذا الكتاب. **عكاظ**

* * *

٥٨ ــ وقال النابغة :

لَعَمْرُكَ مَاخشِيتُ عَلَى يَزِيد مِنَ الْفَخْرِ المضَلِل مَا أَتَانِي
كَأَنَّ التَّاجَ مَعْقُــودٌ عَلَيْــهِ لأَذْوَادٍ أُخِـذْنَ بِذِى أَبـــانِ
فَحَسْبُكَ أَنْ تهَاضَ بُمحْكَمَاتٍ يَمُرُّ بِهَا الرُّوِيُّ عَلَى لِسَانِي

(١) قلت: ذكر هذه القصة في الجزء الأول وعاد إليها هنا مرّة ثانية.

أبان: قد مضى الكلام عليه مفرداً ومثنى، وذكرنا تحديده وبينا أن وادي الرمة ينفذ إلى جهة القصيم من بينهما وهذا المنفذ يقال له الخنق.

أبان

* * *

٥٩ ــ وقال النابغة :

أَتُهْدِي لي الْوَعِيدَ بِذَاتِ وَجٍّ كَأَنِّي لَا أَرَاكَ وَلَا تَرَانِي
فَإِنْ يَقْدِرْ عَلَيْكَ أَبُو قُبَيْسٍ تمط بِكَ الْمَعِيشَةُ فِي هَوَانِ

وج: هو وادي الطائف، واسمه باقٍ إلى هذا العهد، وفي الحديث أن رسول الله ﷺ قال: «**إن آخر وطأة الله وج**» وهو الطائف، وأراد بالوطأة الغزاة هاهنا، وكانت غزاة الطائف آخر غزوات النبي ﷺ، وقيل: سميَت وجا بوج بن عبد الحق من العماليق، وقيل: من خزاعة، وقد ذكر خبر وج مستقصىً في معجم البلدان على ذكر الطائف، وقال أبو الصلت والد أمية يصف وادي وج(١):

وج

نحن المبنُّونَ في وج على شرف تلقى لنا شفعا فيه وأركانا
إنا لَنَحْنُ نسوق العِيْر آونة بنسوة شُعُثٍ يزجين ولْدَانا
وما وأدْنا حذارَ الهزل من ولد فيها وقد وأدت أحياء عَدْنَانا
ويانِعاً من صنوف الكَرْم عنجدنا منه، ونعصره خَلًّا ولذانا
قد أدْهأمَّتْ وأمست ماؤها غَدِق يمشى معا أصلها والفرع آبانا
إلى خضارم مثلِ الليل متجئا فُوماً وقضبا وزيتونا ورمانا
فيها كواكب مثلوج مناهلها يشفي الغليل بها من كان صَدْيانا
ومقربات صفُونٌ بين أرحلنا تخالُها بالكماة الصيِّد قُضْبانا

(١) معجم البلدان ٨/٤٠٠

وقال عروة بن حزام[1]:

أحقاً يا حمامةَ بطنِ وَجٍّ بهذا النوح أنك تصدقينا
غلبتك بالبكاء لأن لَيْلى أواصِلُه وأنك تَهْجَعينا
وأنى إن بكيتُ بَكَيْتُ حَقًّا وأنك في بكائك تكذبينا
فلستِ وإن بكيت أشدَّ شوقا ولكنى أسِرُّ وتعلنينا
فنوحى ياحمامة بطن وج فقد هَيَّجْتِ مُشْتَاقاً حزينا

وقال كعب بن مالك الأنصارى[2] :

قضينا من تهامة كل إرْبٍ بخيبر ثم أغمدنا السُّيوفا
نسائلها، ولو نطقت لقالت قواطعهن دوسا أو ثقيفا
فلست لمالك إن لم نُزِرْكم بساحة داركم منا أُلُوفَا
وننتزع العروشَ عروشَ وَجٍّ وتصبح دوركم منا خلوفا

وفي وادي وج أحاديث كثيرة، منها أن رسول الله ﷺ قال : «**إن وادي وج حرام، لايُعْضَد شجرهُ، ولايقتل صيده**» وهذا حديث لم تثبت صحته.

---

(١) قلت : هو عروة بن حزام بن مهاجر الغنىٰ، من بني عذرة: شاعر، من متيمي العرب. كان يحب ابنة عم له اسمها (عفراء) نشأ معها في بيت واحد، لأن اباه خلفه صغيراً فكفله عمه، ولما كبر خطبها عروة، فطلبت أمها مهراً لاقدرة له عليه، فرحل إلى عم له باليمن، وعاد، فأذا هي قد زوجت بأمويّ من أهل البلقاء (بالشام، فلحق بها، فأكرمه زوجها، فأقام أياماً وودعها وانصرف، فضنىٰ حباً، فمات قبل بلوغ حيّة. ودفن في وادي القرى (قرب المدينة) له «ديوان شعر ـــ خ» صغير. انظر الأعلام ج ١٧/٥.

(٢) قلت : هو كعب بن مالك بن عمرو بن القِن البدري الأنصاري السَّلمِي (بفتح السين واللام) الخزرجي : صحابي، من، أكابر الشعراء. من أهل المدينة. كان من شعراء النبى (ﷺ) وشهد الوقائع.

أبو قبيس

أبو قبيس: هو الجبل المشهور المُطِل على الكعبة، قيل: إنه سمى باسم رجل من مَذْحِج كان يكنى أبا قبيس لأنه أول من بنى به قبة، قال أبو المنذر هشام: أبو قبيس الجبلُ الذي بمكة، أول من كناه بهذا الاسم آدم عليه السلام حين اقتبس منه هذه النار التي في أيدي الناس إلى اليوم من مَرْخَتَيْن نزلتا على أبي قبيس من السماء فاحتكّتا فأورتا ناراً، فاقتبس منها آدم، فذلك المرخ إذا حك أحده بالآخر خرجت منه نار، وكان في الجاهلية يسمى الأمين؛ لأن الركن كان مستودعاً فيه أيام الطوفان، وهو طرف أحد الأخشبين، والروايات في ذلك كثيرة، قال عمرو بن حسان أحد بني الحارث بن همام، وذكر الملوك الماضية :

ألا يا أم قيس لا تلومي وأبقى إنما ذا الناسُ هامُ
أجدَّكِ هَلْ رأيت أباقبيس أطال حياته النَّعَمُ الركام
وكسرى إذ تَقَسَّمه بنوه بأسياف كما اقتسم اللحام
تمخضت المَنُونُ له بيومٍ أنىً، ولكل حاملة تمام

وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو الجبل المعروف الآن بمكة.

* * *

٦٠ ــ وقال النابغة :

إِنَّا أُنَاسٌ طَالِبُونَ لِثَارِنَا فَالْحَقْ بِأَرْضِكَ خَارِجَ بْنَ سِنَانِ
لَا أَعْرِفَنْ شَيْخاً يَجُرُّ بِرِجْلِهِ بَيْنَ الْكَثِيبِ وَأَبْرَقِ الْحَنَّانِ

أبرق الحنان

أبرق الحنان: لايزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو متاخم لماءة إلصخة، يقع في الجهة الشمالية منها، بينها وبينه أقل من نصف يوم، والصخة قد مضى الكلام عليها، وهو منقطع من كثيب الصخة، قال في معجم البلدان[1]: هو ماءة لبني فزارة، فأما الماءة فهي ماءة الصخة

(١) معجم البلدان ١/٧٦.

المعروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، فأما أبرق الحنان فهو كثيبٌ مرتكم، إذا ارتكمت رمالُه وتساقط بعضها على بعض من تحريك الرياح سمع له حَنِين، ولايزال الناسُ يسمعون ذلك إلى هذا العهد، ولا أشك أن هذه الأصوات التي تسمع فيه ناشئة عن نزول الرمل من أعلاه إلى أسفله، وفي رواية صاحب معجم البلدان: قالوا(١) سمى ذلك لأنه يسمع فيه الحنين، فيقال: إن الجن فيه تحنُّ إلى مَنْ قفل عن ذلك المنهل، هذا كلام أهل الجاهلية، فأما كلام الأعراب فيقولون: إنا نبيت تحت هذا الكثيب ونسمع فيه الأصوات المزعجة المختلفة الجَرْس، ولانشك أنها أصوات الرمال إذا تهايل بعضُها على بعض، قال كثير(١):

لمن الديار بأبرق الحَنَّانِ فالبرق فالهضبات من أدمان
أقوت منازلُها وغَيَّرَ رسْمَهَا بعد الأنيس تعاقُبُ الأزمان
فوقفت فيها صاحبيَّ وما بها ياعز من نَعَم ولا إنسان

ولا أعرف في نجد كثيباً له حنين وأصوات إلا هذا الكثيب الذي في هذا الموضع، أعرف أكثبة مرتكمة في الجنوبي الغربي من ثادق وهي أكثبة ارتكم بعضُها فوق بعض ثم زاد هذا الارتكام وسار قليلاً قليلاً وترك مدينة ثادق على شماله وهو يمشى وتتاخمه محلةُ من تلك المحلات يقال لها الشعيبية مختلطة بمدينة ثادق، فعزم أهل تلك القرية أن يحجزوا دونه، واستصرخوا بأهل المدينة، فلم يُجْدِ ذلك شيئا، بل ردم ما فيها، ودَفَنَ القصور والنخيل، واضطر أهلها إلى أن يرحلوا عنها، ورأيتها بعد ذلك فإذا القصْرُ الذي طوله خمس عشرة قامة إلى عشرين قامة، لايظهر منه غير شرفاته العالية، وإذا النخلة السامقة في الجو لاترى منها إلا أطراف جريدها، وعلى الجملة فإن هذه القرية قد انطمست تحت الرمال، وخرج يتبنى ويمشى قليلاً قليلاً فسلمت منه مدينة ثادق الواقعة في مفيض العتك

(١) انظر معجم البلدان ١/٧٦.

مما يلي بلد القصب تقع عن البكرات والغرابة جنوباً، وقد سلم أهل تلك القرية من الرمال، ومع هذا فإنك لا تسمع فيها أصواتاً كالتي يتحدث الناسُ عنها في أبرق الحنان، ولاأشك أنها من الرمال وسقوطِ بعضها على بعض.

* * *

٦١ ــ وقال النابغة

لسُعْدَى بسرع فَالْبُحَارِ مَسَاكِنُ قفَارٌ تَعَفَّتْهَا شمَالٌ فَدَاجنُ

سرع ــ وقع اختلاف في هذا اللفظ، فبينا تجده في هذه القصيدة في نسخة ديوان النابغة التي جمعها الشيخ عبد الرحمن سلام بالسين المهملة، إذا أنت تجده في مراجع أخرى منها معجم البلدان لياقوت بالشين المعجمة، وقد وجدنا سرعا بضم السين والراء المهملتين في كلام ابن مقبل، وهو من شعراء نجد المشهورين(١): سرع

قَاتْ سُلَيْمىٰ بِبَطْنِ الْقَاعِ مِنْ سُرُعٍ لاخَيْرَ في المرءِ بَعْدَ الشَّيْبِ وَالكِبَر

وأما «شرع» فقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، قال بَشَامة بن الغدير(٢):

لمن الديار عَفَوْنَ بالجزع بالدَّوْم بين بُحَار فالشِّرْع

وأنت تجد الشرع قد قرن ببحار في بيت بشامة هذا، كما قرن به في بيت النابغة الذي أثرناه وأنا لاأعرف ذلك الموضع بهذا الاسم في هذا العهد، إلا أن يكون «الشارعة» التي هي ماءة قريب صفينة.

(١) انظر معجم البلدان ٧٠/٥.

(٢) معجم البلدان ٢٥٢/٥ واستشهد له أيضاً ببيت النابغة وجعله بالمعجمة.

أما بحار: فهو وادٍ معروف، يقسم جبل النير نصفين من غربيه إلى شرقيه، جميع أودية النير التي تتجه إلى جهة الشرق تصب في وادي بحار، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهذا اسمه في الجاهلية والإسلام، قال النمر بن تولب[1]: بحار

وكأنها دَقَرَى تخيل نبتها أنُفٌ يَغُمُّ الضالُ نبْتَ بحارها

الدقرى: الروضة الكثيرة الماء والنَّدَى، وقال النابغة الجعدي في يوم شعب جبلة وهذا الوادي ليس بالبعيد عن جبلة:

ونحن حَبَسْنَا الحيَّ عبسا وعامرا بحَسَّان وابْنِ الجون إذ قيل أقبلا[2]
وقد صعدت عن ذي بحار نساؤهم كإصعادِ نَسْرٍ لايرومون منزلا
عَطَفْنَا لهم عَطْفَ الضَّرُوس فصادفوا من الهَضْبة الحمراء عِزًّا ومعقلا

يعنى بالهضبة الحمراء شعب جَبَلة، وهو معدود من بلاد بني عامر بن صَعْصعة، وتختص به بنو عمرو بن كلاب، قال شاعر منهم:

عَفَا ذو بحار من أميمةَ فالهَضْبُ وأقفر إلا أن يُلِمَّ به الركب

وقال بشر بن أبي خازم :

لليلى على بعد المزار تذكُّرُ ومن دون ليلى ذو بحار فمنور

(١) معجم البلدان ٦٤/٢ ومابعدها إلى آخر هذا المبحث.
قلت : والنمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي: شاعر مخضرم. عاش عمراً طويلاً في الجاهلية، وكان فيها شاعر الرباب، ولم يمدح أحداً ولاهجا. وكان من ذوى النعمة والوجاهه، جواداً وهّابا لما له. يشبه شعره بشعر حاتم الطائى عمرّ طويلاً ثم إلى أن ادرك الاسلام. وأسلم وعاش إلى أن خرّف، فمات سنة ١٤ هـ الاعلام ج ٢٢/٩.
(٢) في معجم البلدان «بحسان وأبي الجون» ولا يستقيم عليه الوزن.

منور قول بشر بن أبي خازم إما أن يكون قد عنى به النير، وألجأته الضرورة، أو يكون جبلاً يقال له «منور» وقد درس ذكره اليوم، وبحار الواقع في عالية نجد جميعُ سيوله تأتي مع الوادي الذي يقال له «طينان» المعترض في طريق نجد بين مكة والرياض، بين جبيلات ذريع وماءة القاعية، وهناك في بلاد بني سُلَيم جبل يقال له «بُحَار» وهو الذي يقول فيه البريق الهذلي:

وَمَرَّ على القرائن من بُحَار فكاد الوَبْلُ لا يُبْقى بُحَارا

وهناك بين بلاد بني سليم وبلاد غطفان هضبات يقال لهن «القرائن» إلى هذا العهد، وأما الواقع في جبل النير فهو باقٍ على اسمه إلى هذا العهد.

* * *

٦٢ ــ وقال النابغة :

كأنَّ حُدُوجَهَا في الآل ظُهْراً إذَا أفْرَغْنَ مِنْ نَشَزٍ سَفِينُ
أو النَّخْلَاتُ مِنْ جَبَّارِ قَرْحٍ تُرَبِّبُهُـنَّ يَعْبُـوبٌ مَعِيـنُ
قَطَنَّ الـدَّارَ نَعْـفَ عُرَيْتِنَـاتِ فَجزْع أرِيكَ فَانْتَقَلَ الْقَطِيـنُ

قرح قرح[1]: هو موضع في سِيف القطيف من ديار هجر يقال له «القراح» وهو الذي قال فيه جرير:

ظعائن لم يَدِنَّ مع النصارى ولم يدرين ما سَمَكُ الْقُرَاح

فمن كان من أهل تلك الناحية يقال له «قُرَاحِيٌّ» كما قال أبو عمرو

---

(١) انظر معجم البلدان ٧/٤٠.
قلت : وهذا من قصيدته المشهورة التي مطلعها :
أتصحو أم فؤادك غير صاح عشيّة همَّ صحْبكَ بالرّواح

في قول الشاعر:

* وأنت قُراحى بِسيفِ الكواظم *

وتلك الناحية معروفة بجودة النخل، وقد سمعت في بيت النابغة الذي يقوله في صفة النخلة:

* بُزَاخيـة ألـوت بليـف كأنهـا *

وقد مررنا على هذا البيت في كتابنا هذا، وأوردنا الشواهد على بُزَاخة، وأعرف موضعاً في بلاد العرب في جبل اليمامة مما يلـي وادي سدير يتفرع منه واديان: أما أحدهما فهو وادي المشقر، الذي يصب سيلهُ عند المجمعة وقراها وبلد حرمة، وهذه الناحيةُ معروفةٌ بجَوْدة النخل أيضاً، وأما الوادي الثاني فإنه يصب عند بلد الحريق، ويتجه إلى بلد القصب، ويشرب من هذا الوادي نخيلُ البلدين وزروعُهما، وفروع الواديين يقال لها «المقرح» وأما لفظة القراح فكثير في بلاد العرب وفي جهة بغداد، وأما القراح المذكور فهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

أما عريتنات فقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا. عريتنات

* * *

٦٣ ــ وقال النابغة :

رَبَاعِيَـــةٌ أَضَرَّ بِهَـــا رَبَـــاعُ بِذَاتِ الْجِزْعِ مِسْحَاجٌ شَنُونُ
تَرَبَّـعَتِ الشُّهَـاقَ فَجَانِبَيْـــهِ وَلَاقَاهَا مِنَ الصمَّـانِ عُونُ
نَهَزْنَ الْبَقْـلَ بِالْقِيعَـانِ حَتَّـى تَعَالَى النَّبْتُ وَالْتَقَتِ الْبُطُـونُ

شهاق: موضع، وأنا لاأعرفه بهذا الاسم في هذا العهد، ولم أره في أشعار العرب إلا في هذا البيت من كلام النابغة، ولكنك تجده قرنه شهاق

بالصمان، فلابد أن يكون من الصمان أو من نواحيه، فأما الصمان فقد مضى الكلام عليه.

* * *

٦٤ ـــ وقال النابغة :

وَقَالَ الشَّامِتُونَ هَوَى زِيَادٌ ... لِكُلِّ مَنِيَّةٍ سَبَبٌ مُبِينُ
حَلَفْتُ بِمَا تسَاقُ لَهُ الْهَدَايَا ... عَلَى التَّأْوِيبِ يَعْصِمُهَا الدَّرِينُ
بِرَبِّ الرَّاكِضَات بِكُلِّ سَهْبٍ ... بِشُعْثِ الْقَوْمِ مَوْعِدُهَا الْحَجُونُ

الحجون الْحَجُون: هو الجبل المعروف في أعلى مكة، لايزال معروفاً بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو الذي يقول فيه مُضَاض بن عمرو الْجُرْهمي:

كأن لم يكن بين الْحَجُون إلى الصَّفَا ... أنيسٌ ولم يسمر بمكة سامر
بَلَى نحنُ كنَّا أهلَهَا فأزالنا ... صروفُ الليالي والْجُدُودُ العواثر

وهذا الجبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وبه اليوم ثَنِية يسلك فيها السائر بين المعابدة وجرول، وتقع مقابر أهل مكة القديمةُ والحديثة في منتصف هذا الطريق.

انتهى بنا القول على المواضع الواقعة في شعر النابغة الذبياني ونأخذ، بعده ـــ إن شاء الله ـــ في القول على المواضع الواقعة في قصيدة عَبيد بن الأبرص المعدودة في جملة المعلقات، نسأله تعالى أن يسددنا في القول والعمل؛ إنه ولى ذلك.

١٠

عَبِيدُ بنُ الأَبْرَصِ الأَسَدِيُّ

عبيد بن الأبرص(1)

هو عَبيد بن الأبرص، ينتهي نسبُه إلى أسد بن خُزَيمة، وهو من فحول شعراء مضر في الجاهلية، واشتهر بعدم إقامته وزنَ الشعرِ حتى قال أبو العلاءِ المعري في إحدى لزومياته:

وقد يُخطىء الرأىَ امرؤ وَهْوَ حازِمٌ   كما اختَلَّ في وَزْنِ القَرِيضِ عَبِيدُ

وقد هلك عَبيد بن الأبرص في سنة ١٧ قبل الهجرة (٦٠٥ من الميلاد) وسنورد في هذا المكان من كتابنا المواضِعَ التي وردت في قصيدته المعتبرة عند بعض العلماء من المُعَلَّقات.

* * *

١ ــ قال عَبيد بن الأبرص :

أَقْفَرَ مِنْ أَهْلِهِ مَلْحُوبُ   فالْقُطَبِيَّاتُ فَالذَّنُوبُ
فَرَاكِسٌ فَثُعَيْلِبَاتٌ   فَذَاتُ فِرْقَيْنِ فَالْقَلِيبُ
فَعَرْدَةٌ فَقَفَا حِبِرٍّ   لَيْسَ بِهَا مِنْهُمُ عَرِيبُ
وَبُدِّلَتْ مِنْهُمُ وُحُوشاً   وغَيَّرَتْ حَالَهَا الْخُطُوبُ

ملحوب ملحوب: معروف في الجاهلية بهذا الاسم، ومعروف موقعه، وقد أكثر الشعراءُ من ذكره منهم لبيد بن ربيعة العامري حين قال:

---

(1) قلت : انظر مصادر ترجمته في الشعر والشعراء ٨٤، والأغاني ١٩/٨٤ والأمدي ٥٠، وشرح الشواهد ٩٢، وهبة الأيام للبديعي ٢٨٥، وخزانة الأدب ٣٢٣/١، وصحيح الأخبار ١٤/١ ثم ٧٦/٢ جمهرة أشعار العرب ١٠٠، وسمط اللآلي ٤٣٩ رغبة الأمل ٦٢/٢.

* وصاحب ملحوب فجعنا بموته *

وقد ذكرنا هذا الشطر فيما مضى، وصاحبُ ملحوب الذي أشار إليه لبيد هو عوف بن الأحوص بن جعفر بن كلاب، وقد مات بملحوب.

وقال عامر بن عمرو الحصني ثم المكارى[1]:

بسهلة دار غيرتها الأعاصِرُ تُرَاوِحُهَا والغاديات البواكر
قطار وأرواح فأضحت كأنها صحائف يتلوها بِمَلْحُوبَ وابِرُ
وأقفرت العَبْلاء والرسُّ منهم وأوحش منهم يثقب فقراقر

قال في معجم[2] البلدان: قال الكلبى عن الشرقي: سمى ملحوب ومليحيب بابنى تريم بن مَهْيع بن عَرْدَم بن طَسْم، فأما تلك الأسماء فقد تغيرت ودرست وليس لها اليوم ذكر.

أما ملحوب فهو يعرف اليوم بمكحول، ومليحيب يعرف اليوم بالعظيم — بصيغة التصغير — وهما في بلاد بني أسد، أما مكحول فهو مَنهل عظيم كثير الماء، والعُظَيم: جبيل على سطح وادٍ به منهل، وقد تحول الاسمُ اليومَ لهذا المنهل، وبين المنهلين أقل من نصف يوم، يقعان في شرقي سميراء، على مسافة أكثر من يوم، وجبل حبش المعروف بهذا الاسم واقع بين سميراء ومكحول، وهذه من مناهل بنى أسد، متصلٌ بعضُها ببعض: العظيم، ومكحول، والجرثمى وهو المنهل الذي ذكره زهير بن أبي سُلمى في قوله:

تبصر خليلي هل ترى من ظعائن تحمَّلْن بالعلياء من فوق جرثم

القطبيات

القطبيات: ذكر أهل اللغة وأصحابُ المعاجم[3] أن القطبيات، أو

(١، ٢) معجم البلدان ١٤٨/٨، وفيه «والعاديات البواتر» تحريف ما أثبتناه.
(٣) انظر معجم البلدان ١٧١/٧ فلم يزد على أنه اسم جبل.

القطبية، في جبل سُوَاج أو قريب منه، وأنا لاأعرفها بهذا الاسم في هذا العهد، ولكني أعرف في عالية نجد الجنوبية ثلاث هضبات حمر يقال لها: «الحصيات» وهناك ملازم مياه قريب جبل الينوفي يقال لها: «الربقيات» فهذا الذي أعرفه مقارباً للفظ القطبيات.

الذنوب أما الذنوب فهي معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهي جبيلات صغار يقال لها «الذنائب» وهي متفرقة قريب ست أكمات، جمعُها الذنائب، ومفردها الذنوب، والذنيبة والذنيِّبة مصغرها، قال صاحب معجم البلدان على ذكر الذنائب: هي جمع[1] أذْنِبة، وأذنبة: جمع ذَنُوب، وهي الدَّلو الملأى ماء، وقيل: القريبة من الملأى، وهي ثلاث هضبات بنجد، قال: وهي عن يسار فلجة للمصعد إلى مكة، وفي شرح قول كثير:

أمن آل ليلى دِمْنَة بالذَّنائب ... إلى الميث من ريعان ذات المطارب

الذنائب: في أرض بني البكاء على طريق البصرة إلى مكة، والمطارب: الطرق الصغار.

يَلُوح بأطراف الأجدة رسْمُها ... بذى سَلَم أطلالها كالذواهب

ذو سلم: واد ينحدر على الذنائب، وبها قبر كُلَيب بن وائل، قال مهلهل أخوه يرثيه:

أليلَتَنَا بذى حُسُم أنيرى ... إذا أنت انْقَضَيْت فلا تَحُورى
فإن يك بالذنائب طال ليلى ... فقد أبكى من الليل القصير
فلو نبِشَ المقابرُ. عن كليب ... فيخبر بالذنائب أىُّ زير
بيوم الشعثمين أقَرَّ عينا ... وَكيف لقاء مَنْ تحت القبور
وأنى قد تركت بواردات ... بُجَيرا في دَم مثلِ العَبير
فلولا الريح أسمع أهلُ حجر ... صليلَ البيض تُقْرَع بالذكور

(١) معجم البلدان ١٩٧/٤.

وقال أبو زياد: الذنائب من الحمى حمى ضَرِيَة في غربى الحمى، والله أعلم.

وقال بشر بن أبى خازم :

أي المنازل بعد الحيِّ تَعْتَرِف أم هل صباك وقد حكمت مُطرف
كأنها بعد عهد العاهدين بها بين الذَّنوب وحَزْمى واهب صُحُف

أما حزما واهب فهما معروفان بهذا الاسم إلى هذا العهد، بين الذَّنوب وبين الخرب واللساسة وعندها ملزم ماء يسمى «خفق واهب» وما حوله من السنفين مضاف إليه، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد.

والذنائب باقية بأسمائها إلى هذا العهد، إذا كنت على ماءة الخضارة على الطريق بين مكة والرياض فالتفت على شمالك وأنت مشرق فإنك ترى جبيلات الذنائب هناك، ينقطع جذيب الخضارة في جهته الشمالية قريباً منها، والجذيب هو الذي يسمى اليوم «سمر الخضارة» وهو جبيلات سود متصل بعضها ببعض، ذكروا في أوائل القرن الرابع عشر أن امرأة من قبيلة الروقة من ذوى عطية يقال لها «مرساء» وهي من شواعر النبط كانت مسافرة إلى مكة مع قومها للامتيار، فسمعت مناديا ينادى، وهو طوراً يقول «لبن، لبن» وتارة يقول «حليب، حليب» فنادته وقالت: ما تقول؟ قال:أبيع حليبا، فقالت له: أين حليبك؟ فرفع لها (السطل) الجردل فالتفتت إليه وقالت: الحليب ليس في (سَطْلك جردلك)، بل الحليب عند خونان بن عقيل[1] في الدعيكة، ثم اندفعت تقول أبياتاً نبطية منها:

---

(١) خونان بن عقيل من رؤساء عتيبة من الدعاجين، صاحب إبل كثيرة، والدعيكة موضع صالح لرعى الإبل في حمى سجا، المنهل المعروف في عالية نجد، يقع في نصف الطريق بين مكة والرياض.

يالى اتنادى باللبن مالنا فيه ... أبا ذكره وإن كنت للدَّرْب غاوى
خشم الينوفي والحوم بارك فيه ... وسيحان والبرة وعبلة ملاوى
ووادي الجرير إلى حدر من علاويه ... وخشم الذنيبة والجذيب متساوى

الينوفي، والحوم، وسيحان، والبرة، وعبلة ملاوى: جميعُ هذه المواضع المذكورة في الموضع الذي كان يسمى في الجاهلية المطلى، ويسمى اليوم العبلة، وبعضها في حمى سجا الذي حماه صاحب السمو الملكي **الأمير فيصل بن عبد العزيز آل سعود** لمواشيه فأما الذنيبة فهي التي كنا في ذكرها، والجذيب هو جذيب الخضارة، ووادي الجرير معروف عند عامة أهل نجد، وقد مضى الكلام عليه، وهو الذي كان يقال له في الجاهلية «الجريب» وهو أعظم واد من الأَوْدية التي تصب في الرمة، قالت العرب على لسان الرمة[1]:

كل بني فإنه يحسيني ... إلا الجريب إنه يرويني

وهو من أصلح البلاد لرعي الإبل، قال الشاعر:

سيكفيك بعد الله يأم عاصم ... مجاليح مثل الهضب مصبورة صبرا
عوادِنُ من حمض الجريب، وتارة ... تعاتب منه خلةً جارةٌ جأرا

وقال عمرو بن شاس الكندى :

قلت لهم إن الجريب وراكسا ... به إبلى ترعى المرار رِتاع

وقال المهدى بن الملوح :

إذا الريح من نحو الجريب تنسمت ... وجدت لريَّاها على كبدى بردا
على كبدٍ قد كاد يُبْدِي بها الجوى ... نُدُوباً، وبعض القوم يحسبني جَلْدَا

(١) انظر معجم البلدان ٩١/٣.

أما سيول الذنائب وما حولها فأما ماكان منها يتجه إلى جهة الشرق فإنه يصب في وادي الجريب المعروف بوادي الجرير اليوم، وماكان منها يتجه إلى جهة الغرب فإن سيوله تجتمع حتى تصب في الشعبة التي تتجه إلى المدينة، وقد مضى الكلام عليها.

ووادي الجريب من أصْلح بلاد الله لرعى الإبل، ويقتتل عنده قبائلُ العرب من أجل الكلأ وقد قتل في ذلك الوادي من رؤساء عتيبة عدد كثير: منهم تركى بن حميد أكبر رئيس في عتيبة في زمانه، قتله الشريّف أَحَدُ بني عبدالله بن غَطَفان، ثم من بعده ابنُ عمه سلطانُ بن هندى بن حميد وهو من أكبر الرؤساء في زمانه، وقتل في ذلك الوادي زايد بن محيا رئيس الحناتيش من الروقة، وقتل بعده ابن عمه فلاح بن محيا، وقتل في ذلك الوادي أيضاً شليل بن نجم، ومارق الضيط قتلته حرب، وهو رئيس العضيان من الروقة، وغزا بعد ذلك ابنه بدر بن مارق ليأخذ ثأر أبيه فألحقته حرب بأبيه، وقتل في ذلك الوادي جدى بن زريّبة قتله دواس أحد الغيادين، وهم بطن من حرب، وقد وقعت على أثر هذه القتلة حروب كثيرة. وأما القتلى الذين ليسوا برؤساء فهم كثيرون في هذا الوادي.

راكس

راكس: سِناف متصل به أبرق في أسفل وادي بلغة قريب الجبل المشهور الذي يقال له عاج، وهو في بلاد غطفان، وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا.

ثعيلبات

ثعيلبات، لايزال معروفاً إلى اليوم، وقد صار اسمه «الثعيلبي» وهو من مناهل الجبلين أجأ وسلمى أو قريب منهما، وهو غير الثعلبية التي في طريق حاج البصرة، وفي ثعيلبات يقول بعض شعراء الجاهلية[1] :

---

(١) معجم البلدان ١٦/٣.

أجدك لن ترى بثعيلبات ولا بيدانَ ناجيةً ذَمُولا
ولا متلاقيا والشمس طَفْلٌ ببعض نواشغ الوادي حمولا

ذات فِرْقَين: هو جبل له رأسان، إذا كنتَ في «نفى» تراه بعينك، وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وعامة أهل نجد يعرفونه باسم «فرقين» قال شاعر نبطي : ذات فرقين

الركايب وطن فرقين والغضى مدهله حرمه
عقبكم يا مقر الزين عروة القلب منصرمه

القليب: قد مضى الكلام على هذا الموضع، وهو معروف بهضب القليب، وعَبيد ترك كلمة الهضب للضرورة واكتفى بالقليب، وهو معروف مقابل لطرف كشب الشمالي. القليب

عردة: باقية بهذا الاسم، إلا أنها أبدلت هاؤها نوناً، فيعرف هذا الموضع اليوم عند عامة أهل نجد بعردان، وهو أبرق بين ظلم وأجله، وبه حجارة ورمال، وهو الذي يقول فيه طهمان[1]: عردة

صعلا تذكر بالسفاء وعَرْدة غلس الظلام فآبهن رئالا
ياويح ما يفرى كأنَّ هويَّهُ مريخ أعسر أفرط الإرسالا

وقال عبد بن معرض الأسدي :

لمن طلل بعردة لا يبيد خَلَا ومضى له زمن بعيد

والسفاء الذي قرنه طهمان بعردة هو «سفوات» المعروفة اليومَ بهذا الاسم، وسفوات وعردان معروفان عند عامة أهل نجد بهذين الاسمين اليوم، وهما في شمالي المطلى، ومن حدود حمى سجا، في الجهة الغربية منه.

---

(١) معجم البلدان ١٤٢/٦.

قفا حبر

قفا حبر: حبر: جبل أسود معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقع في عالية نجد في الجهة الشمالية منها، إذا خرجت من ماء الدفينة قاصداً عفيفاً، وكنت بين ماءة الدفينة وماءة الخضارة، وأنت إلى ماءة الدفينة أقرب، فالتفت صَوْبَ يمينك فإنك ترى رأس عردان الذي ذكره عَبيد في معلقته باسم «عردة» ثم التفت صوب شمالك فإنك ترى رأس حبر، وأنت في مكان واحد، والموضعان متقابلان، وبينهما الطريق النجدي النافذ من مكة إلى الرياض، وحبر كما قلنا لم يتغير اسمه إلى هذا اليوم من العهد الجاهلي، وقد أكثر الشعراء من ذكره، قال الفقعسي وهو يرثى أخاه بدراً (١).

ألا قاتِلِ اللهُ الأحاديث والمُنَى ... وطيرا جرت بين السعافات والحبر
وقاتل تثريب العيافة بعد ما ... زجرْتُ فما أغنى اعتيافي ولا زجرى
وما للقُفُول بعد بدرٍ بشاشةٌ ... ولا الحى يأتيهم ولا أوبة السفر
تذكرني بدرا زعازع لَزْبَةٍ ... إذا أعصبت إحدى عَشِيَّاتها الغُبْر

وقال ابنُ مقبل :

سَلِ الدارَ من جنبي حِبِرّ فواهب ... إلى ما ترى هَضْب القليب المضيح

والمضيح في قول ابن مقبل «هضب القليب المضيح» معطوف على القليب، لأن بين المضيح وهضب القليب مسافة ثلاثة أيام أو أربعة، والمضيح باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

والمواضع الذي ذكرها عبيد: حبر، وعردة، والذنوب، والقليب، هذه يُرَى بعضُها من بعض، وهي باقية إلى هذا العهد بما ذكرنا من الأسماء، وملحوب، وراكس، وذات فرقين: لايبعد بعضها عن بعض، وأما القطبيات فلا أعلم موقعها.

---

(١) معجم البلدان ٢٠٨/٣ والذي في شعر المرار بكسر الحاء وسكون الباء، والذي في بيت ابن مقبل بكسرتين فراء مشددة كالذي في بيت عبيد وجعلهما ياقوت موضعين.

٢ ـــ وقال عَبيد بن الأبرص :

أحْلَفَ ما بازَلاً سَدُوسُهَا لاَحِقَّةٌ هِي وَلَا نَيُوبُ
عَيْرَانَةٌ مُؤْجَدٌ فَقَارُهَا كَأنَّ حارِكَهَا كَثِيب
كَأنَّهَا مِنْ حَمِيرِ غَابٍ جَوْنٌ بصَفْحَتِهِ نُدُوبُ(١)

إلى أن قال :

كَأنَّهَا لِقْوَة طَلُوبٌ تَخِرُّ فِي وَكْرِهَا الْقُلُوبُ
بَاتَتْ عَلَى إرمٍ عَذُوباً كَأنَّهَا شَيْخَةٌ رَقُوبُ

غاب: لاأعرف موضعاً في بلاد العرب يقال له غاب، ولكني أعرف موضعاً يقال له «الغابة» وهو موضع تجتمع فيه سيول وادي القصب ووادي الحريق المجاورين لجبل طويق. غاب

إرم: هو ـــ كما ذكره عبيد ـــ مَرْقَب في رأس جبل، وكل مرقب يقال له «إرم» وليس بموضع مخصوص. إرم

(١) رواية التبريزى «كأنها من حمير عانات» والعانات : جمع عانة، وهي الجماعة من حمر الوحش، وذكر الرواية الأخرى «من حمير غاب» ثم قال: «وغاب مكان». والجون: الأبيض، وهو الأسود أيضاً، ضد، والندوب: جمع ندب ـــ بالفتح ـــ وهو الجرح.

القسم الثاني
من الكتاب

في ذكر أماكن وردت في غير المعلقات
لشعراء مختلفين

١ ــ قال عمرو بن كلثوم يهجو النعمان بن المنذر ويعيره بأمه:

حَلَّتْ سُلَيْمىٰ بِخَبْتٍ بَعْدَ فِرْتَاجِ وَقَدْ تَكُونُ قَدِيماً فِي بَنِي نَاجِ
إذ لا تُرَجِّى سُلَيْمىٰ أَنْ يَكُونَ لَهَا مَنْ بالْخَوَرْنَقِ مِنّ قَيْنٍ وَنَسَّاجِ
وَأَنْ يَكُونَ عَلَى أَبْوَابِهَا حُرُسٌ وَلَا تُكَفِّفُ قُبْطِيًّا بِدِيَـــاجِ[١]
تَمْشِي بِعِدْلَيْنِ مِنْ لُؤْمٍ وَمَنْقَصِةٍ مَشْىَ الْمُقَيَّدِ فِي الْيَنْبُوتِ وَالْحَاجِ

فرتاج أما فِرْتَاج الذي ذكره عمرو بن كلثوم فكاني اراه، هضبات بها ماء يقال لها «فرتاج» إلى هذا العهد: فرتاج، والغيمار، والقعساء، جميعُ هذه الهضبات بها مياه، وهي من هضبات سميراء لاتبعد عنها أكثر من نصف يوم، وفرتاج في الجهة الغربية منها، قال زيد الخيل الطائي[٢] :

فلو أن نَصْرا أصلحت ذاتَ بينهَا لَضَحَّتْ رويداً عن مطالبها عمرو
ولكن نصراً أدمنت وتخاذَلَتْ وقالوا: عَمَرْنَا من محبتنا القفر
فإن تمنعوا فرتاجَ فالغمرَ منهم فإن لهم ما بين جرثم والغمر

وفي كلام زيد الخيل. وهو مخضرم ذكر فرتاج والغمر وجرثم الذي ذكره زهير، وهذه المواضع الثلاثة يرى بعضها من بعض: فرتاج، والغيمار، والجرثمى، وقال الراعي النميرى يذكر فرتاجا[٣]:

مازال يفتـح أبوابـا ويُغْلقهـا دوني وأفتح بابا بعد إرتاج
حتى أضاء سراجٌ دونَهُ بقر حورُ العيونِ مِلَاح طَرْفُها ساج
يكشرن للهو واللذات عن بَرَد تكشُّفَ البرقِ عن ذي لجة داج
كأنما نظرت دونـي بأعينهـا عينُ الصَّريمة أو غزلانُ فِرْتَاجِ

---

(١) هذه رواية ديوان عمرو بن كلثوم ص ٦ ووقع في بعض الأصول :
* كما تلفف قبطى بديباج *
(٢) معجم البلدان ٦/٣٥٤ وفيه في ثالثها «ما بين جرثم فالغفر».
(٣) المعجم في الموضع نفسه.

وقال رجل من عُذْرة :

بِفِرْتَاجَ من أرض الحَليفين أرَّقَتْ　　جَنُوبٌ ولا لاح السِّماك ولا النَّسْرُ
ومن دون مَسْرَاها الذي طرقت به　　شماريخُ من ريّان يَرْوَى بها الغمر [1]

وهذا الشاعر العذري ذكر فرتاجاً والغيمار وكان يسمى الغمر في الزمن القديم.

* * *

٢ ــ وقال لَبِيدُ بن ربيعة العامري[2]:

لِهِنْدٍ بِأعْلامِ الأغَرِّ رُسُومُ　　إلى أُحُدٍ كأنَّهُنَّ وُشُومُ
فَوَقْفٍ فَسُلِّيّ فَأكنافِ ضَلْفَعٍ　　تَرَبَّعُ فِيهِ تَارةً وَتُقِيمُ
بما قد تَحُلُّ الواديَيْنِ كِلَيْهِمَا　　زنانِيرُ فيها مسكنٌ فتدومُ

في هذه الأبيات الثلاثة أربعة مواضع كلها باقية بأسمائها إلى هذا العهد، وهي: سلىّ، وضلفع، وزنانير، وتدوم.

زنانير　أما زنانير فهي هَضَبات على وادي رنية في المنتصف بين رنية وجرش الذي يقال له اليوم «أبا الجُرشى» يقع وادي رنية بينهن. «بالجرشي» تصحيح

سلى　فأما سلى فهو جبل أسود، ليس بالكبير، على ضفة وادي رنية، على جانبه الجنوبي مما يلى موضعاً يقال له «الخرقان» مزارع، وهو حد المعمور من رنية من جهة الشرق، وجبلُ سلى مجاور لذلك الموضع، ووادي رنية يأتي بينها: الخرقان على ضفته الشمالية، وسلى على ضفته الجنوبية وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

---

(١) في معجم البلدان «الغفر» وفسره فقال «الغفر : ولد الأروية، والجمع غفرة وأغفار».

(٢) البيتان الأولان في معجم البلدان ١١٨/٥ وفي ٥٣٠/٨، وثالثها وحده فيه ٣٧٢/٢، وثلاثتها مجتمعة في ٤٠٦/٤.

ضلفع وضلفع: جبل يقع في الجهة الجنوبية من جبل سلى، على مسافة نصف يوم، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يمر به السالك من نَجْد إلى بيشة، وضلفع هذا في الجهة اليمانية من نجد، وهو غير ضلفع الذي ذكره متمم بن نويرة وهو يرثي أخاه مالكاً حين قال[1]:

أقول وقد طار السنا في ربابه — وغيث يسُحُّ الماء حتى تَرَبَّعا
سقى الله أرضا حَلَّها قبرُ مالكٍ — ذِهَابَ الغَوَادى المُدجنات فأمْرَعَا
وآثر سيل الواديين بديمة — ترشح وَسْمِيًّا من النَّبْتِ خِرْوَعَا
فمنعرج الأجناب من حول شارع — فروَّى جنابَ القريتين فضلفعا
تحيته منى وإن كان نائيا — وأمسى تراباً فوقه الأرضُ بَلْقَعَا

أما ضلفع الذي ذكره متمم بن نويرة فهو الموضع الذي في أعلى القَصيم، يقال له في هذا العهد «الضلفعة» وذلك لأن مالك بن نويرة قتل في البطاح، والبطاح من أودية الرس، ودُفن في وادي الضلفعة المعروف بهذا الاسم اليوم، ولكن أهل المعاجم الذين يوردون الشواهد على الأسماء ليس لهم علم بما اتفق منها وما اختلف، وضلفع الذي ذكره لبيد في شعره هو الذي يقول فيه جامع بن عمرو بن مُرْخية[2]:

بَدَتْ لي وللتيمى صهوة ضلفع — على بعدها مثل الحصان المحجل

وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد في تلك الناحية.

تدوم أما تدوم فهو جبل مُغْبر الجنبات، ليس بالكبير، يقع في الجهة الجنوبية من رنية، على مسافة ساعة، وهو الذي يقول فيه الراعي وقد غضب عليه مروان بن الحكم وتوعده، فذهب إلى بلاد قومه، وقال:

---

(١) معجم البلدان ٤٣٩/٥.
(٢) المعجم ٤٣٩/٥ أيضاً.

خُبِّرت أن الفتى مَرْوَان يُوعِدُني فاسْتَبْقِ بعضَ وعيدى أيها الرجلُ
وفي تدومَ إذا اغبرَّتْ مناكبُه ودارة الكور عن مروان مُعْتَزَلُ

سألت الشيخ عبد اللطيف بن إبراهيم قاضى رنية في سنة ١٣٦٦هـ عن تدوم، فقال: والله إني إذا رأيته أذكر بيت الراعى الذي يقول فيه :

* وفي تَدُوم إذا اغبرت مناكبه ــ البيت *

وأما الكور الذي ذكره الراعي فهو جبل عظيم أسود، يطل على بلد رنية، يقع في غربيها، ولا يزال بهذا الاسم إلى هذا العهد، ووادي رنية يقسم هذا الجبل نصفين، وفيه نخل يقال له الأملح، في وادي رنية في مقسم تلك الجبل، وهذا المقسم كان يقال له في الجاهلية ثنية الكور، وكان به يوم من أيام العرب بين بني عامر وبين اليمن، وفي هذه الثنية التي تسمى اليوم الأملح كانت أيام وحروب في أوائل القرن الرابع عشر بين سبيع بن بريهة وبين الزكور، والكور يقال له «ضلع المجامعة» والمجامعة: بطنٌ من سبيع، والحروب التي وقعت بين بطنين عظيمين من سبيع: بين بريهة، وهي التي تسكن جبل الكور والأملح، والزكور، وهم سكان رنية، وبين الموضعين أقل من مسافة نصف يوم، وأنا أعرف في بلاد العرب أربعة جبالٍ تعد من الجبال السود، وكل جبل في ضفته الشرقية بلد: أحدها أبان الأسود، وهو الشمالي من أبانين، في ضفته الشرقية «النبهانية» وبها قصور ونخيل ومزارع، وثانيها جبل شعبى، في شرقيه مسكة وضرية، وهو جبل الحمى المشهور، وثالثها جبل ثهلان، وفي ضفته الشرقية الشعراء، وهي ذات قصور ومزارع ونخيل حديثة، ورابعها جبل الكور الذي مر ذكره، وفي ضفته الشرقية رنية ذات قصور ونخيل ومزارع. وهي لعقيل بن عامر، وربما أن سبيع بطن من عقيل.

* * *

٣ ـــ وقال الحطيئة، وهو شاعر مخضرم(١):

أقاموا بها حتى أبنت ديارهم عَلَى غَيْرِ دِينِ ضَارِبٍ بِجِرَانِ
عَوَابِسَ بَيْنَ الطَّلْحِ يرجمن بالْقَنَا خُرُوجَ الظباء مِنْ حِرَاجِ قِطَانِ

قطان — قطان: وادٍ عظيمٌ كثير الظباء، سيلُه يأتي من جهة الجنوب إلى جهة الشمال، أعلاه مُتَاخم لبريم الواقع في شرقي حضن، ومتاخم لجبيلات الرحى، يقطعه طريق السيارات بين ركبة وقصر المويه، يصب سيلُه في الأرض السبخة التي تلى دغيبجة المنهلِ المعروف في جبل كشب، وقد أحسن الحطيئة في ذكره الظباء؛ فإن وادي قِطان من أعلاه إلى أسفله مجمع للظباء، ولايزال معروفاً باسم قطان إلى هذا العهد.

* * *

٤ ـــ وقال الأعشى(٢):

لِمِنِ الدَّارُ تَعَفَّى رَسْمُهَا بِالْغُرَابَاتِ فَأَعْلَى العَرَمَة

الغرابات — العَرَمَة، والغُرَابات: معروفان بهذين الاسمين إلى هذا العهد، قال رؤبة الراجز(٢):

*** وعارض العرق وأعناق العَرَم ***

الغرابات: هي جبيلات صغار سود في العتك، بين القصب وثادق، عندما ينقسم جبل اليمامة هناك.

---

(١) معجم البلدان ١٢٠/٧.
(٢) معجم البلدان ١٥٧/٦ و٢٧٢.

العرمة

وأما العرمة: فهو جبل عظيم طرفُه الجنوبى مما يلي السهباء، وفيه منهلُ وسيعٍ، ومنهل أبي جفان، ومناهل كثيرة: منها رماح وغيرة، ورماح هذا هو الذي يقول فيه جرير :

يذكرنـــــي فؤادي من هواه ظعائن يجتزعـن علـى رمـاح

وطرف العرمة الشمالي ينعقد في جبل مجزل، وقد قال صاحب معجم البلدان عن مجزل: هو جبل أو روضة، ولكني أعرف أنه جبلٌ، ولا يزال باقياً بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٥ ــ وقال الحارث بن عمرو الفزارى(١):

فَحَزْم قُطَيَّاتٍ إِذِ الْبَالُ صَالِحٌ فَكَبْشَة مَعْرُوف فَغَولاً فَقَادِمَا

قُطَيات: قد مضى الكلام عليها، وغول كذلك.

كبشة

وأما كبشة فهو اسم لواحد من كبشات، وكبشات ثلاثة أجْبُل سود عظام، إذا أفردت أحدها قلت كبشة، وإذا جمعت يقال لها كبشات، وهي باقية على أسمائها إلى هذا العهد، وهي لم تدخل في حمى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، ودخلت في حمى عثمان بن عفان رضي الله عنه، قال الأصمعي: كبشات جبال في الحمى: كبشة بني جعفر، وكبشة لقيطة، وهي لغنى، وكبشة الضباب، وهي حدود حمى عثمان، بينها وبين بلد ضرية مسافة يوم مما يلي مطلع الشمس.

* * *

(١) معجم البلدان ٢١٣/٧.

٦ ـــ وقال الحطيئة لما حَبَسه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه[١]:

مَاذَا تَقُولُ لِأَفْرَاخٍ بِذِي مَرَخٍ زُغْبِ الْحَواصِلِ لَامَاءٌ وَلَا شَجَرُ
أَلْقَيْتَ كَاسِبَهُمْ فِي قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فَاْغِفرْ عليك سلام الله يَاعُمَرُ

مرخ الموضع المشهور عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو واد يقع في الجهة الشمالية الشرقية من الزلفى، قريب روضة السبلة وقريب نفوف الضويحي، وادٍ عظيم يقال له «مرخ» وهو الذي ذكره أبو وَجْزة في قوله:

واحْتَلَّتِ الجوَّ فالأجزاع من مرخ فما لها من ملاحاة ولا طلب

وبين المدينة وفَدَك واد عظيم يقال له «مرخ» وظني أن هذا الوادي الحجازي هو الذي عناه الحطيئة؛ لأنه سجن في المدينة، وربما كانت فراخه قريبا منه.

* * *

٧ ـــ وقال عرْوَة بن الوَرْد العبسي[٢]:

سَقَى سَلْمىٰ وأَيْنَ محل سَلْمىٰ إِذَا حَلَّتْ مُجاوِرَةَ السَّرِيرِ
إذا حَلَّتْ بأَرْضِ بَنِي عَلِيٍّ وَأهْلُكَ بَيْنَ إِمَّرةٍ وَكِيرِ
ذَكَرْتُ مَنَازِلَا مِنْ آلِ وَهْبِ مَحَلَّ الْحَيِّ أسْفَلَ ذِي النَّقِيرِ

إمرة إِمَّرَة: معروفة بهذا الاسم إلى هذا العهد، جبيل صغير، كانت به
كير أبارق، بين أبانين وخزاز.

(١) المعجم ٢٠/٨.
(٢) المعجم ٣٠٥/٧ و ٣١١/٨.

وجبل كِير معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، من أجبلة المخامر، بين الشبيكية والرس، لايزال يطلق عليه جميعُ الناس اسم «كير».

* * *

٨ ــ وقال أبو زياد الكلابي[١]:

أَرَاكَ إِلَى كُثْبَانِ يَبْرِينَ صَبَّةً وَهذَا لَعَمْرِي لَوْ قَنَعْتِ كَثِيبُ
وَإِنَّ الْكَثِيبَ الْفَرْدَ مِن أيمن الْحِمىٰ إليّ وإنْ لَمْ آتِهِ لَحَبيبُ

يبرين

يبرين: منهل كثير المياه، به عيون ونخيل، باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، في شرقي الدهناء مما يلي الخرج، في الجهة الشرقية الجنوبية من الخرج، وهو الذي يقول فيه جرير:

لما تذكرت بالديرين أَرَّقَني صوتُ الدجاج وضَرْبٌ بالنواقيس
فَقُلْت للركب إذ جَدَّ الرحيلُ بنا يابُعْدَ يَبْرِين من باب الفراديس

وهو من مياه بني تميم في الجاهلية، ويسكنه الآن آل مرة.

* * *

٩ ــ وقال القحيف العقيلي[٢]:

أَلَا يَاحَمَامَ الشِّعْبِ شِعْبِ مُرَيْفِقِ سَقَتْكَ الْغَوَادِي مِنْ حَمَام وَمِنْ شِعْبِ

سَقَتْكَ الْغَوَادِي رُبَّ جَوْدٍ غَزِيرَةٍ أصَاحَتْ لَخِفْضٍ مِنْ عنانك أو نَصْبِ

---

(١) معجم البلدان ٤٩٤/٨.

(٢) معجم البلدان ٤٢/٨ غير منسوبة.

فَإنْ يَرْتَحِـــلْ صَحْبِـي بجُثْمَـــانِ أعْظُمِــــي
يَقُـم قَلْبِيَ الْمَحْــزُونُ فِي مَنْـــزِلِ الــرَّكْبِ

مريفق مريفق: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهو ماء عذب، بل هو أعذب المياه التي في جهته، في شمالي الزيدى مما يلي الصخة، وعليه شجرة أراك عظيمة، معروفة بحسن المساويك، وقد وردتُ ذلك المنهل وأخذت مساويك من تلك الشجرة.

* * *

١٠ ــ وقال أبو ذؤيب الهُذَلي(١):

لَعَمْرُكَ مَا عيْنَاءُ تَنْسَأُ شَادِنًا   يَعِنُّ لَهَا بِالْجزْعِ مِنْ نَخبِ النَّجْلِ

نخب نخب: وادٍ من أودية الطائف، وهو من الأودية العظام، يقع جنوبيَّ الطائف، على طريق الحجاز، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وأبو ذُؤيب الهُذَلي من شعراء تلك الناحية، وقال شاعر من ثقيف :

حَتَّى سمعتُ بكم ودعْتُمُ نخبا   ما كان هذا بحين النفر من نخب

وهذا الوادي المسمى نخبا فيه أحجار لم أر مثلها، كبيرة الحجم جداً، حتى إنك لترى الحجر منفردا، وترى الحجر عليه حجر ثانٍ لا يقدر أن يضعه فوقه مئات من الناس، وعليه حجر ثالث مثله، رأيت جملة من الأحجار على هذه الصفة، وهو بين وادي الطائف ووادي ليّة، وهو لقوم يقال لهم وقدان، هم أهله في هذا العهد، وهم من العرب، لكنهم ليسوا من ثقيف ولا من عتيبة على ماظهر لي.

* * *

(١) المعجم ٢٧٣/٨ واللسان (ن خ ب).

١١ ـــ وقال عَبْدَةُ بن الطبيب، وهو تميمي النسب وأسلم(١):

كأنَّ ابنَةَ الزَّيْدِى يوم لقيتُهَا هنيدة مكْحُولُ المدامِعِ مُرْشِقِ
تُرَاعِي خَذُولاً ينفض المَرْدَ شَادِنا تَنُوشُ من الضَّالِ القذاف وتعلق
وقلْتُ لها يومًا بِوَادِي مُبَايضٍ ألا كُلُّ عَانٍ غير عَانِيك يُعْتَقُ
يُصادف يومَاً من مَلِيكٍ سماحةً فيأخذ عرض المال أو يتَصَدَّقُ
وذكَّرنيها بعد ما قد نسيتُهَا ديارٌ علاها وابلٌ مُتَبعِّــقُ
بأكناف شَمَّاتٍ كأنَّ رُسُومها قَضِيمُ مَنَاعٍ في أديمٍ مُنَمَّقِ

مُبَايض: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وكان به يوم من أيام العرب بين تميم وبكر، وكانت بنو بكر قد لجأت إلى وادي مبايض فتألبت بنو تميم فجاءت إلى بني بكر، ورئيس بني حنظلة أبو الجدعاء، ورئيس بني سعد بن زيد مناة فدكى، ورئيس بني العنبر طريف، ورئيس بني بكر هاني بن مسعود الشيباني، فالتقوا في وادي مبايض، فاقتتلوا قتالاً شديداً، وانهزمت بنو تميم، وقتل طريف وهو فارس تميم على الإطلاق، قتله حميصة بن جندل الشيباني. مبايض

ومبايض في جبل مجزل مما يلي شمالي العرمة، يقع شرقي وادي سدير، سكنته في هذا العهد،الأخير قبيلتان من بريه: بطن من مطير، وهم الهوامل والعفسة.

١٢ ـــ قال شاعر من بني إنسان بن عتوارة(٢) :

أَتَتْنَا بنو نصر تَزُجُّ وطابها وخرفانهـا مسمومــة للتَّـــزَوُّدِ
إذا مابرئتم من بَرِيم وأهله فردوا عكاظيا بكم للتصَعُّدِ
فإني أرى أنَّ المَخَاض أصابها بني عامرٍ أهل التهدِّى وثهمد
سرت من جنون الليل عَزْفَاً فأصبحت بشعفين ياهـذا بإدلاج أعْبُدِ

(١) انظر معجم البلدان ٣٧٩/٧.
(٢) انظرها وأبيات ابن مقبل في معجم البلدان ٢٧٥/٥.

وقال ابن مُقبل :

تأمل خليلي هل ترى ضوء بارق يمانٍ مَرَتْهُ ريحُ نجدٍ فَفَتَّرا
مرته الصَّبا بالغَوْر غور تِهَامةٍ فلما دنت منهن شَعْفَين أمطرا

بريم أما بريم فهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد يقع شرقي جبل حَضَن.

شعفان وأما شَعْفان فهما جبيلان صغيران في قطعة من الأرض تسمى اليوم عند عامة أهل نجد «الحزم» واقعة بين المويه والخرمة، وهما مختلفا الألوان، يقال لأحدهما «شعف الأسود» ويقال للثاني «شعف الأعفر» والعفار: البياض، والمسافة بينهما للسائر على قدميه ثلاث ساعات، أحدهما مقابل الآخر، الأسمر مما يلي مغرب الشمس، والأعفر مما يلي مطلعها، وأما المثل السائر عند العرب إلى هذا العهد «لكن بشعفين كنت جدودا» فقد قال في معجم البلدان: إن أصل هذا المثل أن عروة بن الورد وجد جارية بشعفين وقد أنحى عليها الزمان فأتى بها أهله ورباها، حتى إذا سمنت وبطنت بطرت، فرآها يوماً وهي تقول لجوارٍ كن يلاعبنها وقد قامت على أربع «احلبوني فإني خَلِفة» فقال لها عروة «لكن بشعفين كنت جدودا» يضرب مثلاً لم نشأ في ضر ثم ترفع عنه فبطر، والجدود: هي التي انقطع لبنها، وهذه لغة باقية إلى الآن، وقد غلط صاحب معجم البلدان في قوله «إن شعفين أكمتان بالسى» والصحيح أنهما أكمتان بالحزم، وأما السى فهو القطعة من الأرض الواقعة بين جبل كشب ووادي العقيق والذي فيه جبل بسيان.

* * *

١٣ ــ وقال شاعر جاهلي اسمه عوف بن الخرِع أحد بني الرباب[١]:

---

(١) معجم البلدان ٢٨٤/٥.

أمن آل سَلْمىٰ عرفتَ الديارا   بجنب الشقيق خلاءً قفارا
وقفت بها أصُلاً ما تبين   لسائلها القول إلا سرارا

وقال ابن مقبل :

فحياض ذي بقر، فحزم شقيقة   قَفْر، وقد يغنين غير قفار

الشقيق الشقيق: جمع شقيقة، وهو كل ما غلظ من الأرض وانخفض بين كثيبين، وتسميها عامة أهل نجد اليوم «الخبة» وأعرف موضعاً في بلاد العرب باقياً بهذا الاسم الذي مر ذكره.

الشقيقة الشقيقة: قطعة من الرمال واقعة بين عنيزة والمذنب، تقع في غربيهما، يحدها شمالاً وادي الرمة، ويحدها جنوباً الخرما وخريمان التي تجتمع بها سيول أودية نجد الوسطى.

قال نصر بن زياد العقيلي :

مَرَّتْ حمولهُمْ سفحى شبيرمة   والشمسُ طالعةٌ والقلبُ مشتغلُ

قال في معجم البلدان : الشبيرمة كأنها تصغير شبرمة ضرب من النبات، وهو ماء للضباب بالحمى حمى ضرية، وأقول: شبيرمة في خارج حدود الحمى الجنوبية.

١٤ ــ وقال حيان بن جبلة المحاربي، وهو شاعر جاهلي :

أَلَا إنَّ جِيرَانَ العَشيَّةِ رَائِحٌ   دَعَتْهُمْ دَوَاعٍ من هَوًى وَمَنَادِحُ
فَسَارُوا لِغَيْثٍ فيهِ اغى وغُرَّبٌ   فَذُو بَقَرٍ فَشَابَةٌ فَالذَّرَائِحُ

غرب أغى وغرب: جبال قريب بعضها من بعض، في عالية نجد، لاتزال بهذا الاسم إلى هذا العهد.

أما غرب فهي جبيلات سود في طرف أجبلة الحمار في جنوبيها مما يلي عرق سبيع.

أغى — وأما أغى فيقال لها في هذا العهد «بني غي» وهي سنفان بين الحمرة والسواد، بين غرب وعرق سبيع، تقع في جهة مطلع الشمس من غرب.

ذو بقر — أما ذو بقر، وشابة: فقد مضى الكلام عليهما.

الذرائح — والذرائح: لا أعلمها بهذا الاسم في هذا العهد.

* * *

١٥ ــ وقال شاعر، وأنشده أبو النَّدَى[١]:

وَرَيْتَ جَرِيراً يَوْمَ أَذْرِعَةِ الْهَوَى ... وَبُصْرَى وَقَادَتْكَ الرِّيَاحُ الْجَنَائِبُ
سَقَى اللهُ نَجْداً مِنْ رَبِيعٍ وَصَيِّفٍ ... وَخُصَّ بِهَا أَشْرَافُهَا فَالْجَوَانِبُ
إِلَى أَجَلَي فَالْمَطْلِيَيْنِ فَرَاهِصٍ ... هُنَاكَ الْهَوَى لَو أَنَّ شَيْئاً يُقَارِبُ

أجلى — أما أجلى: فهي معروفة، وقد مضى الكلام عليها في كتابنا هذا، إذا قطعت وادي الخضارة متجهاً إلى عفيف ثم أتيت وادي الثعل، فانظر على شمالك تجدها، ويقال لها في هذا العهد «أجلة».

المطليان — والمطليان: موضع الحمى اليوم حمى سجا والعبلة، تقع جنوبيه، فإن أفرد أحدهما بلفظة المطلى فهي تكفى للحمى أو العبلة.

راهص — وأما راهص: فهو باق بهذا الاسم، هضبات متصل بعضها ببعض، يقال لها الآن «الرواهص» تقع بين جبل المردمة وجبل العلم، معروفة عند عامة أها نجد.

* * *

(١) معجم البلدان ٢١٦/٤.

١٦ ــ وقال الراعى النميرى(١) :

يُشَوِّقُهَا تَرْعِيَّةٌ ذُو عَبَاءَةٍ بِمَا بَيْنَ نَقْبٍ فَالْحَبِيسِ فَأَفْرَعَا

نقب

قال ياقوت في معجمه: هذا نقب ضاحك، طريقٌ يصعد في عارض اليمامة. قال المصنف: أنا أعرف هذا النقب، طريقٌ بين مدينة ثادق البلد المعروفة من مدن اليمامة وبين بلد عودة سدير، وهي طرف قرى سدير الجنوبية، يقال لهذا الطريق اليوم «ثنية ضاحك» جميعُ أهل تلك الناحية لايزالون يعرفونه بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

١٧ ــ وقال طهمان بن عمرو الكلابي(٢):

لَقَدْ سَرَّني مَا جَرَّفَ السَّيْلُ هَانِئاً وَمَا لَقِيتْ مِنْ حَدِّ سَيْفِى أَنَامِلُهْ
وَمَتْرَكُهُ بِالْبَرَّتَيْنِ مُجَدَّلَا تَنُوحُ عَلَيْهِ أُمُّهُ وَحَلَائِلُهْ

البرتان

البرتان: جبيلان صغيران في حد حمى سجا الجنوبي، يقال لكل واحد منهما البرة، وهما معروفان عند عامة أهل نجد بهذا الاسم إلى هذا العهد، وكان عندهما يوم من أيام العرب بين بني عامر وبني أسد، وكانت النصرة فيه لبني عامر، وقال مُطَير بن الأشيم الأسدي يرثي قرة وعلقمة ابني عمه:

أحَقًّا أن قرة لا أراهُ فما أنا بَعْدَه بقريرِ عَيْنِ
وعلقمة الذي قد كان عزى وإن حَفلَ المجالسُ كان زَيْنِي
إذا قال الخليل تَعَزَّ عنهم ذكرتُ رئيس يوم البُرَّتَيْنِ
ألا لاخُلْدَ بعدَكما، ولكن ضُحاء الورد بينكما وبيني

---

(١) المعجم ٣٠٧/٨.

(٢) معجم البلدان ١٠٨/٢.

قال صاحب معجم البلدان: البرتان جبيلان بالمطلى أرض لبني أبي بكر بن كلاب، وهي مختلطة فيها، وقال أيضاً في معجم البلدان: والبرتان هضبتان حميراوان مقترنتان بأعلى خنثل، هذه العبارات قريبة من الصواب، أما قوله «بأعلى خنثل» فإنهما ليستا بأعلى خنثل، ولكنهما قريبتان منه، وقال أيضاً في اشتقاق الأسماء: كأن هذا الموضع يبر أهله بالخصب والربيع، وهذه عبارة جيدة، فإن تلك الناحية من أخصب أرض الله وأمْرَاهَا لرعى الإبل، وأما البرتان اللتان ذكرهما يحيى بن طالب الحنفى في أشعاره فهى البرة الواقعة في اليمامة، وهي التي يقول فيها يحيى بن طالب الحنفي[1]:

خليليَّ عُوجا بارك الله فيكما على الَبّرة العَلْيا صدورَ الركائب
وقولا إذا ما نَوَّه القوم للقِرَى ألا في سبيل الله يحيى بنُ طالبِ

وكلتا البرتين ــ البرة التي في المَطَلَى بالقرب من سَجَا، والبرة التي في اليمامة ــ باقية بهذا الإسم إلى هذا العهد. وعندها بلد يقال لها «رغبة» كما أن عند البرة التي في حمى سجاجبل يقال له رغبة.

* * *

١٨ ــ وقال الراعى النُّمَيْري[2] :

فَلَنْ تَشْرَبِى إلّا بريقٍ وَلَنْ تَرَىْ سَوَاماً وَحِسًّا بِالْقَصِيبَةِ وَالْبِشْر

وقالت وَجيهة بنت أوس الضَّبية :

وَعَاذِلَةٍ هَبَّتْ بِلَيْــلٍ تَلُومُنِــى عَلَى الشَّوْقِ لَمْ تَمْحُ الصَّبَابَةَ مِنْ قَلْبِي
فَمَالِىَ إنْ أحْبَبْتُ أرْضَ عَشِيرَتِي وَأحْبَبْتُ طَرْفَاءَ الْقَصِيبَةِ مِنْ ذَنْبِ

(١) المعجم ١٥٨/٢.
(٢) المعجم ١١٥/٨

القصيبة قال ياقوت[١]: قال ابن أبي حفصة: القُصَيبة من أرض اليمامة لبني امريء القيس وقال ياقوت[٢] في موضع آخر: القصبات من قرى اليمامة لم تدخل في صلح خالد بن الوليد أيام مسيلمة.

قال المصنف: هي باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، مدينة من ملحقات وَشْم اليمامة يقال لها القصب إلى هذا العهد، أغلبُ إنتاجها البر، موقعها بين الكثيب والعتك.

* * *

١٩ ــ وقال سرية الفزاري، وقالوا: إنها لابن مَيَّادة[٣]

يَاصَاحِبَ الرَّحْلِ تَوَطَّأْ وَاكْتَفِلْ وَاحْذَرْ بِدَغْنَانَ مَجَانِينَ الإِبِلْ
كُلّ مُطَارٍ طَامِحِ الطَّرْفِ رَهِلْ أَلْزَمَهَا الرَّاعِى صِرَاراً لَا يُحَلْ

أي: فرزها حتى سمنت، وقال شاعر كلابي:

مِنَ الْأَعْنُزِ الَّلائى رَعَيْنَ مُحَمراً وَدَغْنَانَ لَمْ يَقْدِرْ عَلَيْهِنَّ قَانِصُ

دغنان دَغْنَان: هو ركن من أركان النير الجنوبية، جبال متصل بعضُها ببعض، تسمى بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال لها دغانين، ودغنون، ودُغَيْنَان، كل هذه الأسماء تطلق عليها، وهي مشرعة في الحمى، والحَميُّ هو الأرض الواقعة بين المصلوب والمردمة.

* * *

٢٠ ــ وقال لَبيد بن ربيعة العامري[٤] :

(١) المعجم ١١٥/٨
(٢) المعجم ٩٥/٨
(٣) المعجم ٦٣/٤
(٤) المعجم ١٥٥/٦

فَصَلَقْنَا فِي مُرَادٍ صَلْقَةً وَصُدَاءٍ أَلْحَقتْهُمْ بالشَّلَلْ
لَيْلَةَ الْعُرْقُوبِ حتَّى عَامرت جَعْفراً تدعى وَرَهْط ابْنِ شَكَلْ
وَمَقَامٍ ضيِّقٍ فَرَّجْتُهُ بِلِسَانِي وَبَيَانِي وَجَدَلْ
لَوْ يَقُومُ الْفِيلُ أو فَيَّالُهُ زَلَّ عَنْ مثل مَقَامِي وَزَحَلْ

العرقوب

العرقوب: معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، متاخم لدغنون الذي تقدم ذكره لا يفصل بينهما غير أرض الحِمى، دغنون في جهة الحِمى الشمالية، والعرقوب في جهة الحِمى الجنوبية الشرقية وكان به يوم من أيام العرب بين بني عامر وبين اليمن، وهو الذي يقول فيه معاوية المرادي:

لقد علم الحيَّانِ كعبٌ وعامر وحَيَّا كلابٍ جَعْفَرٌ وعبيدُهَا
بأنا لَدَى العرقوب لم نسأم الْوَغَى وقد قلعت تحت السروج لُبُودُهَا
تركنا لدى العرقوب والخيلُ عُكَّفٌ أسَاوِدَ قتلىٰ لم توسَّد خدودُهَا
ورُحْنَا وفينا آبنا طُفَيل بغلةٍ بما قَرَّ حَيٌّ عاد فَلَّا شريدُهَا

العرقوب: جمعه عراقيب، وهي واقعة في الجهة الجنوبية الغربية من ماءة المصلوب التي كانت تسمى في الجاهلية المسلوق، وقد كان بها اليوم المذكور من أيام العرب، وقد وقع فيه في الربع الأول من القرن الرابع عشر يومٌ بين العرب المتأخرين بين علوى وبني عبد الله بن غَطَفان، أما علوى فكان رؤساؤهم في هذا اليوم: بدر بن محمد الدويش، ووطبان الدويش، وكانوا قد رجعوا من غزوتهم مفلسين من عتيبة، وكان بنو بدير قاطنين على ماءة المصلوب، ورئيسهم محمد بن حوكة وأخوه سالم بن حوكة، فعزم الغزاة المفلسون على أخذ غنم ذوي بدير، وكلهم قبيلة واحدة، ولا تُحِلُّ لهم تقاليدُ البدو أن يغيروا عليهم في حال السلم؛ لأنهم يد واحدة، ولكنهم أرادوا مخالفة هذه التقاليد، فأغاروا عليهم، وأخذوا الأغنام، وثار عليهم بنو عبد الله بن غَطَفان، وهم من ذوى بدير، على ماءة المصلوب، فلحقوهم، فكانت المعركة عظيمة، واسترجعوا أغنامهم، فصمموا على أخذ

ركابهم، ولم يكن معهم من الخيل إلا فَرَسَان: فرس تحت بدر بن محمد الدويش، والثانية تحت مشارى بن بصّيص رئيس الصعران بطنٍ من مطير، فلما رأى الدوشان ومَنْ معهم أنهم قد أدركوا دخلوا على مشارى بن بصيص وسألوه أن يمنعهم من ذوى بدير ولو أنهم معتدون عليهم؛ لأن صنعهم هذا يسىء إلى مابين قبائلهم، فرجع مشارى بن بصيص، واجتمع برؤساء القوم محمد بن حوكة وأخيه سالم فَطَال الجدال بينهم، فانتهى الأمر بقبول وساطته للكف عنهم، وقد حدثني رجل من ذوي بدير يقال له الحميدي البديري كان حاضراً تلك الوقعة قال: لما اختلفنا في الغنائم والعقائر من الإبل، وكان منا رجل يقال له عتيق من الذين عُرفوا بإصابة المرمى، فسمع الرمى، واعترض للمنهزمين ومعه بندقيته من الصمع، فلما اختلفوا عند العقائر من جيش الأعداء قال: ما أدركه مضرب السهم منها في ملكث العرقوب من يمين فهو لي، ومأدركه مضرب السهم في غير هذا الموضع فلا أنازعكم فيه قال: فوجدنا مأصابه السهم منها في الموضع الذي ذكره خمس عشرة ناقة، ذلك لأنه معروف بجودة الرمي عند قبيلته وعند كثير من أهل نجد، فأخذها، والعرقوب والعراقيب يكون إذا خرجت من ماء المصلوب قاصداً مكة على شمالك من حين تمشي من الماء حتى تصل الحِمى، أبارق وأحجار منعقد بعضها ببعض.

* * *

٢١ ــ وقال طهمان بن عمرو الدارمي(١):

ألا يا اسْلَمَا بالبئر من أم واصلٍ ومنِ أم جبر أيُّهَا الطَّلَلانِ
وهل يعَلم الرَّبْعَان يأتي عليهما صباحَ مَسَاءٍ نائبُ الحَدَثَانِ
ألَا هَزِئَتْ مني بنجران إذ رَأَتْ عثاريَ في الكَبْلَيْن أمُّ أبانِ

(١) المعجم ٤/٧١

كأن لم ترى قبلي أسيراً مكبَّلا ولا رجُلَا يُرْمى به الرَّجَوَانِ
عذرتُكِ ياعيني الصحيحة والبكى فما لَكِ ياعوراءُ والهَمَلانِ
كفي حَزَناً أني تطالَلْتُ كي أرى ذُرَى قُلتي دَمْخ كما تَرَيَانِ
كأنهما والآل يَجرِي عليهما من البعد عَيْنَا برقُعٍ خَلقَانِ
ألا حبذا والله لو تعلمانِهِ ظلالُكما ياأيها العَلَمَانِ
وماؤكما العَذْبُ الذي لو وردتُه وبي نافضُ الحمىَّ إذَا لَشفَانِي
وإني والعبسيَّ في أرض مذحج غريبانِ شتَّي الدارِ مختلفانِ
غريبان مَجْفُوَّانِ أكثَرُ همنا وجيفُ مطايانا بكل مكان

دمخ — دمخ: جبل عظيم في عالية نجد الجنوبية، وقد مضى الكلام عليه في كتابنا هذا، وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، قال شاعر من بني كلاب:

أمغترباً أصبحْتُ في رامَهُرْمُزَ؟ نعم كل نجديٍّ هناك غَريبُ
فياليت شعرى هل أسيرنَّ مُصْعِدا ودَمْخٌ لأعضاد المطى جَنيبُ

وقد أكثرت الشعراء من ذكره، وهو متاخم لجبل ثهلان، ولونه كلونه.

* * *

٢٢ ـــ قال ساعدة بن جؤيَّة الهُذَلي(١):

أخِيلُ بَرْقًا مَتَى حَاب لهُ زِجَلٌ إذا يفتِّرُ عن تَوْمَاضِهِ حَلَجَا
مُسْتَأرضاً بين بطن اللَّيْثِ أيمنُهُ إلى شَمَنْصِيرَ غَيْثاً مرسلا مَعِجَا

الليث — الليث: موضع معروف على ساحل البحر بين مكة المكرمة والقنفدة، مرسى لأهل تلك الناحية، وهو لبني حسن بطن من أشراف تهامة، وهو معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد.

(١) المعجم ٢٩٦/٥ وديوان الهذليين ٢٠٩/٢.

شمنصير أما شمنصير فهو جبل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، منقطع من جبال كشب الغربية يبعد عنها مسافة نصف يوم، أقرب ما يليه من الأودية المعمورة وادي رهاط، له ذروة شاهقة لايستطيع أحد أن يرتقيها، وفيه نبات لايوجد في جبال الحجاز كالنَّبْع والغَرْب والشَّوْحَط وهذا الجبل هو الذي ذكره أبو صخر الهُذَلى في قوله من قصيدته التي رثى بها ابنه تليدا:

وذكَّرنى بُكَاىَ على تليد حمامة مَرَّ جاوبَتِ الحَمَامَا
ترجِّعُ منطقاً عجبا وأوفت كنائحة أتَتْ نوحاً قياما
تنادي ساق حُرٍّ ظَلْتُ أدعو تليداً لايُبِينُ به الكلاما
لعلك هالك إما غلامٌ تبوأ من شَمَنْصيرٍ مقاما

ويلى شمنصير جبال، هي عمدان والعرضاء، قال شاعر من الروقة نبطى :

اسال عمدان والعرضا واسالك ياشمنصير
وسال عدن عليه الورد يسقى كل فجرا

اسالهم عن ابكار ما عليها الا البواكير
غدت نهار التفرق بين بدوان وحضرا

البواكير: وسوم للإبل كية بالنار، ولا أعلم أن بواكير بهذا المعنى تستعملها أعراب تلك الناحية غير قبيلة الهمارقة من سكان الحجاز، ومياههم العقيق، ويرجعون في النسب إلى قبيلة المقطة قبيلة ابن حميد، والعد الذي ذكره هو رهاط الذي يجاور شمنصير، وشمنصير تعرفه عامة أهل نجد.

٢٣ ـــ وقال شاعر من بني كلاب :(١)

(١) المعجم ١٩٠/٦

وَمَا أُمُّ طفلٍ قد تَجَمَّمَ رَوْقُهُ   تُفَرِّى به طَلْحاً وسدراً تناسقُهْ
بأسْفَل غُلَّان العفيفِ مَقِيلُهَا   أراكٌ وسدرٌ قد تحضر وَارِقُهْ

عفيف — عفيف: هو المنهل المعروف على طريق السيارات إلى مكة، بين الدفينة والقاعية، عمر في هذا العهد الأخير، وأقيم به بلد، وكثرت به القصور والدكاكين، وبه مركز للحكومة فيه أمير وقاض، وتصلى فيه الجمعة، وهو باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد.

* * *

٢٤ ــ وقال البريق الهذلى[١]:

سَقَى الرحمنُ حَزْمَ يُنَابعاتٍ   من الجوزاء أنواءً غِزَارَا
بمُرْتجزٍ كأن على ذُرَاهُ   رِكابَ الشأم يحملن البَهَارَا
يحطُّ العُصْمَ من أكناف شِعْرٍ   ولم يترك بذي سَلْع حِمارَا

شعر — شعر: جبل أسود ململم طويل، إذا خرجتَ من ماءة عفيف قاصداً الرياض، وسرت بالسيارة ثلث ساعة انعرَجَ طريق على شمالك، وهو طريق القصيم، سالكُ هذا الطريق يمر بشعر، وبه بئر يقال لها الأشعرية في وسط هذا الجبل، تقف عنده السيارات، إذا انعرج الطريق المذكور فالتفِتْ على شمالك فإنك ترى شعرا، ليس حوله جبال مثله، أسود طويل ململم، يبعد عن الطريق المذكور مسافة نصف يوم للإبل حاملة الأثقال، ولكني لست على ثقة أن البريق عناه، وأغلب ظني أنه قصد جبل شعر الواقعَ غربي كشب، ولايزال يقال له شعر إلى اليوم، تعرفه عامة أهل نجد، وهو في المنتصف بين كشب وجبال الحجاز، وأما شعر المتقدم ذكره فهو الذي يقول فيه ذو الرمة :

---

(١) المعجم ٥/٢٧٤

أقـول وشعـر والعـرائس بيننـــا وسُمْرُ الذرى من هضب ناصفة الحمر

والعرائس: هضبات ثلاث حمر مُتَاخمات لشعر في جهته الشرقية، تبعد عنه أقل من نصف يوم، تعرف بالعرائس إلى هذا العهد، قال الخطيم العكلى:

وهل أرَيَنْ بين الحفيرة والحِمَى حمى النير يوماً أو بأكثبة الشعر

والذي يدل على أن الخطيم قصد شعرا المذكور أنه متاخم للنير، قال غسان بن ذهل السليطي[1]:

تُسَائلني جنباء أيـن عشارهـا فقلت لها تعل عَثْرَةَ ناعِس
إذا هي حَلَّت بين عَمْرو ومالك وسعد أجيرت بالرماح المَدَاعِسِ
وهان عليها ما يقول ابنُ دَيْسَقٍ إذا نزلت بين اللِّوى والعَرَائِسِ

اللوى: هو طرف عريق الدسم لأنه مُتَاخم للعرائس وشعر، والعرائس هي الهَضَبات المذكورة آنفاً، متاخمة لشعر المذكور، به يوم من أيام العرب بين بني عامر وغَطَفان، عَطِشَ في ذلك اليوم غلام شاب يقال له الحكم بن الطفيل فخشى أن يؤخذ فَخَنق نفسه فسمى ذلك اليوم «يوم التخانق».

* * *

٢٥ ــ وقال ذو الجوشن الضبابي[2] :

أمْسَى بكودَ أُثالٌ لا بَرَاح له بعد اللقاء، وْأمسى خائفاً وَجِلَا

---

(١) المعجم ١٣٦/٦، وذكر خلافا في نسبة هذه الأبيات.
(٢) المعجم ٢٩٣/٧

كود هذا الموضع قتل فيه الصميل بن الأعور الضبابي، وهي هضبة حمراء يقال لها في هذا العهد «الكودة» وهي هضبة شاهقة، وهي التي يقول فيها الراجز:

*** مثل عَمُود الكود، لا، بل أعظما ***

وهي معروفة عند عامة أهل نجد بهضبة الكودة. لم يتغير اسمها إلى هذا العهد، لاتبعد عن هضبات العرائس أكثر من ساعتين، وشعر والعرائس والكودة متصلٌ بعضُها ببعض.

* * *

٢٦ ــ وقال عدي بن الرقاع العاملي(١):

فَذَرْذا، ولكن هل تَرَى ضَوْء بارق وَميضاً ترى منه على بُعْده لمْعَا
تَصَعَّدَ في ذات الأرانب مَوْهِناً إذا هَزَّ رعْداً خِلْتَ في وَدْقِهِ شفعا

ذات الأرانب ذات الأرانب: على اسمها إلى اليوم لم تتغير إلا قليلاً فإنها تعرف اليوم باسم «أرينبة» وهي هضبات صغار قريبَ العرائس المذكورة، وهي أصغر منظراً من الهضبات التي مر ذكرها، إذا خرجت من مَنْهل عفيف سائراً نحو الشرق، وكنت في أودية أبقار، فالْتَفتْ على شمالك فإنك ترى جبل شعر، وإذا خرجت من أبقار وهبطت وادي المعلق فالتفت على شمالك فإنك ترى الكودة والعرائس وأرينبة: العرائس هضبات حمر شامخة، والكودة: هضبة واحدة، وأرينبة: هضبات صغار، وهذه الهضبات المذكورة يطوف عليها الراكب في أقل من نصف يوم، لاتزال كلها بهذه الأسماء إلى هذا العهد، وجميعُها على شمالك وأنت خارج من عفيف.

* * *

(١) المعجم ١/١٧٠

٢٧ ــ وقال سالمُ بن دَارَةَ[1]:

تَركَنِـــي فَرَقُــهُ في مَعْلَـــقِ أنــزل جبــل مُرَّة وأرتقـــى

*** عن مرة بن دافـع وأتَّقِـــي ***

المعلق صار اسم هذا الموضع اليوم «المعلّق» فشددوا لامَه، وابن دارة قصد في أجوزته وادي المعلق، وجبل المعلق، وهذا الوادي إذا أنت قطعت أودية أبقار وجبالَها وأنت قاصد القاعية من عفيف رأيته هناك، يقطعه الطريق، ثم إذا التفتَّ صَوْبَ شمالك رأيت جبيلاً ململما شاهقاً إلى السماء يقال له جبل المعلق.

* * *

٢٨ ــ وقال نصيب[2]:

وَقَدْ كان في أيامنا في سُوَيْقَةٍ ولَيْلاتِنا بالجزْعِ ذِي الطَّلح مَذْهَبُ
إذ العيشُ لم يمرُر علينا، ولم يَحُلْ بنا بَعْدَ حينِ وردُه المتقلبُ

وقال ذو الرمة :

أقول بذي الأرْطى عشية أتْلَعَتْ إلىّ نباسِرْبُ الظباء الخواذل
لأدْمَانَةٍ من بين وَحْش سُوَيقة وبين الطوال العُفْر ذات السلاسل
أرى فيك ياخرقاء من ظبية اللوى مَشَابِهَ من حيث اعتلاق الحبائل

سويقة سويقة: هضبة معروفة تقع جنوبي جبال حليت، معروفة بهذا الاسم عند عامة أهل نجد، وكانت بها وقعة من وقعات بكر وتغلب، وهي التي قال فيها مهلهل:

---

(١) المعجم ٩٩/٨

(٢) المعجم ١٨٠/٥ وكل ما ذكر معه من الشواهد.

غَدَاةَ كأنَّنَـا وبنـى أبينـا بجَنْب سُوَيقـة رَحَيا مُدِيـر[1]

وقال كثير:

لعمرى لقد رُعْتم غَدَاةَ سُوَيقة ببينكُم ياعـزَّ حَقَّ جَزُوعِ

وقال ابن هَرْمة :

عفت دَارُهَا بالبُرْقتين فأصبحت سُوَيقة منها أقفـرت فنظيمُهَـا

وقالت تماضر بنت مسعود أخي ذو الرمة :

لعمرى لجو من جِواء سُوَيقة أو الرمل قد جَرَّتْ عليه سيولُهَا
أحبُّ إلينا من جداول قَرْية تعوض من رَوْض الفلاة فسيلُها
ألا ليت شعرى لاحُبِست بقَرْية بقيةَ عمرٍ قد أتاها سبيلُها

وقالت تماضر أيضاً :

لعمرى لأصوات المَكَاكِيِّ بالضحى وصوت صَباً في مجمع الرِّمْثِ والرمل
وصَوْت شَمال هَيَّجت بسُوَيقـة ألاءً وأسباطا وأرطىً من الحبل
أحَبُّ إلينا من صياح دجَاجَة وديكٍ وصوت الريح في سَعَف النخل

وكانت تماضر بنت مسعود قد تزوجت في مصرٍ من الأمصار فحنت إلى وطنها فقالت هذا الشعر.

وقال الغَطَمَّش الضبى :

لعمرى لجوٌّ من جِواء سُوَيقة أسافُله ميثٌ وأعـلاه أجـرع
أحَبُّ إلينا أن نُجَاور أهلَهَا ويصبح منا وَهْو مرأى ومَسْمَع
من الْجَوسق المَلْعون بالرىّ لَا يَني على رأسه داعى المَنية يَلْمَعُ

---

(١) هكذا وقع في ١٨٠/٥ من المعجم، وورد في ٢٣٤/٦ «بجنب عنيزة».

قد أطلنا الكلام على سويقة. ففي بلاد العرب التي أعرفها مواضع كثيرة بهذا الاسم: الأول سويقة، جُبَيْلٌ في جنوبي الحمار الواقع في عالية نجد. والموضع الثاني: سويقة، جُبَيْلٌ في وسط العبلة بين سجا ووادي ختثل. الموضع الثالث: جُبَيل في غربي الحناكية يقال له سويقة، وعنده موضع يقال لها النظمان في هذا العهد، وهذه المواضع هي التي عناها ابن هَرْمة حين قال:

* سويقـــــة ونظيمهـــــا *

والموضع الرابع هو الذي ذكرنا أنه في طرف حليت الجنوبي، وأنه هضبة طويلة يقال لها «سويقة» منقطعة من جبل حليت، لكن جبل حليت أسود كأنه غُرَاب، وتلك الهضبة لونُها أشقر بين الْحُمرة والسواد، وهناك هضبات تقع جنوبي ضَرِية على مسافة أقل من نصف يوم، يقال لها «النظيم» وفي شرقي الدهناء كثيب أحمر مما يلي حُزْوى موضع يقال له سويقة، وهو الذي عناه ذو الرمة، وتماضر ابنة أخيه، وهو الذي عناه الغطمش الضبى، وهناك موضعان بين شقرا وثرمداء، قصران يزرعان يقال لأحدهما «سويقة» وللآخر «النظيم» وقرأت على الشيخ ناصر بن سعود بن عيسى رحمه الله وهو من سكان شقرا وله اليد الطّولىٰ في فن اللغة وأشعار العرب هذا البيت بيتَ إبراهيم بن هَرْمة :

عفت دارُهَا بالبرقتين فأصبحت سُوَيقة منها أقفرت فنظيمُهَا

فسألته: هل تعلم سُوَيقة والنظيم؟ فقال: أعلم هذين القصرين سويقة والنظيم الواقعين بين شقرا وثرمداء، فقلت: إن هذين القصرين حديثان، فقال: لعل هذه الأسماء قديمة وقد أحدث القصران في موضعيها، أو لعلهما بثران جاهليان بُعثا اليوم، فقلت له: أنا أعلم موضعين في بلاد العرب يقال لكل منهما سويقة والنظيم، أما أحدهما فهي الهضبة المجاورة

لحليت والنظيم الهضبات المجاورات لضرية، يقال لها سويقة، وقريب منها جبيلات بها ماء يقال لها النظمان، فقال: الآن صح أن ابن هرمة قصد الموضع القريبَ من الحناكية؛ لأنه شاعر حجازي، وهناك وطنه.

* * *

٢٩ ــ وقال جرير[١] :

لِمَنْ رَسْمُ دَارٍ هَمَّ أن يتغيَّرَا ... تُرَاوِحُهُ الأرواح والقَطْر أعصُرَا
وكنا عهِدْنَا الدارَ والدارُ مرةً ... هي الدار إذ حَلَّتْ بها أم يَعْمُرَا
ذكرتُ بها عهداً على الهَجْر والبِلَىٰ ... ولابـدَّ للمشْعُـوف أن يتذكَّـرَا
أجِنُّ الهوىٰ ماأنْسَ لاأنْسَ موقفاً ... عشيةَ جرعاء الصريف ومنظراَ
تَبَاعَدَ هذا الوصلُ إذ حل أهلُنَا ... بقوّ، وحلت بطن عرق فعرعرا

الصريف: موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، به قصور تُزْرع، يقع شرقي مدينة بريدة على مسافة أقل من اليوم، وكان في هذا الموضع يوم من أيام العرب في الجاهلية، وكان به يوم بين العرب المتأخرين في أوائل القرن الرابع عشر، قال الأعشى وقد نسب الخمر إلى هذا[٢]: الصريف

صريفيـــة طيبٌ طعْمهَـــا ... لها زَبدٌ بيـن كوزٍ وَدَنْ

ولكنى لا أطمئن إلى أن الأعشى عنى ذلك الموضع؛ فإن بيع الخمور في نجد نادر في الجاهلية، وظنى أن الأعشى عنى موضعاً يقال له صريفون في سواد العراق على ضفة نهر دجيل إذا أذن بها المؤذن سمعوه في عكبراء، وبينها وبين مسكن وقعت الحرب بين عبد الملك بن مروان ومصعب بن الزبير ساعة من نهار، وظنى أن الأعشى إنما نسب الخمر إليها؛ لأنه لم يُذْكر في كتب اللغة ولا في المعاجم أن صريفاً الواقع في

(١) المعجم ٣٥٣/٥
(٢)) ذكر ياقوت أن الخمر منسوبة إلى «صريفين» قرية كبيرة غناء بالعراق.

جهة القَصيم تباع فيه الخمور، ولأن المعروف عن عرب نجد في جاهليتها أنهم يستهجنون شرب الخمر والاتجار فيه.

* * *

٣١ ــ وقال شاعر من الضباب يخاطب بني جعفر[١]:

قد علمَتْ مطرَّف خضابُهَا تزِلُّ عن مثل النَّقَا ثِيابُهَا
أن الضِّباب كرمَتْ أحسابُهَا وعلمَتْ طخفة مَنْ أربابُهَا

طِخْفَة: هضبة حمراء شاهقة إلى السماء، لها رؤوس كثيرة متفرقة، موقعها بين نفي وضرية تعرف بهذا الاسم إلى هذا العهد، ووادي الريَّان الذي ذكره لبيد في معلقته حين قال: طخفة

فمدافع الريَّان عُرِّى رسْمُهَا خلقا كما ضمن الوحيَّ سلامُهَا

يأتي سيلُه من جَنبات طِخْفَةَ أو قريباً منها، وهو أيضاً باقٍ بهذا الاسم إلى هذا العهد، يسير بين طخفة وغَوْل، قال الأحوص بن عمرو بن قيس بن عتاب:

وقَادُوا بكُرْه من شهاب وحاجب رؤوسَ معدٍّ بالأزِمَّةِ والخُطّمِ
علا جدُّهم جدَّ الملوك فأطلقوا بطخفة أبناء الملوك على الحُكْم

وعلى هذه القصيدة التي منها هذان البيتان أخبار طويلة في ذكر أبناء الملوك.

وقال ربيعة بن مَقْروم الضبى :

وإذ لقَيتْ عامرٌ بالنسا رِ منهم وطَخْفة يوماً غَشُوما
به شاطَروا الحيَّ أموالهَم هوازنَ ذا وَفْرها والعَديما
وساقت لنا مذحجٌ بالكُلَاب مواليَهَا كلَّهَا والصَّميما

---

(١) المعجم ٣٢/٦

وقالت أم موسى الكلابية، وقد تزوجت بحجر اليمامة:

لله دري أيَّ نظرة ناظـــر نظرتُ ودوني طِخفة ورجامُهَا
هلِ البابُ مفروج فأنْظُرَ نظرةً بعينيَ أرضا عَزَّ عندى مَرامُهَا
فياحبذا الدَّهنا وطيبُ تُرابها وأرض فضاء يصدح الليلَ هامُهَا
ونَصُّ العَذارَى بالعشيَّات والضحىٰ إلى أن بدت وَحْى العيون كلامها

وقال جرير:

بطخفة جالَدْنا الملوك وخيلنُا جَرَين ببسطام بن قيس على نَحْب

وقال جرير أيضاً :

وقد جعلت يوما بطخفة خيلنُا لآل أبي قابوس يوماً مكدَّرا

وفي طخفة يوم من أيام العرب مشهور، وهو الذي تشير فيه شعراء بني تميم إلى أسر الملوك، وفيها يوم بين العرب المتأخرين في سنة ١٣٤٨هـ بين حرب وعتيبة، انهزمت فيه العتبان، وانتصرت فيه حرب.

* * *

٣١ ــ وقال الأزْوَرُ البجلي[١] :

لقد علمت بَجيلةُ أنَّ قومى بني سعدٍ أولُو حسبٍ كريم
همُ تركُوا سَراة بني سُلَيـم كأن رؤسهـم فَلَقُ الهَشيـمِ
بكـلِّ مهنَّـدٍ وبكـل عَضْب تركناهُـمْ بشُقْـرة كالرَّمِيـم
وأُبْنَا قد قَتَلنا الخير منهم وآبُوا موتَرِيـن بلا زعيـم

الشقرة الشُّقرة: موضع معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقع شماليَّ

(١) المعجم ٥/٢٨٢

الحناكية على مسافة يوم، وادٍ به دَوْم، وبه جبال شُقّر، سمى ذلك الوادي بشقرة تلك الجبال، كان به يوم بين بَجيلة وبني سليم.

وقال مصنف هذا الكتاب: وردتُ هذا الماء ماءةَ الشُّقْرة في رجب سنة ١٣٤١ هجرية، متجهاً إلى المدينة للاتجار، وخرجت من بلدى، وكان طريقى على القَصيم ثم الحائط الذي كان يقال له في الجاهلية فَدَك، وبتُّ في الحويّط، ثم خرجت من الحويّط صباحا، وبتنا على مَنْهل يقال له «صفيط» ونحن ثلاثة نفرٍ: المصنف، وصاحب لي شريك في البضاعة يقال له عبد الله بن فاضل، ومعنا رجل من عوف من قبائل حرب اتخذناه أخاً يمنعنا من قبائل حرب، وهذه عادة جارية بين قبائل نجد، إذا أَخَذْتَ رجلاً من قبيلة فهو يمنعك من جميع بطون هذه القبيلة، وكنا في ذلك العهد نخشى الخطر من غزوات الحجاز التي يبعثها الشَّرِيف، وعلينا خطر آخر من السرايا التي يبعثها جلالة الملك لمصادمة ركبان الحجاز أن تعتدي علينا، وذلك قبل أن يتأكد الأمن، ثم مشينا من ماء صفيط صباحا، ودليلُنا الرجلُ الذي من حرب، وهو يقول: نبيتُ على ماءة الشقرة، فلما كنا في المنتصف بين ماءة الشقرة وماءة صفيط وجدنا أَثَر ركبٍ قد أَجَدُّوا في الغارة متجهين إلى جهة الحناكية، على ما ظهر لنا من الأثر، تبلغ ركابهم مائة، فتوجسنا الشر ولكن الله لطيف بعباده، وعلمنا أن الجيش الذي هذه آثاره يقوده راشد السحيمى أحد بني حرب ومعه غزاة قد بعثهم شريف المدينة للنهب والسلب، وهو أجرأ رجل في الحجاز، فلما رأونا على بعد ظنوا أنا من سَرَايا جلالة الملك، فانهزموا إلى الحناكية، وتحصنوا بها، فأتينا ماءة الشقرة قبل غروب الشمس، ونحن خائفون، ومنعْنَا إيقادَ النار، فسمعنا صوتاً في أعلى الوادي، فقلت لصاحبي: سأذهب في سواد الليل الآن وآتيك بخبر هذا الصوت، فأخذت بندقيتى وذهبت أتحسس الصوت قليلاً قليلاً، حتى قربت منه، فوجدتها هامةً على حَجَرٍ، وهي التي تسمى البومة فرجعت إلى صاحبي فقلت له: كأن صدرك ضائق، قال:

كيف أخاف؟ والله لايمسنا سوء إن شاء الله؛ فلما ذهب من الليل ثلثُه ركبنا رواحلنا وأدلجنا ليلَتَنا ويومنا وأول ليلتنا الثانية حتى نزلنا «العوالي» في المدينة على رجل من بني علي يقال له دغيمان بن جعيدان، وهو رجل شُجاع كريم مَهِيب في قومه: فأقمنا في المدينة سبعة أشهر في أمور التجارة وما يتعلق بها، ثم حُبِست بتهمة أن لى دخلاً في الأمور السياسية، وأمْرُ الحبس صادر من الحسين شريف مكة، ولكن لم يثبت عليّ شيء مما اتهمت به، وأقوى معين لى على الخروج من الحبس هو الرجل الذي كنت عنده ضيفاً لأن السلطة في المدينة في ذلك العهد لقبائل حرب، وليست للدولة.

* * *

٣٢ ـــ وقال عنترة(١) :

بكلِّ هَتُوفٍ عُجْسُها رَضوِيَّةٍ   وسَهْمٍ كسير الْحِميَرى المؤنَّفِ
فإن يَكُ عِزٌّ في قُضَاعة ثابتٌ   فإنَّ لنا برَحْرَحَانَ وأسْقُفِ
كَتَائِبَ شُهْباً فوق كلِّ كتيبة   لواءُ كظلِّ الطائر المتصَرِّفِ

رحرحان ــ رحرحان: جبل عظيم أسود، يقع جنوبي الحناكية، يبعد عنها مسافة نصف يوم، وبه يومان من أيام العرب، وأشهرهما الثاني، وهو لبني عامر بن صَعْصَعَةَ على بني تميم، وأسر فيه معبد بن زُرَارة وأخوه حاجب بن زرارة رئيس تميم، وكان سببه أن الحارث بن ظالم قتل خالدَ بن جعفر بن كِلاب، وهما ضيفان عند النعمان بن المنذر، ثم هرب الحارثُ بني ظالم فأتى بني زرارة بن عدس فاستجارهم، فأجاره معبد بن زُرَارة بن عدس،

---

(١) ديوان عنترة ص ١٠٧ وأراد بالهتوف القوس، وأصل الهتوف ذات الصوت، ورضوية: أي منسوبة إلى رضوى، والسهم المؤنف : الذي قد على استواء.

فخرج الأحوص بن جعفر ثائراً بأخيه خالدٍ، فالتقوا برَحْرَحَان، فهزمت بنو تميم، وقال عوف بن عطية التميمي[1] :

هلا فوارسَ رَحْرَحَانَ هجرتهم عشرا تَنَاوَحَ في سِرارة وادِ

يعني لقيط بن زرارة وكان قد انهزم عن أخيه معبد وأسر يومئذ. قال جرير:

أتَنْسَون يَوْمَيْ رحرحانَ كليهما وقد أشرع القومُ الوشيجَ المؤمَّرا
تركتُمْ بوادي رَحْرحان نساءكم ويومَ الصفا لاقيتُم الشعبَ أوعرا
سمعتمْ بنى مجد دعَوْا يالَعَامِرٍ فكنتم نَعَاماً في الجزيرة مُنْفَرا
وأسلمتم لابنى أسيدةَ حاجباً ولاقى لقيطا حَتْفُه فتقطرا
وأسلمتِ القلحاءُ للقوم معبداً تجاذب مخموسا من القِدِّ أسْمَرَا

ومعبد بن زرارة بقى في أسره في يدي بني عامر لم يفلت، فمات في أيديهم، فعيرت العرب حاجباً وقومه لذلك وقول جرير.

تركتم بوادي رحرحان نساءكم ويوم الصفا لاقيتم الشعب أوعرا

يشير إلى شعب جبلة الذي كان فيه يوم عظيم بين بني عامر وبني تميم فانهزمت بنو تميم وقتل لقيط بن زرارة. ورحرحان باق بهذا العهد، لم يتغير، وهو في بلاد غطفان وبه يوم ثالث عظيم بين العرب المتأخرين في أوائل القرن الرابع عشر بين حرب وبني عبد الله بن غطفان، وبه يوم متأخر أيضاً لكنه أقل من الذي قبله، وكان فيما بين رحرحان وماء الهميج، بين حرب ورئيسهم ناهس الذويبى وبني عبد الله بن غَطَفان ورئيسُهم جهز بن شرار، فانهزمت حرب، وعزوة قبيلة الذوبة «إخوان نوره» قال جهز بن شرار أبياتاً نبطية منها: الشعب

(١) معجم ٤/٢٣٩

إخوان نوره شافوا المكرهيه   ركبوا على قب سوات الشياهين[1]
ماذمهم والله رقيب عليّه   ومعين الله والقبائل معيّين
خلوك ياقاسم زبون الونيه   ياماشعى قطعان بدومنيسين
وخلف ربيع الضيف والآهليه   ياريف اهل هجن عن الزاد مبطين
خلوه يوم الملح ينقاد فيه   وارخوا جلامدها مع الدومقفين
ماوالموا للعزوة العبدلية   هابلهم اليوم الذي من وراتين
وش علم ناهس مالتفت في خوية   هو يحسب اللقوات شل البعارين
جتهم اقصصها كلها بالسوية   والخيل مجنونة واهلها مجانين

هذا كلام رئيس من بني عبد الله جهز بن شرار، ورئيس حرب في ذلك اليوم ناهس الذويبي وهو رئيس عام لبني عمرو بطنٍ من حرب، أما قاسم الذي يقول فيه الشاعر:

* **خلوك ياقاسم زبون الونية** *

فهذا قاسم بن براك رئيس هتيم وصاحب غزوات الجيوش يجرها من جهة إلى جهة أخرى، وعند أهل نجد اسم حديث للذي يغزو بالجيش يسمونه (عقيد) مشتق من انعقاد أمرهم على يده، وصادف أن قاسما المذكور نهار المعركة حاضر مع الذويبي، والذي يقول فيه الشاعر:

* **وخلف ربيع الضيف والآهلية** *

هو خلف بن ناحل من رؤساء حرب، وهو أكرم أهل زمانه، سئل فاجر الذويبي أبو ناهس المذكور في بعض المجالس، قيل له: مَنْ أكرمكم ياحرب؟ ومن أفرسكم على الخيل؟ فقال للذي سأله أكرمنا خلف بن ناحل، وأفرسنا مانع بن مريخان، فالتفت إليه عبد الله الفرم رئيس بني علي

(١) الشياهين: نوع من الصقور، فصيحه «الشواهين»، والقب: الخيل الضامرة البطون.

فقال: يافاجر، كيف تجعل الرجلين من بني سالم؟ لو جعلت لنا يامسروح واحداً منهم إما الكريم وإما الفارس! فالتفت إليه وقال: والله إني لأحب الصدق، لما سألني الرجل وأنا رجل من مسروح لم أرض الكذب، وجميع بني حرب القاطنون في نجد على بطنين: بني سالم، ومسروح، والبطنان أفخاذ كثيرة، فلما ظفر جهز بن شرار وقومه بالغنائم وهزموا بني عمرو أخذوا قاسمَ بن بَّراك وخلفَ بن ناحل، ثم منوا عليهما وبعثوا بهما إلى أقرب قبيلة من حرب.

٣٣ ــ وقال الشماخ[1] :

وأحمى عليها ابنَا يَزِيدَ بْنِ مِسْهَرٍ ... ببطن المَرَاضِ كلَّ حِسْى وساجر

وقال سلمة بن الخُرْشُب :

وأمسوا خَلاء ما يُفرق بينهم ... على كل ماء بين فَيْدَ وساجر

ساجر: منهل معروف من أودية السر، يتَّجِهُ سيلُه من الغرب إلى جهة الشرق، وهو الذي يقول فيه عمارة بن بلال بن جرير : ساجر

فإني لعُكْل ضامن غير مُخْفِر ... ولا مكذب أن يَقْرَعوا سنّ نادم
وألّا يحلوا السر مادام منهمُ ... شريد، ولا الختماء ذاتَ المخارم
ولا ساجراً أو يطرحوا القوسَ والعَصَى ... ولا عدلهم أو يُوطَؤا بالمَنَاسِمِ

ذكر هذا الشاعر السر، وذات المخارم، وساجرا، وكل هذه المواضع باقية على أسمائها إلى هذا العهد، وقد مضى الكلام على السر في أبيات لامرىء القيس، وقد مضى الكلام على ذات المخارم في أشعار زهير، وأوضحنا أنها تسمى اليوم «الخرما، وخريمان» وقال السمهري اللص:

---

(١) معجم البلدان ٥/٧، وليس في ديوان الشماخ.

تمنت سليمى أن أقيم بأرضها وأنى وسلمى وَيْبَهَا ماتمـنَّتِ
ألا ليت شعري هل أزورَنَّ ساجراً وقد رَويت ماء الغَوَادي وعَلَّتِ

ساجر: منهل معروف في الجاهلية والإسلام من مناهل السر، يقع من البرود في الجهة الغربية الشمالية، والبرود وساجر يقعان من ماءة خف التي تمر بها السيارات شمالاً على مسافة أقل من نصف يوم، بُعِث ساجر في العهد الحديث في أوائل القرن الرابع عشر، ونزله جماعة من الروقة، وأغلبهم الحفاة والحناتيش، وهاجروا إليه، وتركوا البادية، وتعلموا القرآن، وشرائع الإسلام ولكن فيهم جماعة من الغلاة يدعون إلى الاجتهاد، وأحسن حاصلات هذه البلد التمر، فإنك لتجد نخلة ساجر ممتازة على جميع النخيل بضخامة المنظر وكثرة التمر.

* * *

٣٤ ــ وقال لبيد بن ربيعة العامرى[١] :

فأسرع فيها قبل ذلك حِقْبَةً رُكَاحٌ فجنبا نقدة فالمَغَاسِلُ

هذه الأسماء لم تتغير منذ العهد الجاهلي إلى هذا العهد.

نقدة — أما نقدة فهي روضة كبيرة تسمى اليوم «روضة النقد» سميت بهذا الاسم لأن أغلب نباتها النقد، وشجرة النقد شجيرة صغيرة، أصغر من العرفجة وأكبر من القفعاء، زهرها أصفر يمر بهذه الروضة سالكُ الطريق من مرات إلى مكة فيجدها على يمينه.

المغاسل — والمغاسل: أودية ذات غسل، وهي بلد المصنف من مقاطعة الوشم، والأودية المذكورة مجاورة لهذه الروضة، لاتبعد عنها أكثر من ساعة، ونبات النقد مذكور في كتب اللغة كالقاموس وغيره.

* * *

(١) معجم البلدان ٢٧٨/٤ وديوان لبيد ٣٠ ليدن.

٣٥ ــ وقال لبيد[١] :

ألم تلْمِم على الدِّمَنِ الخوالي لسَلْمىٰ بالمَذَانب فالقَفَال
فَجَنْبَىْ صَوْءَرٍ فنعافِ قوٍّ خَوَالِدِ مَا تحدَّث بالزوال

قد مضى الكلام على أكثر هذه المواضع، إلا المذانب.

المذانب المذانب باقية على اسمها لم تتغير إلا تغيراً بسيطاً فإن اسمها الآن «المذنب[٢]» وهو بلد كبير عامر كثير النخيل والمياه، وهي واقعة بين عنيزة وقرى السر، تبعد عن عنيزة أقل من مسافة يوم وهي في الجهة الجنوبية من عنيزة، وتعد تلك الناحية من قرى القصيم.

* * *

٣٦ ــ وقال طفيل الغنوى[٣] :

* **تربَّعَتْ مابين مِذْعا وكَبِدْ** *

وقال الراعي :

غَدَا ومِنْ عالجٍ ركنٌ يُعَارضه عن اليمين وعن شرقيه كَبدُ

كبد كبد: جبل في عالية نجد الجنوبية، أسود المنظر عليه شهبة، وبه ماءة مرة يقال لتلك الماءة «ماءة كبد» ويقال لذلك الجبل كبد، معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، لم يتغير، يعد من جبال العبلة التي كان يقال لها في الجاهلية المطلى.

* * *

(١) هما مع ثالث في المعجم ١٣٤/٧

(٢) ورد المذنب في شعر لبيد أيضاً، وذلك قوله:

سفهاً ولو أني أطيع عواذلي فيما يشرن به بسفح المذنب

(٣) المعجم ٢١٢/٧

٣٧ ـــ وقال النَّمرِ بن تَوْلب العُكْلى شاعر جاهلي :

تأبَّدَ من أطلال عَمْرة مأسِلُ وقد أقْفَرتْ منها شراء فَيذْبُلُ
فبرقة أرمام فجنبا متالـــع فوادي سليل فالنَّدِيّ فأنجل
ومنها بأعراض المحاضر دمنة ومنها بوادي المسلهمة منزل

أكثر هذه المواضع قد مضى الكلام عليها في كتابنا، ومما لم يجر ذكره أنجل، والمسلهمة.

أنجل أما أنجل فهو منهل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال له «الأنجل» واقع في كثيب السر الممتد من جهة الجنوب إلى جهة الشمال، والأنجل في القطعة الجنوبية منه ماءه همج، وهو صالح للإبل، في المنتصف بين تبراك وبلد القويعية.

المسلهمة أما «المسلهمة» فهي باقية بما يقرب من ذلك، لأنها تغيرت بتقديم بعض حروفها على بعض يقال لها اليوم «السلهميّة» وهي بئر جاهلية كثيرة الماء، بين قرى السر والمذنب، يراها سالك الطريق الذي مر ذكره بعينه، أحدث في هذا العهد الأخير فيها قصر ومزارع.

* * *

٣٨ ـــ وقال عنترة :

ذات الحرمل

طال الثَّواء على رُسُوم المنزل بين اللكيك وبين ذات الحَرْمَلِ
فوقفتُ في عَرَصَاتها متحيِّرا أسَلُ الديارَ كفعل مَنْ لم يذهل
لعبت بها الأنواء بعد أنِيسها والرامساتُ وكلُّ جونٍ مسبل

ذات الحرمل: باقية بهذا الاسم إلى هذا العهد، إلا أنه قد زيد عليه ياء النسب فقيل «الحرملية» ذات الحرمل وهو منهل عظيم في غربي المروت وشرقي عرض شمام في واد أغلب نباته حَرْمل.

* * *

٣٩ ــ وقال أوس بن بجير يرثى أباه(١) :

لَعَمْرُ بني رباحٍ ما أصابوا   بما احتملوا وغيرُهُمُ السقيمُ
بقتلهم امرأ قد أنزلَتْهُ   بنو عمرو وأوهته الكُلُومُ
فإن كانت رياحاً فاقتلوها   وآل بجيلة الثأر المُنِيمُ
فإنهمُ على المَرُّوت قوم   ثَوَى برماحهم مَيْتٌ كَرِيمُ

وحدث ابن سلام قال: قال جرير وهو بالكوفة :

لقد قادنى من حُبِّ ماويَّةَ الهَوَى   وما كنت ألقى للجنيبة أقْوَدَا
أحِبُّ ثَرَى نجدٍ وبالغَوْر حاجةٌ   فغار الهوى ياعَبْدَ قيسٍ وأنجَدَا
أقول له: ياعبدَ قيسٍ صبابَةً   بأيٍّ تَرَى مستوقدَ النارِ أوقَدَا
فقال: أراها أرِّثت بوَقُودها   بحيث اسْتَفَاضَ الجزع شيحاً وغَرْقَدَا

فأعجب أهل الكوفة بهذه الأبيات، فقال لهم جرير: ياأهل الكوفة، كأني بابن القَيْن ــ يعني الفرزدق ــ إذا بلغته هذه الأبيات يقول :

أعِدْ نَظَرا ياعَبْدَ قيس لعلما   أضاءت لك النارُ الحمارَ المُقَيَّدَا

فلم يلبثوا أن جاءهم قولُ الفرزدق، يقول هذا البيت نفسه وبعده :

حمارٌ بمَرُّوتِ السخامة قاربت   وظيفيهِ حَوْلَ البيت حتى تَرَدَّدَا
كُلَيبِيةٌ لم يجعلِ الله وَجْهَهَا   كريماً، ولم يَسْنَحْ لها الطيرُ أسْعُدَا

المَرُّوت: أرض متسعة بين نفود السر وعرض ابني شمام، وصفراء السر طرفها الجنوبي محاذٍ أسفَلَ وادي القويعية، وطرفها الشمالي يتصل إلى ماءة خف التي تَقِفُ عليها السياراتُ، وفي جهتها الواقعة بين الحرملية وماءة الأنجل كان يوم من أيام العرب بين بني قُشَير وبين بني يربوع من تميم، المروت

(١) المعجم ٣١/٨

ومعهم قوم من تميم، فكانت النصرة في ذلك اليوم لبني تميم، وقتل في ذلك اليوم رئيس بنى قُشَير بجير بن سلمة، قتله يزيد بن أزهر المازنى، فقال يزيد بن أزهر الصَّعِق يرثى بجيرا:

أواردة علـيَّ بنـو ريـاح بفخرهـم وقـد قَتَلُوا بُجَيْرَا

فأجابته العوراء من بني سليط بن يربوع، وهي تقول:

قَعِيدَك يايزيدُ أبا قبـيس أتنـذر كي تُلاقَيَنَا النـذُورا
وتوضع مجمر الركبان أنا وجُدِنْاَ في مِرَاسِ الحرب خُورَا
إلم تعلم قعيـدَك يايزيـد بأنا نقمع الشيخَ الفَجُورا
ونفقع ناظريه، ولا نبالـي ونجعْل فوق هامته الدرورا
فأبلغ إن عَرَضْتَ بني كلاب فإنا نحن أقعصنا بجيـرا
وضَرَّجْنَـا عبيـدةَ بالعَوَالـي فأصبح موثَقاً فينا أسيرا
أفَخْراً في الْخلَاء بغير فَخْرٍ وعند الحرب خَوَّارا صَخُورَا؟

هذا اليوم الذي مر ذكره في المَرُّوت من أعظم أيام العرب، والمروت خالية من الجبال والمعاقل، إلا جبيل واحد متاخم لماءة الحرملية التي مر ذكرها وهي واقعة في أعلى المروت، وهذا الجبل يقال له «سوفة» لايزال يعرف بهذا الاسم الذي أطلق عليه من العهد الجاهلي وهو الذي يقول فيه جرير، وهو يشير في هذا البيت إلى اليوم الذي انتصرت فيه قبيلة بنو يربوع على بني قشير:

بنو الخطَفَى والخيلُ أيام سوفة جَلَوْا عنكُمُ الظَّلماء وانشَقَّ نورها

سوفة قال في معجم البلدان: سوفة موضع بالمروت، وأنا أعرفها، جبيل صغير تراه وأنت في أقصى المروت.

وهذا الموضع بعينه الذي كانت فيه الموقعة في الجاهلية بين تميم

وبين بني قشير قد حدثت به وقعة أعظم من الأولى في أوائل القرن الرابع عشر، بين عتيبة وبين مطير ومن معهم ومَنْ والاهم من قبائل قحطان، وكان من عادة العرب في الجاهلية أنه إذا نزل المطر في جهة من الجهات. أخصبت انتقل إليها مَنْ لم تخصب منازلهم، فإن منعهم أهل تلك الناحية رعوه رغماً عنهم واقتتلوا عليه كما قال شاعرهم في ذلك:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا غضابـــا

فإن شاء أهل الخصب ألا يقاتلوا أذنوا للقادمين أن يجاوروهم ويرعوا معهم، على أن يصنعوا ذلك معهم إذا أخصبوا، أما يوم المروت[1] الأخير فاجتمع من عتيبة جمع عظيم من برقا والروقة، ورؤساء برقا يومئذ: محمد بن هندي بن حميد وهذال بن فهيد الشيباني وابن حجنة والهيظل وأبو العلا والدهنية وأبو رقبة والمهرى، وقد حضر أغلب برقا ذلك اليوم، ورؤساء الروقة الرباعين والمحيا، والمياه التي تشربها عتيبة: صميغان، والخيس، وأبو مروة، والسديري، وجميع هذه المناهل في أسافل عرض ابني شمام مُتَاخمة للمَرُّوت، ورئيس مطير نايف بن هذال بن بصيّص، ومعه جماعة من برية، وهم بطن من مطير، ليس بالكثير، والحاضرون من قحطان آل روق، ورئيسهم محمد بن حشيفان، وكلا الفريقين على ماءة الحرملية التي مر ذكرها، وأنا لاأعلم أن عتيبة هُزمت في يوم من الأيام التي تقع بينها وبين أعدائها في نجد، إلا في ذلك اليوم، وهو معروف عند أهل نجد «مناخ الحرملية» ولكن نايف بن هذال بن بصيص من أهل الثبات في الحرب، وعدد مطير قريب ثلث عدد العتبان، وقد انهزمت في أيام الحرب الاولى المطران القحطانيون هزائم يسيرة، وفي بعض هزائم المطران مر فيحان بن زريبان رئيس الرخمان من مطير على ضيدان العارضي مذبوحةً راحلتُه،

(١) هذا وما ماثله من جل ماروى المؤلف رحمه الله كان في زمن الاضطرابات قبل عهد الملك عبد العزيز رحمه الله، أما في عهده فقد نشر الامن وكف الناس عن بعضهم.

فعرف فيحان بن زريبان فقال بعدما ندبه: لاتتركني، وضيدان المذكور من أرمىٰ أهل زمانه بالبندقية، فعرف فيحان ضيدان، وقال: أركب، فلما استوى على ظهرها رماها رجل من رُمَاة العتبان، فسقط الاثنان مع سقوط الراحلة، فمشيا على أقدامهما، فالتفت فيحان بن زريبان إلى ضيدان العارضي، فقال: ياعمرى عمراه، خشية من القتل، فقال له ضيدان لاتخف مادام في حزامي رصاصة واحدة، فتقدمهم رجل من آل محيّا على جواده، فرماه ضيدان فجندله، وما لحقهم من الخيل رماه، فقدمهم رجلُ يقال له «فلّاج البراق» من جماعة ابن ربيعان من الروقة، فسد الثنية، ومعه بندقية، فجلس له ضيدان، فضربه برصاصة من بندقيته، وهي من الصمع، فيما بين عينيه فجندله، فاتسع أمامهما الطريق، وانفرج لهما فسارا حتى وصلا أهلهما على ماءة الحرملية، فقال فيحان بن زريبان أبياتاً نبطية يذكر فيها قتل راحلته، ويذكر ما أصاب ضيدان ببندقيته:

يافاطري ماأرخصت فيها بلا ثمان	**إلا بيوم ما يقلب صويبه**
رديتها لَمْنَجِّي الحرد ضيدان	**مانيب من بالضيق ينسى أصحيبه**
رديتها من ريع سوفة على شان	**تنجيه وقت الضيق وإلا تجيبه**
قلت استرج في كورها يآبو سلطان	**وللناس مع هاك الثنايا حطيبه**
صبيت وغطَّانا من الملح دخان	**وعج كثير ولا نشوق الظريبه**
قال ابتجح بالنصر يابن زريبان	**والطير يبشر بالعشا من عتيبه**
يازين ذبحه والملح له ترنَّان	**لبن محيًّا عند خشم الجذيبه**
ثمن ذبح عندك جوادين وحصان	**وفلاج بالدشه وراها رمى به**
هذا عشى للضبع والذيب سرحان	**أيام بالمروت يرفع قنيبه**

أنظر تَرَ شعراء الجاهلية ذكروا المروت، وذكر جرير سوفة في قصيدته، لما ذكروا اليوم الواقع في هذا الموضع، ومنه تعرف أن المروت في جانب سوفة، وانظر هذا الشاعر العربي المتأخر تجده لما ذكر اليوم الأخير في الواقع ذلك الموضع نفسه ذكر المروت، وذكر سوفة أيضاً. أما الهزيمة

الشنعاء فقد كانت في آخر الأيام على عتيبة، وانتصر الحاضرون من مطير ومن معهم من قحطان، لما شاء القضاء والقدر أن ينزل الهزيمة بالعتبان اجتمع رؤساء مطير وقحطان، يدبر أمر مطير نايف بن هذال بن بصيص ويدبر أمر قحطان محمد بن حشيفان شيخ آل روق، فقال نايف بن هذال: ياقوم تعلمون أن عتيبة أكثر عدداً منكم، ولكني سأعرض عليكم رأياً لا ينجح أمركم إلا به، إني أرى أن نتناوش في القتال مع العتبان نحن معشر مطير، ويبقى من فرساننا قوم يجتمعون إليكم يامعشر قحطان وليكن رئيسكم محمد بن حشيفان، فإذا التحمت بيننا وبين العتبان فائتوهم مِن خَلْفهم، فإذا توجهوا إليكم كررنا عليهم كرة واحدة، قالوا: سمعاً وطاعة، هذا هو الرأى، فدبروا هذا التدبير، فلمّا التحموا جاءت قحطان ومَنْ معها من المطران فأول مَنْ وقعوا عليه الشيابين ورئيسهم هذال بن فهيد، فانهزموا، وليست الهزيمة لهم عادة، بل هم أشد وأجْلَد الناس في الحرب، فلما رأى العتبان أن الميمنة اختلفت اختلف القلب، وتزعزع، ثم تزعزعت الميسرة، ثم كانت الهزيمة.

حدثني رجل ممن حضر هذه المعركة يقال له غايب بن معية من قبيلة العصمة، قلت له: هل صحت هزيمتكم يوم الحرملية، أو أنكم كنتم متراجعين لتتحيّزوا لقتالٍ؟ قال: لا والله، بل هزيمة شنعاء، ولم نتراجع إلا على ماءة عروى، وهي تبعد عن موقع المعركة مسافة يوم أو أكثر، وقال في حديثه: لما انهزمنا كان رئيس قحطان محمد بن حشيفان على فرسه المشهورة، وعليه جوخة حمراء، وهي عادة الفرسان في المعارك، يلبسون شيئاً يمتازون به على غيرهم، وكان على أثر العتبان، بيده سيف، ومعه رمح، فإذا لحقهم قريباً أخذ يجالد بالسيف، وإذا بعدوا عنه أخذ يرمى بالرمح، فقال مزيد بن مغيرق من قبيلة العصمة وهو من الفرسان ومن الرماة لأصحابه: إني قد عزمت على قتل هذا الفارس الذي أهلك القوم، ومع مزيد بن مغيرق بندقية من الصمع فأعَدَّها ومال بجواده، وأخذ يراقب

غريمه، فلما حانت له الفرصة انتهزها، وسَدَّد بندقيته إليه، فكان فيها حتفه، فسقط جواده، وأخذ مزيد الجواد، وذلك أكبر شاهد له على أنه هو الذي تولى قتله، فلم ينازعه في جواده أحد، وهذا الجواد من أعرب خيل نجد وأكرمها، واسمها الطرقاء.

كان فارسُ الدويخ من الروسان من قبائل عتيبة قد جلا عن وطنه من دم وغرم كانا عليه، فنزل جاراً لصاحب هذا الجواد محمد بن حشيفان، وكان فارساً زرىّ الهيئة قبيح المنظر، وبعد نزوله عليهم بخمسة أيام أصبحوا فإذا الطرقاء ليست في مربطها، ثم وجدوا أثر رجلٍ علموا أنه قد أخذها بليل واتجه بها إلى بلاد عتيبة، وكان من عادتهم أن هذا العتيبي يمنع عنهم في سلمهم، فالتفت ابنُ حشيفان إلى ابنه فقال: ما ظَنُّك بهذا الجار؟ يعيد إلينا الطرقاء أم لا؟ قال: لأعلم، وإن جارك لا يعجبني، والكلام كله في أذن جارهم فارسِ الدويخ، ولما أتاهم في مجلسهم قالوا: مارأيك في الفرس؟ قال: سَنَتْبَعُها، ونسير على قواعدنا، فركب الولد والجار على رواحلهما، وأخذوا يتبعون أثرها حتى أدركوها عند الشعراء، عند رجل من الدعاجين من جماعة ابن عقيل يقال له ابن عرويل فلما كانوا في وسط منازلهم رأى فارس الدويخ ابن عرويل يقود الطرقاء قاصداً حوض ماء يريد أن يسقيها منه، فلما رآها قال لصاحبه صاحب الفرس: أنا رأيت الفرس ولأحتمل أن أتركها؛ ولكن اندفع أنت إلى تلك الأخبية فإنها أخبية قومى الروسان، وانتظرني عندهم حتى آتيك بفرسك أو تأتوني ميتاً فتنزلوني قبري، وهو محتزم بخنجر، وهي من سلاح الأعراب كالسكاكين، فاعترض سائق الطرقاء قبل أن يصل الحوض، فأمسك بزمامها، فقال له ابن عرويل: ماشأنك؟ قال : شأني أن أفتكها بيدي أو تقتلني أو أقتلك، وقانونُ قبائلنا بيني وبينك، فلما رأى ابن عرويل الجِدَّ، وخصمهُ شاهر خنجره بيده فكَّ حبلها بيده، وقال: بيني وبينك سلم القبيلة، فركبها واندفع إلى قبيلته فقال عند ذلك أبياتا نبطية منها:

ماروح والطرقاء تبوج الدواوير   والله ماجنب عن قصيرت عيالى
والله ماأجنب عن رسنها ولاسير   إلا حدينا للمقابـــر يشال

فصح عندهم أن الفرس جارة له، فلم يُدَاعوه، فثبت أنه جار لأصحاب الفرس، وتركوا مطالبته، ورجع الولد القحطاني إلى أبيه، ومدح الجار عند والده، وذكر ما رأى منه من الجد، وبقيت كلمة الولد التي يقولها لأبيه حين سأله عن الفرس في نفس الرجل، فلما رجعوا ووصلوا منزلهم استأذن ابنُ حشيفان الدويخ أن يرحل إلى جهة أخرى، ولم يخبره بالسبب، فأعطاه ناقتين إكراماً له ورحل عنهم.

نرجع إلى رئيس مطير «نايف بن بصيص» فإنه رأس قوم من مطير ليسوا بالكثيرى العدد يقال لهم الصعران، وهم من قبيلة بريه، ومطير تنقسم إلى قسمين: قبيلة علوى، وهم الذين منهم الدوشان من أكبر رؤساء مطير، وليس يرأس الدوشان أحد، بل يرأسون قبائلهم، القبيلة الثانية بريه الذين منهم الصعران قبيلة بن بصيص، ورؤساؤهم كثيرون، ولا أعلم رئيساً من الرؤساء لامن الدوشان ولا من غيرهم من القبائل حارَبَ عتيبة وحادهم في بلادهم مثل هذا الرئيس نايف بن هذال بن بصيص، وكانت في أوائل القرن الرابع عشر أربعة مناخات بين عتيبة ومطير، وقد كان في هذه الأربعة كلها عمودَ مطير وعمادهم، وسمى الاجتماع في الحرب مناخاً من إناخة الإبل يومين أو ثلاثة في مراحلها وقْتَ المعارك خشية عليها أن تؤخذ، فيقال للاجتماع مناخ: المناخ الأول مناخ الحرملية، وفيه انهزمت عتيبة، والثاني مناخ الدوادمي، اجتمع عندها مطير قسم من علوى وقسم من بريه، أما رؤساء علوى فهم وطبان الدويش وعماش الدويش، ورئيس بريه هو الرئيس المذكور نايف بن هذال بن بصيص، وحربٌ بنو على بطنٌ من مسروح على ماءة عرجا رؤساؤهم عبد الله الفرم وصنيتان الفرم، وهم عضد للمطران على عتيبة، وعتيبة على ماءة الشعراء رؤساؤهم محمد بن هندي

بن حميد ومناحى الهيظل وخزام المهري وأبو العلا وابن جامع وأبو رقبة، وفي يوم من هذه الأيام تناوشت فرسان مطير وعتيبة ورجع كل عن صاحبه من غير أن يهزم أحدهم الآخر، ورجع العتبان، ومحمد بن هندي بن حميد قد نالته إصابة، ومناحى الهيظل قد نالته إصابة، وخزام المهرى قد نالته إصابة، وجزا أبو العلا قد نالته إصابة، هؤلاء الرؤساء الأربعة أصيبوا في يوم واحد بروؤس الرماح، ولم ير أحد منهم بأساً، وامتد المناخ قريباً من عشرين يوماً، ثم رحل المطران من الدوادمي لم ينقص أحد منهم، غير أنهم رأوا العتبان كل يوم في ازدياد، لأن البلاد بلادهم، فلما رأوا ذلك ارتحلوا، وحين بلغ رحيلهم العتبان المقيمين على ماءة الشعراء ارتحلوا عن بكرة أبيهم ينوون الصباح على ماءة عرجا ونهب الذي عضد المطران على حربهم، ولم يعلم برحيلهم الفرم رئيس بني علي، فجدُّوا أول ليلهم وقطعوه في السرى، فوصلوا عرجا صباحاً، ولكن ردَّهم الحربيون ردًّا عنيفاً، وتواقفوا إلى قريب الظهر، والحربيون لا يبلغ عددهم خمس العتبان، فلما زالت الشمس أو قرب زوالها أغار العتبان غارةَ رجلٍ واحد، وهزموا حرباً بعد قتال عنيف ذهب فيه عدد من الفريقين، وقال التويجر من شعراء الروقة من عتيبة أبياتاً نبطية منها:

ليت نايف حاضر دقلت جملنا　　　والله ان يخلي نجد بالقلب النظيف
رديفكم شلناه من عرجه لاهلنا　　　وأكبر عليكم يا مخلية الرديف

وقول الشاعر «ليت نايف» يعني به نايف بن هذال الذي رحل من الدوادمي ولم يحضر. انتهي،

والمناخ الثالث: مناخ الجنيفاء، وهو بين عتيبة ومطير، ولكن مطيراً لم يحضر منهم إلا قوم من بريه يرأسهم الرئيس المذكور نايف بن هذال، وعتيبة لم يحضر منهم إلا قسم من برقاء وقسمٌ من الروقة، وحضر هذا المناخ تريحيب بن شرى بن بصيص، وهو أفرسُ رجلٍ عرفه الناسُ في

زمانه، وحدثت في هذا المناخ مناوشات وقتال، ولم ينهزم أحد، بل بعد مضى عشرين يوماً تصالحوا، والمطران يشربون من روضة مطربة ممتلئة من المطر الواقعة شمالي العيون عيون السر، وعتيبة يشربون خباري ومياه العيون، فتصالحوا على السلم، فرحل المطران وجعلوا كثيب السر بينهم وبين العتبان، وقصدوا الجهة الجنوبية لأجل المرعى، ورحلت عتيبة قاصدة عالية نجد، فلما وصل العتبان الضال والتسرير قريبَ الدوادمي عارضهم الأعداء والغزاة يدفع بعضهم بعضاً، ورئيس الأمداد من برقاء هذال بن فهيد الشيباني، وقسم من الروقة كلٌّ قبيلةٍ برئيسها، ولما التقى هؤلاء القومُ الغازون بأولئك العائدين قالوا لرئيس برقاء محمد بن حميد: ارجعوا معنا، فأجابوهم بأنا تصالحنا مع ابن بصيص وقبائل مطير التابعة له وتهادنا أياماً معلومة، فلا نستبيح لكم أن تغاروهم قبل مضي هذه الأيام، فتريثوا حتى إذا انقضت مدة الهدنة فاجأوا مطيراً وهم غارون يشربون من غدير الحَور بينَ ضرمى[١] ومراة، فاجتلد الفريقان ساعة من نهار، وانتهت بقتل الفارس تريحيب بن شرى بن بصيص ابن عم نايف بن هذال، ولم يكن عمره قد بلغ اثنين وعشرين عاماً، على أنه يقتل إلا وقد ذاع صيته وعرف بالشجاعة النادرة، عرفته فرسان عنزة وفرسان شمر وفرسان حرب وفرسان عتيبة وفرسان قحطان، وفارسُ عتيبةَ على الإطلاق في مناخ الجنيفاء الذي مر ذكره خزام المهرى رئيس الدغالبة اعترف لتريحيب هذا بالمنزلة العالية في الفروسية.

وهذه المعركة التي قتل فيها تريحيب هي المناخ الرابع.

ذكر الحوادث المتعلقة بذلك المناخ الرابع الذي قتل فيه تريحيب: لما توجه الغزاة بعد لقائهم لمحمد بن هندي بن حميد وقومه الراجعين من مناخ الجنيفاء ساروا يلتمسون المطران وهم عتيبة: أقسام من برقاء والروقة، وكان معهم امرأة على مركب من مراكب النساء هودجٍ صغير وهي من قبيلة النفعة من عتيبة، فالتفت إليها فاجر السلاة رئيس القساسمة من ذوي عطية من الروقة، فقال: ماشأنك أيتها المرأة؟ قالت: أنا امرأة موتورة قَتَل تريحيبُ

بن شرى أخاى بالأمس في المناخ، ولما أجد في قلبي من الحرارة والأسى على أخي رغبتُ في السير مع هؤلاء الغزاة طلباً لثأر أخي، فقال لها فاجر السلاة: تقتلينه أنتِ؟ قالت: لا والله تقتله أنت إن شاء الله، ثم التفتت إليه ثانية فقالت: أتكفى أنت فتقتله؟ فقال: والله إن رأيته لأذبحنه، فكانت منية تريحيب على يده، وفي اليوم الأول الذي قبل مقتل تريحيب بيوم اجتلدت الخيلُ، فلحق تريحيب خيل الروقة، فعثرت جواد ابن تنبيبك رئيس المراشدة، وسقط عنها، فأخذها تريحيب، فطلب إليه العفو، فعفا عنه وخلى سبيله، فلما كان اليوم الثاني وجاء تريحيب على عادته أدبرت خيل الروقة وهو على أثرها، وكان فاجر السلاة قد عرفه بالأمس وأحب أن يفى بوعده للمرأة فأعدَّ بندقيته من الصمع وهو من الرماة المشهورين، فلما أسند تريحيب واعترضت جواده رماه فأصاب ساقه فكسرها وأنفذ السهم في الفرس فسقطت، وسقط تريحيب معها، فجاءه ابن تنبيك الذي مَنَّ عليه تريحيب بالأمس فقال له تريحيب: امنعنى كما مننت عليك بالأمس، فقال له ابن تنبيبك: لا والله بل أقتلك وأريح عتيبة منك، ثم قتله وأخذ سيفه وما معه من السهام، وبعد يومين أخذ جميعَ ذلك فاجرُ السلاة الذي كان أصابه، وهذا عُرْفٌ عند قبائلهم، يجعلون السلاح والسلبَ وما يمتلكه القتيل من الفرس وغيرها لمن ضربه أولاً فعاقه عن الحرب، لا لمن أجهز عليه، وفي اليوم الثالث من أيام مناخ الجنيفا وحوادثها كان الفريقان قد ملّ بعضُهما بعضاً، فبعث نايفُ بن هذال بن بصيص ابنَ عمه شرى بن بصيص أبا تريحيب الفارس المذكور لطلب الصلح بين الفئتين، فأتاهم على جواده في غَلَس الصبح حتى وقف عند بيت رئيس العتبان محمد بن هندي فسلم عليه وعرفه بنفسه، وكانت خيل العتبان عند غروب الشمس اشتبكت مع خيل المطران وقتل ناحى الضرة من فرسان عتيبة المشهورين وهو من الدَّغالبة جماعة خزام المهرى، قتله تريحيب بن شرى بن هذا الذي يطلب الصلح، فطلب من محمد بن حميد أن يتصالحا ويكف

بعضُهما عن بعض، ويرعى أرضَ الله كلُّ آمن، فقال: نعطيك ذلك، فلما قَرُب من فرسه ليركب بعد أن اتفقا على الأمان مع الرئيس محمد بن هندي بن حميد إذا فارسٌ قد أقبل عليهما مسرعا، فقال ابنُ هندي لشري بن بصيص: لاتركب جوادك حتى نرى خبر هذا الفارس، فلما وصلهم عرفوا أنه خزام المهري الفارس المشهور من عتيبة، فبقى على ظهر جواده، ثم قال للأمير محمد بن هندي: أيها الأمير لماذا لم تركب لتسير إلى حَوْمة الوغى؟ فقال: لقد تصالحنا وأمناهم، وهذا شرى بن بصيص يطلب الصلح، فقال له: اللعنة على شرى بن بصيص وابنه تريحيب، أما علمت أن ابنه تريحيبا قتل ناحى الضرة البارحة؟ ولن نصالحهم حتى نثأر بفارسنا؛ فصاح بأعلى صوته، وشق جيبه، وقال عتيبة: يارفاقة ناحى، ياثائر، وهذا نداء جرت به عادتهم، ثم اندفع خزام إلى جهة المعركة التي كانت بالأمس فاندفعت الخيل في إثره، ثم ركب محمد بن حميد بكوكبةٍ من الخيل على إثرهم، والتفت عند ركوبه إلى شرى بن بصيّص الذي يطلب الصلح فقال: اعذرني لقد رأيت بعينك وسمعت بأذنك، فأغارت خيل العتبان، فالتفت شرى بن بصيص إلى خالد بن حميد وهو باقٍ عنده لم يركب مع أهل الخيل فقال: إن الذي وجدوه أمسِ سيجدونه اليوم، فلما قربوا من خيل مطير إذا هي قد استعدت للجلاد، فكانت ميمنة مطير هي التي تلى ميسرة العتبان وفيها تريحيب ابن شرى وجملة من فرسان قومه وفيها طامي القريفة وهو فارس مقدام رام بالبندقية، وقد اتفق مع تريحيب أن يكون هو على جانب فإذا هُزمت الخيل فهو يحفظها، ومن اعترض أو أسند رَمَيْتَه بالبندقية، وحدثني فارس من عتيبة شهد هذه الغارة الأخيرة قال :

لما اختلطنا بهم وعرفنا أنه تريحيب منحناه أظهرنا، فندب بعضنا بعضاً، فأسند شبيب بن حجنة، وهو من الفرسان والرماة وبندقيته صمعاء، فلما اعترضت جواده رماه طامي القريفة ببندقيته فقتلها، فنزل وسار على قدميه، وندب فرسان قومه، فأركبه سرحان بن ثويمر من رؤساء المقطّة

على جواد عريب، فانهزمت خيل عتيبة، وكان معهم رجل يقال له غايب بن معية على حصان، وهو من قبيلة العصمة، فكأن الحصان انقطع به، فرفع صوته يندب شبيب بن حجنة أدركني؛ فقال شبيب لما سمعه لابن ثويمر: أردع الجواد، فأبى خشية أن يصيبها مثل ماأصاب جواد شبيب، فلما مر بحجر قليلٍ وظن شبيبٌ أنه يُخْفيه نزل، فكمن في وسطه والخيلُ قريب، أولهُم صاحبُ الحصان والذي يليه طامى القريفة على جواد حمراء، فرماها شبيب بن حجنة فأصابها، وَاخْتفى طامى خشية أن يقتله شبيب لأنه يعرفه من الرماة، وكلما جاء صاحب فرس ووقف عند طامى لإركابه رماها شبيب فقتلها، فقتل أربعاً من الخيل في موضع واحد، حتى نجا صاحب الحصان، فلما انتهى قتال ذلك اليوم وشرى باقٍ في بيت ابن حميد صالحوهم صلحاً جديداً وافترقوا، وفي الأمداد الذين عارضوا ابن حميد بعد مفارقتهم العصمة من الرؤساء أبو العلا والعقيلى وابن مغيرق قبل أن يلتقوا بابن حميد، وقبل أن ينتهي القتال سكب مشعان أبو العلا فنجالاً من الدلة ووضعه في مجلسه بين الفرسان وقال: هذا فنجال تريحيب، اشربوه، فأبوا، ثم نَدب بنيه سلطان وجزا، ثم ندب العقيلى. ثم ندب مزيد ابن مغيرق قاتل محمد بن حشيفان، فأخذ الفنجال فشربه، ثم قال له: يامشعان أنا أعلم أنك تحب أن أقتل، ولكني قد شربت هذا الفنجال، ووالله لئن رأيت تريحيبا لأقتلنه أو يقتلني، ولتريحيب إخوة هم غالب وغلاب، وهما أخواه لأبيه، وله أَخَوَانِ لأمه: أحدهما متعب بن جبرين من أفرس أهل زمانه من مطير من بني عبد الله، والثاني من غير تثبت غلام من قبيلة الملاعبة من مُطَير، ذكروا أنه في مناخ الدوادمي لما اجتلد العتبان والمطران، قصد إلى محمد بن حميد بين الفرسان واشتبكا على ظهور خيلهما حتى نزلا في الأرض، وذكروا أن الثلاثة من أفرس العرب.

ذكر الحوادث المتعلقة بالمناخ الذي قبل هذا، وهو المناخ الثاني من الأربعة، عتيبة تسميه «مناخ الشعْرا» ومطير تسميه «مناخ الدوادمي» وأهل

نجد يسمونه «سنة عرجا» حدثني خلف بن إبراهيم بن خلف من سكان الشعرا قال: أخذ لنا إبل وأخونا من مطير عماش الدويش، وخرجت من الشعرا إلى بلد الدوادمي طلباً للإبل يسترجعها أخونا عماش الدويش ، فجئت ناديه، فوجدت رجلاً جميلاً مرجّلا شعره جالساً متكئاً على رحل له موضوع ومجلسه مليء بالرجال، فقلت: السلام عليك يادويش، وأنا أحسبه عماشاً، فقال: وعليكم السلام، فجلست فالتفتَ إليّ فقال: ماشأنك؟ فقلت له: أنا أخوك من أهل الشعراء، أخذت مطيرٌ قبيلتُك إبلى، وقصدي أنك تؤديها إليّ[1]، فالتفت إلى بعين مغضبة فقال: نَبَا نأكل إبلك ونأخذكم؛ لأنكم عتبان في وسط عتيبة، ولا لك عندنا وجه ولا عانى، فسُقِط في يدي، ولم يكن هذا عماشا، وإنما هو ابنه، فالتفت إليّ رجل قريب من مجلسي فقال: هذا ابن عماش، أما عماش فهو هذا الرجل الراقد، فالتفتُّ إليه فإذا رجل قبيح المنظر نصف شعره أشيب، كأنه نائم وليس بنائم، ملتف في عَباءة برقاء، فلبثنا قليلاً ثم تحرك وجلس، فنهض القوم إكراماً له حتى جلس، فلما استوى جالساً نهضتُ إليه وسلمت عليه، فرد على السلام أحسن ردِ، ثم التفت إلى صاحبٍ له ورمى إليه عظما، فقال: املأه من التتن، فملأه وأشعله، فلما خلص من تتنه التفت إلى ابنه فقال: ياعبد الله، فقال: لبيك ياأبتِ، فأول كلمة تكلم بها أنه قال: حسبى الله على والدتك، غرتني بحسنها، والله ماأنت عَريب، لقد سمعت كلامك مع راعى الشعراء، كيف تجرؤ على هذا الكلام؟ أما علمت أنه أخوك صاحب قرية لايشد ولايمد ولاينير، وتقول له: نبَا نأخذك أنت عتيبى في وسط عتيبة، ولكن يُعْفيك مما استوجبه كلامك هذا أن تركبوا الآن لتجمعوا له إبله، ومن امتنع من تسليمها فأتوني برأسه، فمكث قليلاً، فجاءت الإبل تحدوها الخيل، فاستلمتُهَا، وعزمت على السير إلى

---

(١) في كثير مما روى المؤلف عن العامة لحن تركناه كما هو، لأنه ــ فيما يبدو ــ رواه عنهم بنصه.

بلدي، فقال، إن لي بك حاجة، أقم عندنا اليوم، فلما كانت الغداة جاءت الخيولُ لتتوجه إلى قتال عتيبة، وجاء ابنه عبد الله، وحضر جواده، ورحل على ذَلُول من أعرب جيشه، وقصده أن تكون زاملةً لفرسه، فالتفت عماش إلى ابنه فقال: ضع عَنْها الرَّحل وضعه على جمل، فإني أظن ركابكم لايرجع منها شيء، فأخذ الرحلَ، فوضعه على جمل، ومشوا إلى جهة الشعراء، فلما غربت الشمس جاءت الخيل وقد أخِذت الركابُ، ولم يرجع الجمل، فلما أصبحت وعزمت على الرحيل دعاني وقال: إذا وصلت بلادك فزِنْ وزنتين من القهوة وانطلق بهما إلى محمد بن هندي بن حميد وقل له: هذه لك من عماش الدويش تجديداً لما كان بيننا وبينه من العملة السابقة؛ فإن أحب أن تبقى فإنه يأخذها تجديداً لها، وإن أحب أن تنقطع فسيتركها، قال: فجئت وأخذت القهوة وذهبت بها إلى ابن حميد وأخبرته بما دار بيني وبين عماش، فأخذ القهوة وقال: بل نجدِّدها، وهذه تكون عملة خاصة بين الرئيسين فقط، لو أغارت مطير على إبل عتيبة المقيمين في بلاد الشعراء وأخذت إبل ابن هندي مع تلك الإبل يجب على عماش الدويش أن يردها، ولو أخِذَت إبلُ عماش وجب على ابن حميد أن يردها، وافترقت ثلاث قبائل من هذه القطعة المتوسطة في نجد، فكانت الهزيمة فيها على حرب القاطنين على ماءة عرجاء.

الحوادث الواقعة في مناخ الحرملية، وهو المناخ الأول؛ لأنه في السنة التاسعة من القرن الرابع عشر، وقتلُ تريحيب كان في السنة السابعة عشر من القرن الرابع عشر من الهجرة، وكان تريحيب أيام مناخ الحرملية صغيراً لم يحسن ركوب الخيل، وفي مناخ الدوادمي كان يركب الخيل ويرغب أن يحضر المعارك، ولكن أهله كانوا يمنعونه؛ فكان يحضر المناوشات الخفيفة، فلما بلغ سبعة عشر سنة ظهرت مخايله، وقتلَ لما كمل إحدى وعشرين سنة من عمره.

فمن حوادث مناخ الحرملية أنه لما انهزم العتبان وقحطان على أثرهم

عشر جواد محمد بن هندي به وسقط، وكان الذي يليه من الفرسان فارساً مقداماً يقال له «دهنين» من آل روق، من قبيلة محمد بن حشيفان، فنزل عن جواده وتطاوله ووضع نفسه عليه، وقال: ياقوم، والله إني قد أمنته وهو كاذب، ولكنه رغب أن يصنع جميلاً مع هذا الأمير العاقل، فتنازع القحطانيون فيه: قسم يحب قتله، وقوم دهنين عزموا على منعه، وعندهم شك في صاحبهم، أنه لم يؤمنه، ولكن أحبوا تثبيت كلامه، فمنعوه، فكان الذي أخذه دهنين من الإبل من محمد بن هندي بن حميد مقابلة الجميل مائة وعشرين ناقة، غير أنه لم يأخذ ذلك دفعة واحدة، بل كان إذا أتاه أعطاه المتيسر: تارة عشرا، وتارة أقل، ولكنه لم يعطه أقل من ثلاث، وهذا الرئيس من دُهاة الرجال، وعنده تروٍّ في الأمور، وأناة في مهمات الأمور، إذا رأيت بعض حيله لم تشك أنه من أدهى الدهاة، حدثني حشر البواردي من أهل شقرا قال: كنت مع محمد بن هندي بن حميد، وكنا ضيوفاً عند الشريف الحسين في مكة، فكأن الشريف قصر في إكرامه، وعنده بعض شيوخ الروقة، وظن ابنُ حميد أنه قد وشى به واشٍ عند الشريف، فلما أحس تقصير الشريف قال لنا: هذا الشريف أنا في الصبح أرميه بخبر يحمله على إكرامي، وقد بقيت متحيراً فيما عسى أن يكون هذا الخبر، فكانت إقامتنا في المعابدة، فركبنا رواحلنا صباحاً نقصد الشريف، فلما دَخلنا عليه، وكان يُدْني مجلسَ ابن حميد من مجلسه، وأخذنا مجالسنا، وتجاذبنا الحديث، حتى خضنا في ذكر الجيش، فقال ابن حميد: نظرت اليوم ذَلُولا نجيبةً معروضة للبيع لم أر مثلها، فالتفت إليه الشريف فقال: أين هي؟ فقال: مررت بها تحت قصر سعود بن عبد العزيز الأول الذي ملك مكة، فاضطرب الشريف في مجلسه وقال له: ليس له قصر ولم يملك مكة، قال ابن حميد: هذا خبر أكيد، فسكت، فافترقا والشريف مُغْضَب، فوالله ما وصلنا منزلنا إلا وقد جاءت الحلَل والنقود والكرامات الزائدة، فتعجبت من هذا الاستنباط البعيد المرامى، وله أمور

عجيبة، حدثني رجل من قومه يقال له راشد بن هذلي قال: قصدنا ماءة الشبيكية الواقعة في جهة المخامر ــ وهي اليوم مسكن الذويبى، عمرت في هذا العهد ــ ونحن قليلون، ولم نعلم حولنا من قبائل حرب أحداً، فجاءنا المرتاد فقال : إن على الماء عرباً كثيرين، فرأينا صاحب غنم، فأمرني أن أركب جوادي وأسأله عن أولئك القوم، فركبت جوادي وأتيته فسألته، فقلت: من هؤلاء العرب؟ فقال: هذا الذويبى ومعه قبائل حرب، وابن حميدٍ ومن معه لايستطيعون ردهم وليس له بهم طاقة، فرأيتّ الرجل قد اهتم واختلط فيه الطمع والخوف، فقال لي: اركب جوادك، واقصد الماء، وقل لناهس الذويبى ــ وهو رئيس القبيلة ــ في وجه مَنْ وردت هذا الماء؟ فإذا قال لك «من أين أتيت» فقل له: أرسلني محمد بن هندي بن حميد ومعه قبائل عتيبة، وأنا الآن بحيث لو صحت بأعلى صوتي لسمعوني، فركب راشد جواده، وقصد ماءة الشبيكية، فقال لناهس الذويبي ماقاله محمد بن هندي، ورد عليه ناهس كما ظن ابن هندي، فأخذ عقال راشد من فوق رأسه فوضعه في رقبته وقال: جِنّا دخلاك من عتيبة، وترانا في وجهك، وقال له: أنتم آمنون، فرجع إلى صاحبه، فأركب الجيش يستنهض عتيبة أن تأتيه، وانكف بعدما شرب الماء إلى جهة قومه، ولكنه مع هذا الدهاء والزكانة كان يخطىء في بعض الأوقات، ويتجبر على بعض الأعداء، يدفعه إلى ذلك كثرة أنصاره، وأنه مُطَاع في قومه لايردون له مقالاً.

حدثنى رجل من فرسان المقطة قال: كنا قريب ماءة عروى، وجاءنا خبر أن قنيفذ بن لبدة رئيس آل سعد من قحطان، وهو من الفرسان المشهورين، نَزَلَ عند جبيل سوفة الذي مرَّ ذكره فقال لقومه: إن الله أخرج هذا الفارس من جباله ومن بلاد قومه وليس معه إلا شرذمة قليلة، وقد عزمنا أن نغزوه بكوكبة من الخيل لعل الله أن ينصرنا عليه فنقتله، فقال له رؤساء قومه: أرسل من يرتاد لك الخبر، فبعث حضرياً من سكان قرى العرض، فقال له: اعرف لي منزله، وكَمْ معه من الخيل، فقصده الرجل

واستضافه، وكأنه ينشُدُ ضالة، فلما رجع إلى ابن حميد قال: وجدته وليس معه من الفرسان إلا عشرة، قال: هل تعرف منهم أحدا؟ قال: أعرفه وأعرف أخاه منيفا وضويحى وجديع آل الجرو من قحطان، فقال: هؤلاء الأربعة يعدلون أربعين فارساً، ولكني سأسير إليهم بستين فارساً من باب الاحتياط، فمشى بستين فارساً كلهم على صهوة جواده، ومعهم ركاب تحمل الماء والكلأ للخيل، فأغاروا عليهم بجانب سوفة وهم حلول: المرأة منهم تبني الخباء، والرجل عند إبله أو جواده، وكان قبل أن يسير من عند أهله بيوم قال: عُدُّوا لي الرماة، فإني أحببت أن آخذهم، وأمر بهم على طريق قنفيذ في المعركة، فيرموه بالبندقية قالوا: نعرف هضال بن درية الذي ينزل الأروى من شعاف الجبال وهي تعدو لايخطيء سهمه، والثاني ابن خشيبان، والثالث طريخم بن حريش من الشلاوى، فجمعهم وأخبرهم بحاجته، فاضطلعوا بها وكل قال: إذا رأيته قتلته، فأخذهم معه، فلما شن الغارة بجانب سوفة واجتلدت الفرسان أخذ الرماةَ ووضعهم في موضع.

وقال لهم : سأستطرد له وأمر به عليكم، ولكن اجتهدوا في قتله، فلما اجتلدوا انهزم ابنُ حميد ليمر به على الرماة، فتبعه قنيفذ يريد قتل ابن هندي، وكانت هزيمته حيلة لم ير منها فائدة؛ فمر على هضال ولم يرم، ومر على ابن خشيبان ولم يرم، فالتفت ابنُ هندي إلى قنيفذ فرمى رمحه قريباً من ظهره، وصاح يزهم طريخما أعنى ابن حريش ويومىء إليه بيده، ويقول أرم أرم، ثم ترك التنبيه على الاسم، وقال أرم ياشلوى باسم القبيلة، فلم يرم، فالتفت إلى خيله فقال: امنعوني من هذا الفارس، وكان زايد بن حريميس[1] من فرسان الروقة يسمعه، وهو من الفرسان التابعين لابن حميد، فجاءه مسرعاً عرضاً، فضرب قنيفذاً برمحه على قفاهُ وأُذُنَيه، فشرم إحدى أذنيه، وجرح مؤخر رقبته، فصاح قنيفذ وزاد جَلَادة، وقال: الكلب

(١) زايد بن حريميس من خيالة الحفاة جماعة جعيلان الحافى، وهو من ذوى صقر من الحفـاة بطن من الروقة.

لايغُلث حتى تقطع أذناه، وهذه قاعدة عند الأعراب في كلابهم، إذا أحبوا أن الكب تزيد حمايته للبيت قطعوا أذنيه ووضعوها في تمر حتى يأكلها، حتى إنه بقى مثلا عند عامة أهل نجد في عهدنا هذا، إذا زاد لَجَاج رجل في منازعته قالو «إن هذا أكل أذنيه» ورجع ابن هندي من غزاته هذه بدون طائل، لم يقتل قنيفذا ولم يقتله قنيفذ، وقنيفذ هذا من أشجع قبائله، ولكنه جِلْف من أجْلاف الأعراب، فيه خِصال لاتحمد، ذكروا أن معركة من المعارك حدثت بين قحطان وعتيبة قُتل فيها سحمى بن حشر، وأخذ القحطانيون من العتبان سبعة عشر رجلاً كأسرى، فلما ثبت عند قنيفذ قتلُ سحمى بن حشر قَتَلَ السبعة عشر رجلاً المأخوذين وهم في ذمتهم، وتعد هذه الفعلة نقطة سوداء في تاريخه، قال له رجل يخاصمه: ما أكثر كلامَكَ ياقنيفذ؟ قال: صدقت، ولكن شرى أكثر.

المعارك في نجد ـــ والغاراتُ في الجهة الجنوبية في نجد أكثَرُها بين برقاء من عتيبة وبين قحطان وسبيع أهل رنية والخرمة، والمعارك التي تكون في شمالي نجد إنما تقع بين حرب والروقة من عتيبة، أو بين الروقة وبني عبد الله بن غَطَفان، والمعاركُ العظامُ بين عتيبة ومطير. سُئل راجح بن لبدة أبو قنيفذ المذكور: كم قلعت من الخيل؟ قال: والله إني لاأحفظ عددها، ولكن الذي قلعت وأنا أنظر رأس جبلة ثلاثون فرساً.

أما محمد بن هندي بن حميد فهو مُطَاع في قومه، محبوب عند الناس، محبوب عند الملوك، سمعته يتحدث وهو يقول: والله ماأخذت الحضري ولاأرضى بأخذه. ونَدِيدُهُ في مطير نايف بن هذال بن بصيص للميز والعقل وحب قبيلته له.

كان ضيدات العارضي الذي قال فيه فيحان بن زريبان يوم الحرملية.

رديتها لمنجى الحرد ضيدان نازلاً على ماءة قريب الكويت مع الدوشان،

وهم قوم أهل تَجَبُّر، وهم رؤساء علوى، وهذا الجار من بريه فرأى منهم ما يغيظه، وهو من شعراء النبط فقال قصيدة نبطية منها:

هات الدلال وهات من ماء الثميلة   نبغى نسوى تالى الليل فنجال
عدٍّ سمج لو كثر رعيه وكيله   لعاد ما قطان ماه بن هذال

يعني نايف بن بصيص، وهذا الماء الذي كانوا عليه مشاش الطويل بين ماءة الجهري وماءة الصبيحية، وهو محبوب عند عامة أهل نجد وعند الملوك. لقيتُه ثلاث مرات: المرة الأولى في السنة التي قُتل فيها ابن عمه تريحيب بن شرى سنة ١٣١٧هـ، ولي من العمر سبع سنوات، ولكني كنت بحيث أفهم الحديث، رأيته عند والدى وأعمامي في بلدنا «ذات غسل» المجاورة لبلد شقرا في مقاطعة الوَشْم، منيخاً ركائبه ضَيْفاً عندنا، واتسع الحديث بينه وبين والدي رحمه الله وذكروا الحروب التي تقع بينه وبين عتيبة، فسمعته يومئذ يقول يخاطب والدي: يا عبد الله، والله لو يتبعني عُشَيْرُ عتيبة لأخرجنهم من نجد، ولكن الذين معى شرذمة قليلون من قبيلتي الصعران وسّامة الهلال ([]) وقد جرى علينا نقص عظيم بقَتْل هذا الغلام الذي كنت أحارب به، وكان وحده يقوم مقام العدد العديد، ذلك هو تريحيب؛ فقد كان إذا سمع الصائح قال لي: أعطِنِى السيف والعبية، أو البندقية والكحيلة، طلب السيف والعبية لأنها فرس سابق تَلْحق ولا تُلْحق، وطلب البندقية مع الكحيلة لأنها وَانِية، فإذا أدركته الخيلُ رماهم. ورأيته المرة الثانية في بلد الشعراء مع جلالة الملك في بعض غزواته في نجد، وذلك في مجلس عبد الرحمن بن خلف من أهل الشعراء، وكان جلالة الملك قد شرف داره ليشرب القهوة عنده ومعه ابن عمه عبد الله بن جلوي الذي تأمر على مقاطعة الأحساء ومات بها رحمة الله عليه، ومعه نايف بن هذال المذكور، وكان أهل الشعرا قد اضطرب أمرهم واقتتلوا مرتين: الأولى انتهت بقتل حمد الزير وأخيه عبدالرحمن، وفيما هما يتصاولان رمى

عبدالرحمن لما رأى مقتل أخيه حمد رميتين قتل فيهما أربعةَ رجالٍ وأصاب خامساً ثم قتل هو، وأما المعركة الثانية فكان آل ضويان سطوا على آل مسعود، والجميع حمولة من قبيلة واحدة، وأخرج آلُ ضويان من البلد، وانتهت المعركة بقتل رئيس آل ضويان خالد بن حمد بن ضويان، فلما شرب جلالة الملك القهوة وعزم على النهوض قال له عبد الرحمن بن خلف: ياطويل العمر، لاتزال مسألة اختلاف آل مسعود وآل ضويان، ولئن لم تصلحهما أنت لم يتم صلحهم، فقال: أنا معتزم إنفاذ ذلك إن شاء الله، ومتى بلغت الرياض أرسلت إليهم وسويت ما بينهم وما أشكل عليهم فإن مرجعنا فيه إلى حكم الشرع، فالتفت نايف بن هذال بن بصيص إلى جلالة الملك فقال: ياطويل العمر، يقولون ابن ضويان بان له قصيرا فوق العبسة يريد أن يغير وينير، فالتفت إليه جلالة الملك قائلاً: على عثرة ونثرة، ورأيت جلالة الملك يراعيه ويحترمه. وأما المرة الثالثة فقد لقيته في شقراء مع جلالة الملك، رأيتهما يمشيان في سوق شقراء وجلالَةُ الملك آخذ بيده يمشي وهو يباريه، فهذا دليل على أن جلالته يكرمه ويرى له منزلة.

وكان رئيس مطير في هذه المعارك الأربعة التي مر ذكرها هو هذا الرئيس، وأنا لاأعلم أن عتيبة انهزموا في المعارك التي تقع في نجد، بل هم الغالبون دائماً، أما هزيمة الحرملية فإنهم لايرغبون في ذكرها، ولو أنك سألت العتيبي وقلت له: أخبرني عن مناخ الحرملية، قال: إنى لم أحضره ولاأعلم حديثه، ولو سألته عن مناخ عرجا اندفع يحدثك حتى تقول له: اسكت، وقد عرف أهلُ نجد إنك إذا أردت أن تغضب العتيبي أو تلقمه الحجر فما عليك إلا أن تذكر يوم الحرملية، ومن الحوادث أن أهل قرية نفي كانوا يتفاخرون ذاتَ ليلة مع جماعة من شعراء العتبان، فقال شاعر من عتيبة أبياتا نبطية وهم وقوف، منها:

ياحضران دايم في البلاد   ماترعون في الدار العذيه
ولا تدرون عن ركب الجياد   دايم حاضره في كل هيّه

فقال شاعر أهل نفي المعارض لذلك الشاعر:

أخبار القبائـــل في فؤادى وأدرى بالكثيـرة والشويـــة
لاتكثر على من الـدوادي فأذكـــرك يوم الحرمليـــه

فانقطع الشاعر العتيبي ولم يرد جوابا؛ لأن الهزيمة صحيحة، ولا يقدر أن يقول من هزمنا فأما ذكر التويجر الشاعر الروقي في شعره وقعة عرجا، وقد ذكرنا منها بيتين في أول هذه العبارات، وقوله :

ليت نايف حاظر دقلت جملنا والله أن يخلى نجد بالقلب النظيف

ذكر هذا الشاعر الجمل، وتلك عادة عند جميع عرب نجد، إذا سارت الكتائب بعضُها إلى بعض فكل قبيلة تنتخب جاريةً من أجمل نساء رؤساء القبيلة، وتنتخب لها جملاً أوضح تضع عليه هَوْدَجا، ويُحَلَّى ذلك الهودج بالْحُلَل من الجوخ وغيره، ثم تركب فيه الجارية، وجميعُ رجال القبيلة والرُّماة والفرسان على خيولهم. وأهلُ الركاب يكونون عند هذا الجمل، والجارية حاسرة، لاتضع على رأسها ولا على وجهها شيئاً، وهي واقفة تندب قومها إلى القتال وتحضهم عليه، وقد ورد عرجا من الجمال في اليوم الذي كانت فيه الموقعة ثلاثَةَ عشر جملاً ، كلُّ جمل يتبعة أكثر من ألف رجل مابين راكب وراجل، وكانت قبيلة العصمة وقبيلة الدغالبة تابعين لجمل الهيظل، فلما كان يوم عرجا انفصلت كل قبيلة بحملها، حدثنى رجل ثقة حضر هذه الموقعة قال: جاء مناحي الهيظل ولحق جزا أبا العلا رئيس قبيلة العصمة، فتهدَّده وقال: ردوا جملكم وارجعوا إلى جملنا، فقال: إنا من حين زايلنا أهلنا ونحن عازمون أن نَرِد به عرجا أو نرجع نحن وجملنا، فزاد بينهما اللجاج، فجاءهم الرئيس العام محمد بن هندي بن حميد فقال: لقد نشبت الحرب وأنا أشير عليك أنت يامناحى الهيظل ألا تردَّ جملاً يتبعه ألف رامٍ، وإنما تكون الملاحاة والدعاوي في غير هذا

الموضع، فطلب إليه أن يعدل عن هذا الطلب ذلك الوقت، وقد كان أبو العلا مصمماً على أنهم لو رجعوا جمله يرجع بقومه، فتركهم واندفع إلى خزام المهري رئيس الدغالبة فقال له: ياخزام، ما الذي حملك على أن سيرت هذا الجمل وأنتم وجميع قبائلكم الدغالبة إنما تتبعون جملي؟ فقال له: تعلَّمْ أن هذا الجمل لو رجع رجعنا معه، وكانوا لايخاطبون خزاماً باللهجة التي يخاطبون بها أبا العلا؛ لأنه في زمانه فارس عتيبة على الإطلاق، فتركه الهيظل ثم أتى ناصر بن عقيل فقال له كما قال لصاحبه، وناصر من قبيلة الدعاجين التي رئيسها العام هو مناحي الهيظل، فقال له: اردُدْ جملَكَ وكونوا مع جملنا، فرده من دون منازعة، وقد انقطعت هذه العادة في هذا العهد الزاهر عهد جلالة الملك عبد العزيز آل سعود؛ لأن هذا الملك ــ حفظه الله! ــ قمع الظالم، وأعطى كل ذي حق حقه، وقدم الشرع، فسكنت بهمته وبتوفيق الله جميعُ الحركات.

وعربُ نَجدٍ لهم عادات حميدة أخذوها عن آبائهم وأجدادهم، ولكنها انقطعت كما انقطع غيرها؛ لأن الحاجة لاتدعو إليها، وسأذكر القليل منها.

عند عرب نجد ثلاث يسمونها «الثلاث البيض». فإذا قلت: ماالثلاث البيض؟ قالوا: الضيف السارح، والطنب السابح، والبطن، أما الضيف السارح فيعنون به أنه إذا أضاف رجلٌ من مطير رجلًا من عتيبة، ثم سَرَحَ من عنده واعترضه قوم من أقصى عتيبة منعه منهم صاحب الخباء الذي سَرَح الضيف منه، ويردُّ عليه جميعَ مايؤخذ منه، وأما الطنب السابح فهو الجار، إذا كان رجلٌ من مطير مثلاً قد جاور رجلاً من عتيبة، وجاء المطران وأغاروا عليهم، وأخذوا إبل العتبان؛ فإنه يجب على الجار أن يرد إبل مَنْ أجاره من قبيلته مطير وما أخذوا له، وأما البطن فإذا كان رجل من عتيبة قد مر على رجل من مطير فناوله فنجال قهوة أو كأسَ حليبٍ وأخذت عتيبة إبلَ صاحب الخباء الذي شرب العتيبي فيه القهوة أو

الحليب فإنه يجب على العتيبي أن يثور بما في بطنه ويؤدي الإبل إلى صاحبها، وله حق الثأر مادام لم ينقض هذا الطعام أو القهوة بمثله، حتى أن بعضهم قد يصنع حيلةً إذا جاءه أجنبي يظن أنه قد يحتاج إليه، وذلك بأن يخلط بهار القهوة بنوع من اللبان الذي يظُنَ أنه يبطىء فقد تمس الحاجة إلى ذلك الرجل بعد شهر.

وفيه مسألة أخرى، وهي الخوى، إذا جاء السفّار ومن قصدهم أن يجيزوا بلاد عتيبة أخذوا عتبيا، وكذلك إذا قصدوا أن يجيزوا بلاد مطير أخذوا مطيرياً، وكذلك إذا كان قصدهم أن يجيزوا بلاد قحطان أخذوا قحطانياً، ومن ذلك أن أهل شقرا أخذوا ولداً لعبد الله بن سجوان من قبيلة الروسان خويا من عتيبة، وهم على جمال وحَمير يجمعون الكلأ، فجاءهم ركب من الحناتيش بطنٍ من الروقة، ورئيسهم رجل يقال له حنيان، فأغاروا عليهم، فاعترضهم ولد ابن سجوان، وقال: إن هؤلاء خوياي، فلم ينتهوا، وأخذوا ماكان معهم من زاد وماء فقط، وتركوا الركاب والحمير! وأبو هذا الغلام الذي أخذوه خويا كبير السن، فركب إلى قبيلته وقال لرئيس القبيلة، حسين بن جامع: إني لاأرضى حتى تقتل حنيان، فقال: إنه لم يأخذ إلا زاداً قليلاً وماء قليلاً، وقد دفعه إلى ذلك الجوعُ والظمأ، فغضب الشيخ ورحل إلى بلد قَحْطان وجاور في قحطان سنتين ومعه ابن له آخر يقال له دحيم، وقال قصيدة نبطية وشكا حاله إلى ابنه دحيم منها:

يا دحيم ديران الرفاقة امريفه   والى مع الأجناب كنّه على نار
والطير بالجنحان ما حسن رفيفه   والى انكسر بعض الجناحين ماطار
ويمنى بلا يسرى تراها اضعيفه   ورجل بلا ربع على الغبن صبار

فلما سمع ابنه دحيم شعره قال له: ارجع ياأبت إلى وطنك، وأنا الذي أقتل حنيان، ولا تستشير حسيناً في ذلك، وهو يريد حسين بن جامع رئيس القبيلة، فأعجب الشيخ ماقاله ابنه وجاء إلى بلاد قومه وسكن الشعرا

لتصيد الفرصة في صاحبه، لأنها بلد تنتابه الأعراب لأغراضها، فما شعروا إلا برجل أتاهم فقال: انظر حنيان الحنتوشى في قصر الرفائع يتغدى عند صاحب القصر، إبراهيم العجاجى، فندب الشيخُ ابنَه وندب معه ابن عم لهم يقال له حمود، فركبا راحلة وقصَدَاه فوجداه قد مشى من قصر الرفائع، وهو على جمل، ومعه رفيق له ليس من قبيلته، فأدركاه قائلاً تحت شجرة ومعهما سيف ورمح، فقالا لصاحِب حنيان الذي ليس من قبيلته: إن أحببت السلامة فأعرض عنا وإلا فإنا نصنع بك مثل ما نصنع به، فتناولاه بالسيف ولم يبق فيه موضع إلا أكل السيف منه قسماً، ثم ارتدا على راحلتهما وتركاه على أنه ميت، فمرا على العجاجى وقالا له: قتلنا حنيان، انظره هناك، ادفنوه، فرحل أهل القصر فوجدوا فيه رَمَقاً، فحملوه إلى قصرهم، فبقى سنتين بين الحَيَاة والموت، ثم سَلِم، فرأيته يركب الخيل وقد جعل في كفه الأيسر كلاليب يمسك بها حبال الفرس.

أخذت قحطان حميراً لأهل القويعية، وهي في عانية، فركب فهاد بن حصيص أحد آل روق من قحطان مع أصحاب الحمير إلى القحطانيين الذين أخذوها، فقالوا له: مانسلمها لك حتى تداعينا عند محمد بن هادي رئيس قحطان، فركب معهم، فوصلوا عند محمد بن هادي، فكل عرض عليه ماعنده من الحجج، فالتفت ابن هادي إلى ابن حصيص وقال: هوانى مرخوص اتحاكى، وهذه لغة قحطان، قال له: تحاك بالحكى الذي تؤدى فيه الحمير، قال: أعطوها إياه.

ومن عاداتهم إذا جئت عند قبيلة وأنت ضارب في الأرض وليس معك رفيق منهم فقل لهم: خذوا عصاى فضَعُوا وَسْمكم عليها، فمن جاءني من قبيلتكم عرضتها عليه، فإذا فعل ذلك فإنه لايمسه أحد بسوء.

قال محرر هذه الأحرف: جئت من الحناكية في سنة ١٣٣٧ هجرية، وليس معي خوى، فصحبت عيراً قاصدةً القَصيم، فلما كنت عند طمية

عجت إلى قرية مسكة فجئت قبيلة من الدلابحة رئيسهم رجل يقال له ملافخ، فبت عند غيره، فلما أصبحت قلت عند توجهي: أنا رجل منقطع، وليس معي رفيق من عتيبة، وما معي إلا رفيق حضري، ونخشى أن يعترضنا أحد من عتيبة قبل أن نصل مقصدنا، ولكن خذ عصاي فضع وَسْمَك عليها، فوضع عليها الوسم[1] على هيئة المغزل وهو وسم قبيلته، فانطلقت إلى بلد مسكة ومعي صاحبي الحضري فلما كنا في عريق الدسم أغار علينا جيشٌ فناديتهم: ليس فينا طَمَاعة، فقال رئيسهم: إن كنت من عتيبة أو في وجيه عتيبة فأنتم آمنون، فأتونا فإذا ركائبهم عليها هذا الوسم(١) وإذا هم من قبيلة الحماميد التي يجمعها هذا الوسم كما يجمع قبيلة طلحة وقبائل نجد الموجودون في العهد الأخير ممن أدركناهم: قبيلة عتيبة، وهم اليوم أقواهم وأكثرهم، وقبيلة قحطان، وقبائل مطير بنو عبد الله، مساكنهم من القصيم إلى المدينة، وعلوى وبريه مساكنهم من سدير إلى الكويت، وقبائل حرب من القصيم إلى المدينة إلى جبلى طى، هذه القبائل عرفناها وعرفنا قواعدها وعاداتها، فأما القبائل التي سكنت نجداً في الزمن القديم فالقبيلة التي كانت لها الشوكة والقوة والغلبة على جميع القبائل هي بنو لام، قال صاحب الروضة رميزان التميمى وهو في القرن العاشر، في قصيدة له نبطية عند حكره لوادي سدير ووضعه لسبعين العرصة التي تسيل منها بلاده الروضة:

حكرنا لها وادي سدير غصيبة	**بسيوفنا إلى مرهفات حدودها**
حكرنا لها الوادي وسالت نخيلها	**وفي القيظ من جم البطاحى برودها**
إلى صدر اللامى والأجناب قلطت	**حيضانها فإما نزدها ترودها**

وهذا الشعر يدل على أن بني لام هم أهل البلاد في القرن العاشر، والدليل على ذلك قول رميزان:

*** إلى صدر اللامى والأجناب قلطت ***

صاروا هم أهلَ الوطن ومن عداهم أجانب عنه، وامتد بقاء بني لام في نجد في أواخر القرن التاسع وجميع القرن العاشر، وبنو لام ثلاثة بطون عظيمة: كثير، ومغير، وفضل، فأما آل مغيرة فهم في عالية نجد يرأسهم عجل بن حنيتم، ويسكن وادي الشعرا، ويتجول في بقية بلاد العرب، ويوجد الآن قصر له آثار في وادي الشعرا يعرف عند عامة أهل تلك الناحية بقصر عجل بن حنيتم، ولايسكن بتلك النواحي أحد من الأعراب إلا في جواره، تقول ابنة عجل في قصيدة لها نبطية:

ألا يابلاد جنب تيما مقيمة — مادامت الشعرا هيام قليبها
أخذنا على ولد الشريف بن هاشم — على الحوض حقه من وردها يجيبها

تيما: جبل في أعلى وادي الشعرا.

والرئيس الثاني من رؤساء بني لام: ابن عروج، يرأس آل فضل وآل كثير، ومساكنهم في أسافل نجد، ولا ينازعه فيها أحد، لاعند الكلأ ولا عند غيره، وتقول امرأة ابن عروج من قصيدة نبطية:

مشى منْ العارضْ بجيْش يهيفي — يتلُوْنْ بنْ عرّوجْ مقدمْ بني لامْ
ياما انقطعْ في سَتّهْ منْ عسيفي — ومنْ فاطرٍ تلقطْ على الهجنْ قدَامْ

فلما انقضى القرن العاشر أخذ نجمهم في الأفول. وبلغنى عن الثقات في تاريخهم أن سبب ذلك هو الخيانة، وعدم المبالاة بالعهود والمواثيق والجوار، وما يتصل بها من عاداتٍ حميدة وقد انقرضوا وجَلَوْا عن نجد، ولا يوجد لهم اليوم فيها لا قليل ولا كثير؛ فلما دخل القرن الحادى عشر امتد جناحُ عنزة على نجد، أَلْقَوا بجرانهم فيه، فلم ينازعهم فيه أحد إلى آخر ذلك القرن؛ فظهرت مطير، فشاركتهم في نجد، فلما دخل القرن الثاني عشر نازعتهم مطير، وعزموا على إخراجهم منها، وبدأ النزاع بين الطائفتين عنزة ومطير، وامتد ذلك النزاع حتى انقضى هذا القرن، وكانت الانتصارات فيها لمطير، وابتدأ النزاع الحاسم في أوائل القرن الثالث عشر،

وإليك عبارةً من عبارات ابن بشر في تاريخه في حوادث سنة ١٢٢٨ الهجرية قال فيما ذكره عن الإمام سعود بن عبد العزيز رحمه الله وتأديبه للأعراب: وإذا أرادت قبيلة من قبائل بَوَادي نجد العظامِ كمطير وعنزة وقحطان (تأمل في هذه العبارة فإنك لاتجد فيها لعتيبة ذكراً بخصوصها) أو غيرهم، وهم في أقصى الشمال يرحلون وينزلون في أقصى الجنوب أو الشرق أو الغرب لم يمكنهم مخالفته، نشأ على ذلك الصغير، وشاب فيه الكبير ثم قال: وجلس يوماً فيصل بن وطبان الدويش رئيس أعراب مطير، والحميدي بن عبد الله بن هذال رئيس عنزة، وكان هؤلاء أشدَّ البوادي عداوةً بعضهم لبعض، عند سعود في صيوانه، وهو مقيم على الرس — البلدِ المعروف في ناحية القصيم — وذلك في غزوة الحناكية سنة ثمان وعشرين ومائتين وألف، وتنازعوا بين يديه، وتفاخروا، وأظهروا نخوة الجاهلية فقال أحدهما للآخر: أحمد الله على نعمة الإسلام، وسلامة هذا الإمام الذي أطال الله عمرك بسببه، وكساك الشيب، بعد أن كان آباؤك لا يَشيبون ولاينتهون إلى حده، بل كنا نقتلهم قبل ذلك، فقال الثاني: أحمد الله على نعمة الإسلام وسلامة هذا الإمام الذي كثر الله بسببه مالَكَ، وسَلَّم عيالَكَ، ولولا ذلك لم تملك ماهنالك، ولانزلت في تلك الدار، ولا استقر بك فيها قَرَار؛ فنهض الإمام وزَجَرهم وذكرهم ماأنعم الله به عليهم من الإسلام والجهاد والجماعة والاجتماع على الصلوات. انتهت عبارة ابن بشر. وانتهت دولة[1] عنزة في نجد؛ فقد بدأ النقص فيها حتى تقلص

(١) وآخر من غادر نجداً من عنزة: ابن مجلاد، ولما علمت مطير بتأخره تداعت إليه من كل جانب وهو في جهة الأسياح فأخبرته النذر بذلك، ثم بعث إلى قبيلته طالباً المدد، ثم توجه قاصداً بلاد قومه، وكان له صانع ماهر في صناعة الشعر وصناعة الحديد فقال هذين البيتين من قصيدة له نبطية :

ياهل المهار الصفر والضمر السود ... الناس جتكم من جنوب وشام
أنا عليه ضبطت الخمس بالعود ... وانتم عليكم ريها بالعسام

ضبطت الخمس بالعود: يقصد نوعاً من الرماح لها خمسة أسنة كل سنان منفرد عن الآخر، والعسام هو القتام. المؤلف.

ظلها، وتغلبت مطير على تلك النواحي من نجد على رَعْى الكلأ والماء، واستوطنوا أعلاه وأسفله، حتى إنّ قبيلة من مطير (من علوى) يقال لهم الجبلان يعتزون بصبحا في المعارك، فيقول فارسهم: «خيال صبحا جبلى» وصبحا هي الهضبة المعروفة في عالية نجد التي يقال لها في الجاهلية «يذبل».

ومحسن الهزاني الشاعر صَاحِب بلدة الحريق في أواخر القرن الثاني عشر وأوائل القرن الثالث عشر صحب الدوشان، وأكثر من قرض الشعر فيهم، منهم في زمنه مِصْلَط الدويش، ووطبان الدويش، وعُلّيق الدويش، قال في قصيدة نبطية يذكر امرأة من نساء الدوشان:

شدّوالُهَا مَنْ فوْق وثنْاثْ الاجمالْ فوقْ أشْقَحْ زينْ الْمناكبْ اصعينْي
نَصوسْهومْ بَيْنْ أبَانَاتْ والخْال[1] حامينهـا بمذلقـاتْ الْعَرَيْنـى

وفي أوائل القرن الثالث عشر ظهر هادي بن قرملة رئيس قبائل قحطان، وامتد نفوذه في نجد واتفق مع الدويش في رَعْى الكلأ وشرب الماء، وله ذكر حسن مع الولاية في تاريخ ابن بشر، فلما مضى قليل من القرن الثالث عشر ظهر ابنه محمد بن هادي، وأخرج مطيراً جميعهم من نجد، فلم ينازعه في نجد أعرابى، وعند ذلك قالت شاعرة من مطير يقال لها «مْوَيْضى الْبرازِيّة» تؤلب قومها على قحطان:

نَجْداً حَمَيْنَاهَا مِنْ أولادْ وايلْ واليومْ عدّونا سَكَنْ وادي الراكْ
أما احتمينـاه بِحَـدِّ السَّلايـلْ والا عطينا الشاة ذوْلا وذولاكْ

أما قول البرازية «سكن وادي الراك» فهي تعنى قحطان؛ لأن الراك لايوجد إلّا في بلادهم، وأما ذكر الشاة فهذه عادة عند العرب، كانوا إذا

(١) الخال هو خال الدفينة. انظر كيف توغلت قبيلة مطير في نجد، فقد سكنوا في جميع أنحائها.

ضعُفت القبيلة وهي في بلاد غير بلاد قومها، وعندهم قوم أقوياء، ذبحوا لهم شاة، ودَعَوْهم عليها وحالفوهم عند ذلك؛ فتكون تلك القبيلة منهم.

وبقي محمد بن هادي بن قرملة وقبيلته قحطان في نجد لا ينازعهم فيها أحد، وكان من أراد الرعي من مطير أو من عنزة أو من حرب أو من عتيبة المقيمين في الحجاز يأتي إلى هذا الشيخ، فيأخذ منه الأمان، ثم يرعى حيث شاء.

حدثني عثمان الهاجرى ـــ وهو إمام يصلى بمسجد بن هادي وجماعته ـــ قال: كنا مقيمين في فيضة وادي أوراط في العتك أيامَ الربيع، فجاء في يومٍ واحدٍ خمسٌ من الخيل هَدَايا كلُّ فرس واحدة مع وَفْد على حِدَته يطلبون الجوار والامتداد في نجد، قال: وكنا يوماً عند «المضباعة»[1] أيام الربيع، فجاءه «تركى بن حميد» من رؤساء قبيلة عتيبة، وأناخ عند محمد بن هادي بن قرملة يطلب الجوار، فسأله عن أهله، فقال: تركتهم على ماءة بُرَيم الماء المعروف في أسفل جبل حضن، وحدثنى فراج بن طويق الحافي قال: ركبنا مع مِصْلَطِ بن ربيعان، وأهلُنا على ماء الشماس الواقع في حوى[2] كشب، وأتينا ابن هادي، ومعنا جيش وخيل هدايا، أتيناه على ماء الشعرا نطلب منه الجوار، فقال لنا: أنتم في وَجْهى، ارعوا حيث شئتم إلا جبل النيّر، مَنْ دخله فهو خارج من الأَمان الذي طلبه، وظني أن هذا الأعرابي يخشى أن يدخلوا هذا الجبل فلا يخرجوا منه.

انظر تقلب الدهر بأهله؛ فإنه ماكاد ينقضى نصف القرن الثالث عشر

---

(١) هي جبيل صغير يقع في الجلوة بين ماء الأنجل وتبراك. وهي لماء الأنجل أقرب. وتبراك هو الذي يقول فيه جرير :

إذا حلت نساء بنى نمير ... على تبراك خبثن الترابا

(٢) مياه الحوى تطلق على جميع المياه التي حوتها حرة كشب، الجبل المعروف في عالية نجد ومياه الحوى ثلاثون منهلا تقريباً.

حتى غاض معين مجده، وتقلص ظله، وأفل نجمه، ذلك لأنه لم يعبأ بنقض العهد، وخفر الذّمة، فاختلف مع قبيلة عتيبة، وكانوا إذ ذاك يخروجون من تهامة والحجاز كأرْجَالِ الجراد، ومَن استوطن نجداً لم يرجع، وكان رئيس برقا تركى بن حميد، ورئيس الروقة مصلط بن ربيعان، وكان سبب هزيمة ابن هادي ورَدّهِ إلى حدوده التي خرج منها في جهة الجنوب في بيتٍ واحدٍ من قصيدة نبطيّة لتركي بن حميد وهي طويلة يخاطب فيها ابن هادي حين تغيّر عليهم، وعزم على ألا يفي بما بينه وبينهم، وهو أن يؤدى ابن حميد ماتأخذه عتيبة، ويؤدى ابن هادي ماتأخذه قحطان، ولكنَّ ابن هَادي لم يؤد ما أخذه القحطانيون، فقال تركى قصيدة منها هذا البيْت الذي ذكر فيه خفر الذمّة:

ادّيْتْ انــا ارْبــع قحصْ[1] خامَسْهــنْ التــومْ
وقعــودْ[2] زبــنْ اللّــى بغــىٰ ماحصل له

وقد دارت بينهم معارك عظيمة، وكانت الانتصارات فيها لعتيبة، ورئيسهم في تلك المعارك تركي بن حميد، وكان الذي هدم هذا العز الشامخ الذي لم يرمثله في جميع الأعراب هو تركى ابن حميد، هَدَمه من أسه، فلم يبق له ذكر.

فأما في عهد جلالة الملك عبد العزيز فقد انطمستْ تلك العوائد جميعها، فلا يحتاج أحد إلى (خوى) ولا إلى (اخاوه) ولاإلى (جار) ولا إلى (عاني) ولا إلى (عِلْقه) جميع تلك العوائد انقطعت، وكلها من الله سبحانه وتعالى ثم من حكمة جلالة الملك وتأديبه لمن خالف، فإنه لايعرف مثيلٌ لهذا الأمان لا في الأوائل ولا في الأواخر.

---

(١) القحص هي الخيل. والتوم: حصان.

(٢) وزبن: رجل من جماعة الشاعر أخذ بعيره فلم يرجع عليه. وهو في خفارة ابن هادي.

ذكروا أن الناس كانوا في زمن الإمام سعود بن عبد العزيز الكبير في أوائل القرن الثالث عشر يعيشون في هدوء وأمان في جميع الأنحاء التي امتدَّ عليها رِوَاقُ ملكه، فقالوا : إنه كان في وادي العقيق أعراب قاطنون على ماء عشيرة، وعندهم شعراء من البقوم والشلاوي، فجعلوا هم وأهلُ الماء يَتَسَاجلون، فقال شاعر الشلاوى:

نَبَا نقضى اللازِمْ ونركبْ ركايينا واهَلْنا مَنْ الجوبةْ[1] إلَيْن القطانيةْ

نَبَا شاعر منكم إلى الصّبْحْ يطْرِبْنا قمرْ عَشَرْ واضحْ والثريا رقابيةْ

فقال الشاعر الثاني الذي من العرب القاطنين على ماء عشيرة وهم من عتيبة:

أنا خايِفْ إن الْعِلمْ ياصَلْ مْعَزّبْنا يشيله طرِيْقِىّ عَلَى كورْ عمليّةْ[2]

تضيعونْ في نَجْدْ وحنا يعاقْبنا وحنا على المالاشْ نَجْعَةْ ولا نيةْ

لاشك أن هذا دليل على الامان، فقد خاف الشاعر ــ وهو على ماء عشيرة ــ من إمام في الدرعيّة، ولكنه أمان معتدل، وأما أمان عهدنا الزاهر فلم أر مثله، ولم أقرأ عن نظيره في جميع ماقرأت من صفحات التاريخ، إذ قد مد الأمان جناحه على مقاطعة نجران، والطرف الثاني على الحدود الشماليّة، فجميع تلك الأقطار لايوجد فيها قاطع طريق، وكان اللص يبقى الشهر في قمم الجبال خشية أن يرى أثره إذا نزل فيؤخذ، فيقذف في السجن، فإذا احتاج إلى طعام بعث امرأته، والحمد لله الذي أحيانا حتى رأينا هذه الحال.

وقد أطلنا الكلام على ذكر الحرمل والأنْجَل والمرُّوت وسوفة لكثره مايتصل بها من المعارك والأخبار.

* * *

---

(١) الجوبة هي : جوبة ركبة المشهورة، والقطانية: بئر تردها الأعراب في وادي قطان في الجهة الجنوبية منه.

(٢) العملية : نوع من نجائب الجيش. سميت العملية لاستعمالها وإرسالها في الأمور الهامة. والطريقى: تصغير طرقى، وهو المتجه من جهة إلى جهة أخرى.

٤٠ ـــ وقال الأعشى صاحب منفوحة[1]:

مَا بُكَاءُ الْكَبِيرِ بِالْأَطْلَالِ وَسُؤَالِي وَمَا تَرُدُّ سُؤَالِي
دِمْنَةٌ أَقْفَرَتْ تَعَاوَرَهَا الصَّيْــ ـــفُ بِرِيحَيْنِ مِنْ صباً وَشَمَالِ
حَل أهلي وَسْط الغمِيْس فَبَاذُو لىٰ وَحَلَّتْ عُلْوِيَّةٌ بِالسِّخَالِ
ترتع السفح فالكثيب فذاقا ر فروض الغضا فذات الرئال

هذا مطلع قصيدة قالها الأعشى في الأسود الكندى أحدِ رؤساء اليمن.

الغميس الَغمِيس: موضع معروف في جهة الَقصيم، ما كان عن بلدة عنيزة غربا وجنوبا جميعُ تلك الناحية إلى قرب رامة يقال لها «الغميس» وهو من المواضع التي يحميها أهل عنيزة، ويدخرون فيها الكلأ لأغنامهم وإبلهم، وفيه يوم من أيام العرب، قال شاعر أعرابي:

أيا نَخْلَتى وادي الغميس سقيتما وإن أنتما لم تنفعا من سقاكما
فعما تسود الأثل حسناً وتنعما ويختال من حسن النبات ذراكما

وهو باق بهذا الاسم إلى هذا العهد، تعرفه عامة أهل نجد.
أما بادولي فهي معروفة هي والسخال إلى هذا العهد بهذا الإسم.

السخال السخال: هضبات متصل بعضها ببعض ، حمر، في حدود الهضب الشرقية، طرفها الشرقي خارج من الهضب، وطرفها الغربي منعقد فيها، وهي الهضبات التي بها منهل «مأسل» و«مويسل». ومأسل هذا هو الذي يقول فيه امرؤ القيس:

* **وجارتها أم الرَّبَابِ بمأسل** *

وهي معروفة بهذا الاسم إلى عهدنا هذا، يقال لها «السخال» قال ابن مقبل:

حَيِّ دارَ الحى لادار بها بسخالٍ فأثالٍ فخرم

(١) معجم البلدان ٣٠٧/٥.

وأما بادولي فهي هضبات قرب السخال، يقال لها إذا جمعت «بدوات». ويقال لمفردها «بدوة» معروفات بهذا الاسم إلى هذا العهد، يقال: بنى بدوة، وبني بدوات، وذكروا أن بلاد الروقة كوادي الجرير وجهة كشب أجدبت، وأخصبت تلك الناحية التي فيها السخال وبنو بدوة، فانتجعت الروقة الكلأ، فلما وصلوا إلى بدوة والسخال كأنهم كرهوا البلاد، فقال شاعر من شعراء الروقة أبياتاً نبطية منها: بادولى

وصلتْ بدوهْ وهضباتْ السخالْ وشِفْتْ مشعابْ
وودانـيِّ ارجـعْ ولا لى بالديـارْ اللــى وراهـــا

وقودْ أهلْها الدمنْ وإن شاف أبو قبَّاسْ مشهابْ
رمـى بعمـرهْ عليـهْ وَنارهــم يطفــى سناهـــا

أبو قباس: نوع من الفراش يسقط في النار، أما مشعاب الذي ذكره فهو جبل يقع في شمالي الهضبات المذكورة على مسافة يومين. والسفح: يطلق على كل سفح جبل أو على كل سفح وادٍ والكثيب: يطلق على كل ماارتفع من الرمل، وربما كان «السفح» علما على مكان بعينه، وذو قار: موضع، وقد تقدم الكلام عليه، وروض الغضا: في شرقي القصيم، ولا أعرفه بهذا الاسم اليوم، وذات الرئال كذلك، وقد مضى الكلام عليهما، وهضبات السخال متاخم لها جبل الْحَمَل، يقع عنها مما يلي مطلع الشمس.

* * *

٤١ ــ وقال لبيد بن ربيعة[١] :

وأضحى يقتري الحومان فرداً كنَصْل السَّيْفِ حُودِثَ بالصِّقَالِ

---

(١) بيت لبيد وأبيات عامر في معجم البلدان ٣٧١/٣ وبيتا مليح الهذالي فيه ٣٧٢/٣.

وقال عامر بن الطفيل :

ألا ليت شعرى هل تَغَيَّر بَعْدنَا صَرَائم جَنْبَىْ مِحْيَطِ وجنائبه
وهل تُرِكَ الحومان بعدي مكانه وهل زال من بطن الجوى تناضبه
فوالله مأدري أيغلبنى الهوىٰ إلى أهل تلك الدار أم أنا غالبُهْ
فإن أسْتَطِعْ أغلِبْ، وإن يَغْلِبِ الهوىٰ فمثْلُ الَّذى لاقيْتُ يُغْلبُ صَاحِبُه

وقال مليح الهذلي :

وقام خراعِبٌ كالموز هزت ذوائبهـــا يمانيـــة زخـــور
لهن خدودُ جِنَّةِ بطنِ حَوْمىٰ وللرمـل الـروادفُ والـــخصور

الحومان هذه الأبيات المختلفة الموضعُ المشار إليه في كل منها واحد، فهناك في عالية نجد هضبات متصل بعضها ببعض، ويطلق عليها أسماء متعددة مادتها الأصلية واحدة، فيقال لها «الْحَوميّاتُ» ويقال لها «الْحَوَم» ويقال لها «الحومِيّة» إذا جاءنا أعرابيٌّ من جهتها فقلنا له: أين أهلك؟ وقال: بالحوميات، ثم جاءنا آخر وقلنا له: أين أهلك؟ قال: بالحومية، ثم جاءنا ثالث وقلنا له: أين أهلك؟ قال: بالْحَوَم؛ فمنزل هؤلاء واحد، وكلهم صادقون، وهي معروفة بهذه الأسماء عند عامة أهل نجد لم تتغيّر، ولون تلك الهضبات بين الحمرة والسَّوَاد.

مخيط أما مخيط فهو يقع شرقي الحوميات، موقعُه في كثيب الْصّخة، جبيل مرتكز طويل معروف بهذا الاسم إلى هذا العهد، وهناك جبل آخر في عرق سبيع في القطعة الجنوبية منه يقال له «مخيط» ولا أعلم أيهما قصد الشاعر، وكلاهما متاخم لجبال الحَوَم.

قال كاتب هذه السطور: الحديث ذو شُجون يجر بعضُه بعضاً، صحبتُ صاحب السمو الملكي الأمير فيصل بن عبدْ الْعَزيز آل سعود

أثناء خروجه للقنص في عالية نجد، في منزل من منازله على غدير[١] «برة المطلى» وأعراب نجد تسمى منزل الأمير فيصل هناك في ذلك العام «مرباع الأوادم» لأنه بذل جميع استطاعته من الزاد واللحم وحليب الإبل واللبن، وكل شيء تميل إليه النفس، فأخذت الأعراب تختلف إليه من جميع الجهات، وكان أكثر ما اصطدناه من أنواع الحبارى في اليوم الواحد يقدر بستين تقريباً، أما الظباء فقد اصطدنا منها في آخر يوم من أيام الصيد عدداً كبيراً، وكنا بين ماء الأيسرى وجبل الشهيلا شرقي عرق سبيع، وقد بلغ ما حملناه في السيارات مائة وستة وستين ظبياً من الآرام الكبار، وعند انصرافنا إلى منزلنا جاءنا صاحب السمو الملكي الأمير عبد الله الفيصل فقال لوالده: هنا خمسة وعشرون ظبياً لم نقدر على حملها، انظر إلى سياراتنا لاتقدر أن تحمل غير ماحملناها، فالتفت صاحب السمو الملكي الأمير فيصل إلى أعراب وقوف عندنا، وقال: خذوها، ثم ذهبنا إلى منزلنا وبِتْنَا ونحن لاندري كيف نصنع بهذا الصيد، ولما حضرت السيارة التي ستقل سُمُوَّه الكريم إلى مكة دعا ــ حفظه الله! ــ حاجبه فهد بن غشيان وقال له: فرقوا هذه الظباء على الحاضرين هنا من الأعراب والفقراء، ولاتبقوا منها شيئاً، لم يزد على هذه الكلمات ولم ينقص، وسار إلى مكة.

وهضبات الحوم المذكورة لم تغب عنا يوماً واحداً في هذا المقنص.

فأما المقنص الثاني فقد كنا على ماءة سجا، وعنده عيد بن حويريش

---

(١) البرة : قد مضى الكلام عليها، وهي جبيل صغير منفرد من جبيلات المطلى، إذا نظرت إليه عن بعد رأيته منفرداً كاليتيم، وتسميها أعراب نجد اليتيمة، قال مخلد القثامي يذكر أبله ومرباعها من قصيدة لة نبطية :

مرباعها يم الحصاة اليتيمة ومصيافها عردان تشرب خباريه

وعردان هنا: هو الذي ذكره عبيد بن الأبرص في معلقته بلفظ عردة.

رجلٌ من المقطة مضحك للملوك والأمراء، أذكر ليلةً خاطبَه الأمير فتكلم هو ثم نهض وقال: أنا ولد حراث، ندب أباه في خطابه، فسكت الأمير، وسكت الناس، فالتفتَ إلى الأمير وقال: ياطويل العمر، لم لم تقل إذ ذكرت والدي «ونعم»؟ فقال الأمير: إني لأعرف والدك، ويمكن أن يكون في هؤلاء الحاضرين رجل يعرفه، فتكلم أعرابي من الحاضرين فقال: الذي يستأهل «ونعم» هو الذي أعطى أباك بعيره أيام كانوا في الحوميات، فقال الأمير: خبرنا من هو، فقال: إذا سمح عيد بن حويريش أخبرتكم بالموضوع، فقال ابن حويريش: أخبرهم، فقال الأعرابي: جاء عقيد من سبيع من بوادي رنية والخرمة ومعه ركب يبلغ عددهم خمسة عشر راكباً تقريباً، فأغاروا بعد غروب الشمس في جهة الحومية على إبل المقطة، ومن المصادفات أنها أخذت إبل حويريش. ثم فروا بها في سواد الليل.

وكان هذا العقيد مجرباً تام الحنكة، وكانت بلده في جهة الغرب، ولكنه قصد جهة الشرق اختفاء من الطلب، فلما قرب من أخبية حويرش وقومه ومنازلهم، وهو يقتنص الظباء، وكان على ظهره ظبى — اعترض حويرش الإبل والركب ومعه بندقيته ثم ألقى ظبيه عن ظهره، وقال: من أنتم أيها الركب؟ قالوا له: من جماعتكم الدعاجين، والدعاجين: بطن من عتيبة، فقال: الحذيّه يوم الله رزقكم، فالتفت رجل من الركب إلى رئيسهم وقال، أأقتله؟ فقال له الرئيس: إن البندقية إذا ثارت عليه جذبت إلينا قومه لاسترداد إبلهم، بل نعطيه بعيراً، فردوا إليه بعيراً، فلزمه، وأناخه، واندفع الغزاة تحت سواد الليل، ثم جمع الحبال التي معه، فعقل أَرْبَعَهُ: أي أربع قوائمه، وأخذ ظبيه وأخفى الجمل عن إخوته خشيةَ أن يطلبوه منه، واشتغل بالظبى وطبخه، وأكله، فلما مضى من الليل ثلثه جاءهم رجل على جمل من مَرْعى الإبل المنهوبة فقال لهم: هل بلغكم الصَّريخ؟ لم لم تفزعوا؟ قال له حويرش: ما الخبر؟ قال: إبلك أخذت، فقال: إني قد اعترضت إبلاً يَحْدُوها ركب، ولكنهم يقولون: نحن دعاجين، وقد أعطوني منها جملاً

فعقلته هناك، أظن أنه من إبلى، فانطلقوا إلى الجمل، فلما وصلوه وجدوه من إبل حويرش المأخوذة بعد غروب الشمس، فقال الأمير للمتكلم: هذا الحديث صحيح؟ قال: إي والله صحيح أيها الأمير.

أما البرة فتبدو للناظر إليها من بعيد جبلاً واحداً، فإذا وصلها ألفاها جبلين أحدهما أكبر من الآخر، وفي شعراء العرب من يذكرها مفردة، ومنهم من يذكرها مثناة، وهناك موضع آخر في طريق الذاهب من مراة إلى الرياض يقال له «البرة» ومنهم من يسميه «البرتين» كيحيى بن طالب حين قال:

خليليّ عوجا بارك الله فيكما ... على البرة العليا صدور الركائب

ولكن التمييز بينهما سهل؛ فالبرة الواقعة قرب سجا يقال لها «برة المطلى» والأخرى يقال لها «برة اليمامة» فإن كان الشاعر الذي ذكرها تميمياً أو حنفياً فهي البرة الواقعة في اليمامة، وإذا كان الشاعر عامرياً فهي برة المطلى، والبرة الواقعة جنوباً من ماء سجا بمسافة يوم يقع في شرقيها على مسافة يوم تقريباً جبالٌ سود منعقد بعضها ببعض، يقال لها رغبة والبرة الواقعة في اليمامة يقع في شرقيها الشّمالي بلد يقال لها رغبة، تبعد عنها بمسافة يوم تقريباً، وهذا من غرائب المصادفات.

* * *

٤٢ ــ قال ذو الرمّة(١):

سَرَتْ مِنْ مِنىً جُنحَ الظَـلام فأصْبَـحَتْ
بِبُسْيَـانَ أيدِيهَـا مَعَ الْفَجْـرِ تَلْمَـعُ

---

(١) معجم البلدان ١٨٣/٢.

بسيان: حزم أسود في ركبة يمر به الصَّادر من ماء المحدثة في وادي العقيق إلى ماء مُرّان، تراه من بعيد كأنه جبل، وإذا وصلته وجدته حزماً أسود صغيراً، وسبب ظهور ارتفاعه أنه في أرض مستوية وليس حوله جبال، وكانت به وقعة مشهورة من وقائع العرب، وهو الذي يقول فيه المساور بن هند:

ونحن قتلنا ابنى طهية بالعَصَا ونحن قتلنا يوم بسيانَ مسهرا

ومن التصَادف العجيب أنه عند مقتل مسهر الذي ذكره المساور كانت معركة بين العرب في العهد الحديث؛ فقد بعث الشريف حسين بن على آخر ولاة مكة سَرِية يرأسها «راقى الفرد» من المقطة ومحمد العبّود من القثمة، وكانت هذه السرية منتخبة من أفضل رجال الحسين في الشجاعة والرماية، وكان جلالة الملك عبد العزيز وفقه الله يبعث السرايا لمصادمة سرايا الحسين، فقد خرج خالد بن منصور بن لؤي أمير الخرمة من بلده لهذا الغرض، فلما ورد ماء المحدثة عرف أن سرية الشريف المذكورة قد وردت هذا الماء؛ لأنه وجد آثار استقائهم وفضلة المياه التي حملوها ظاهرة على وجه الأرض لم تنضب، ولما كان ذلك الأثر جديداً فقد عزموا على أن يسيروا في أثرهم، وبعد مضي ساعة ونصف ساعة من مسيرهم من ماء المحدثة وصلوهم قريب بسيان في موضع يقال له «الحرج» فاقتتلوا قتالاً شديداً، وقتلت سرية الشريف عن آخرها، ولم ينج منهم إلا واحد؛ فإنه لما رأى الأمر الذي ليس معه حيلة رمى بنفسه بين القتلى، ولما غاب عنه أعداؤه انسلَّ من بين القتلى على قدميه عَدْواً حتى وصل مناهِلَ وادي العقيق، ثم نجا بنفسه إلى مكة، وهو الذي أخبر بقتلهم، وهم في انتظار الغنائم، وقد قُتل راقى الفرد، وقُتل محمد العبّودى، وهذان الرجُلَان في عشائرهم يعدل الواحد منهما مائتي رجل، ولكنهما غودرا في ذلك الموضع جزر السباع كما ترك مسهر الذي يقول فيه المساور بن هند :

ونحن قتلنا ابنى طهية بالعصا ونحن قتلنا يوم بسيان مسهرا

خاتمــة

لقد انتهينا في هذا الكتاب الذي نزعناه من كتاب (صحيح الأخبار عما في بلاد العرب من الآثار) للشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد، انتهينا في عملنا هذا إلى منتصف صفحة ١٣٧ من الجزء الثاني لأنه الموضع الذي ينتهي فيه الحديث عن الأماكـن والبقاع في الشعر قصداً، وأقول قصداً لأنه قد يرد فيما بقى من الكتاب وهو بقية الجزء الثاني والأجزاء الثلاثة الأخيرة، قد يرد فيها ذكر لأماكن في أشعار أتى بها للاستشهاد، ولم تورد مقصودة لذاتها، أو لما فيها من أماكن وبقاع.

ولا يعني عملنا هذا أن ما انتزعناه من الكتاب هو صفوته، ذلك أن ما تبقى منه يشتمل على أعمال جليلة صنعها ابن بليهد بعضها يتصل بالأدب كحديثه عن الشعر العامي وصلته بالشعر العربي وهو فيما بقى من الجزء الثاني، وكبعض مذكراته التي ختم بها الجزء الخامس.

ومنها ما هو حديث عن الأماكن والبقاع كالحديث عما هو على طريق المسافر من جدة إلى الكويت، وكحديثه عن سوق عكاظ وهما فيما بقى من الجزء الثاني.

وكاستدراكاته على العالمين الجليلين (ياقوت) و (البكري) في معجميهما (معجم البلدان) و (معجم ما استعجم).

وأملي أن أكون قد أسهمت مع ابن بليهد بجهد خدمت به عمله الجليل الذي قدمه خدمة لفكر أمتنا، وهو عمل لم يُسبق إليه، ولم ينافس عليه، قدره المستشرقون قبل العرب، وأشادوا به واعترفوا بفضله، وقال بعضهم: (سيأتي يوم يكون هذا العمل أجدر عمل أدبي بالتكريم)[1].

---

(١) العبارة مروية بالمعنى عن الشيخ عبدالله بن خميس، الذي قال أنه قرأها في صحيفة نسي اسمها، ولم اظفر بها.

وما أراني في حاجة إلى ذكر ما بذلته في هذا الكتاب من جهد ووقت مُذ شرعت فيه في أخريات سنة ١٤٠٥هـ، إلى أن فرغت منه في يوم كتابة هذه الخاتمة في الساعة التاسعة والربع من يوم الخميس الثالث عشر من صفر الخير سنة ١٤٠٧هـ، السادس عشر من أكتوبر سنة ١٩٨٦م.

غير أن مُتخذ الكتاب رفيقاً وسميراً يجد في التعب معه لذة صحبة الرفيق الشفيق، وأين ذلك مني وقد مضى من أَلِفت صحبته إلى حيث لا أوبة للذاهبين(١).

وأملي بعد هذا الجهد الجهيد أن يجد أدباء العربية في هذا السفر ما ييسر لهم طريق البحث، ويُدني إليهم ما ندّ من معرفة الأماكن والبقاع الواردة في شعر العرب مما نظم في الجاهلية والصدر الأول من تاريخ الإسلام، ثم أنه ما من عمل إلا وفيه منفذ لعين الناقد (ومن تطلب عيبا وجده)، ومن أسدى النصيحة ودعا بالمثوبة كان له من الخير نصيب.

وآخر دعوانا ﴿أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(٢) وصلى الله وسلم على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وأصحابه والتابعين له بإحسان إلى يوم الدين وجعلنا منهم، آمين.

---

(١) في هذا إشارة إلى الصديق والصدوق الشيخ عبدالله بن عبد الكريم المفلح رحمه الله واسكنه فسيح جناته.

(٢) الآية ١٠ سورة يونس.

الفهارس الفنية

أولاً: فهرس الإعــلام.

ثانياً: فهرس الأماكن والمواضع.

ثالثاً: فهرس القبائل والجماعات والأمم.

رابعاً: فهرس الأشعــار.

خامساً: فهرس الموضوعــات

أولاً: فهرس الإعــلام

(حرف الألف)

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرف الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الذال)

(حرف الراء)

(حرف الزاي)

(حرف السين)

(حرف الشين)

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف الظاء)

(حرف العين)

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

(حرف الياء)

ثانياً: فهرس الأماكن والمواضع

(حرف الألف)

(حرف الباء)

(حرف التاء)

(حرف الثاء)

(حرف الجيم)

(حرم الحاء)

(حرف الخاء)

(حرف الدال)

(حرف الذال)

(حرف الراء)

(حرف الزاي)

(حرف السين)

(حرف الشين)

شرب: ٩١، ٩٢.

(حرف الصاد)

(حرف الضاد)

(حرف الطاء)

(حرف الظاء)

(حرف العين)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

(حرف الواو)

(حرف الياء)

ثالثاً: فهرس القبائل والجماعات والأمم

(حرف الألف)

(حرف الغين)

(حرف الفاء)

(حرف القاف)

(حرف الكاف)

(حرف اللام)

(حرف الميم)

(حرف النون)

(حرف الهاء)

حرف الواو

حرف الياء

رابعاً: فهرس الأشعـــار

أولاً ــ الأشعار الفصيحة مرتبة ترتيباً ألف بائياً:

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة

قافية الهمزة

الهمزة المضمومة

الأوداءُ	البسيط	أمرؤ القيس	٧١
خلاءُ	الوافر	حسان بن ثابت	٥٠٦
فالحساء	الوافر	زهير	٦٢
والدعاء	الوافر	الحطيئة	١٦١
هواء	الوافر	زهير	٢٧٣
والإضاء	الوافر	زهير	٢٧٣
نجاء	الوافر	زهير	٢٧٤
دعاء	الوافر	زهير	٢٧٤، ٤١٢
الدلاء	الوافر	زهير	٢٧٤
رداء	الوافر	زهير	٢٧٤
وماء	الوافر	حسان بن ثابت	٥٠٦
الصلاء	الوافر	الحارث بن حلزة	٣٦٦
فالأبلاء	الوافر	مخلد القثامي	٤٢٤

الهمزة المكسورة

الحساء	الوافر	عبدالله بن رواحه	٢٦٨
ثلمائها	الكامل	يحي بن أبي حفصة	٢٢٤

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
سرحوب	البسيط	امرؤ القيس	١٠٥
منصوب	البسيط	امرؤ القيس	١٠٥
فالذنوب	مخلع البسيط	عبيد بن الأبرص	٥٣٥
أصابوا	الوافر	النابغة	٤٥٠
السباب	الوافر	عامر بن الطفيل	٤٥٢
الغريب	الوافر	شاعر المهدى	٤٩٧
لوبها	الكامل	جحدر بن معادية	٤٧٧
وشعوبها	الهزج	بشر بن أبي خازم	٤٧٢
ثيابها	الرجز	شاعر	٥٧٣

الباء المكسورة:

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
المعذّب	الطويل	امرؤ القيس	٧٣
شعبعب	الطويل	امرؤ القيس	٧٣
المحصب	الطويل	امرؤ القيس	٧٤
بمغرب	الطويل	امرؤ القيس	٨٣
مرطب	الطويل	امرؤ القيس	٨٨
فغرب	الطويل	علقمة بن عبدة	٨٨
حردب	الطويل	مالك بن الريب	٨٩
شريب	الطويل	علقمة بن عبدة	٩٠
حلب	الطويل	علقمة بن عبدة	٩٢
مرطب	الطويل	علقمة بن عبدة	٩٢
المحصب	الطويل	أبو صخر الهذلي	١٠٤
وتغلب	الطويل	شاعر	١١٢
الضرب	الطويل	عميرة بن طارق	١١٢
الهضب	الطويل	عميرة بن طارق	٢٣٥
حرب	الطويل	داود بن عوف	٢٤١
الركائب	الطويل	يحيى بن طالب	٩٥، ٥٦٠

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
الشربب	الرجز	أرطأة بن سهيّة	٩٢
الغروب	الخفيف	الأعشى	١٠١
زينب	المتقارب	أعشى بن تغلب	٣٩٨

قافية التاء

التاء الساكنة :

القبيلةْ	الرجز	جرير	١٤٢
فأمة	الرجز	أعرابي	٢٨٣

التاء المفتوحة :

تشتيتا	البسيط	أبو العلاء	٣٠٤

التاء المضمومة :

نأيتها	الطويل	أبو شجرة	٦٣
شتاتها	الطويل	المعطل الهذلي	٢٤٦
ما أتيت	الوافر	عمرو بن قياس	٢٢٩
دهيت	الوافر	عمرو بن قياس	٢٢٩
والكميت	الوافر	النابغة	٤٥٦
والخبيت	الوافر	النابغة	٤٥٦

التاء المكسورة :

فقلت	الطويل	الأعشىٰ	٣٤
شيرات	الطويل	أم هيثم	٨٠
العيرات	الطويل	امرؤ القيس	١٠٦
فعلّت	الطويل	القحيف العقيلي	١١٨
استهلت	الطويل	أبو عمير الجرمي	٢٠٨

قافية الحاء

الحاء الساكنة :

الحاء المفتوحة :

الحاء المضمومة :

الدال المكسورة :

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة
بالمرصد	الكامل	النابغة	٤٥٩
واد	الكامل	عوف بن عطيه	٥٧٧
مصعد	الكامل	شاعر	٣٣٣
الحديد	الرجز	عبد الرحمن التجيبي	٤٣٥

قافية الذال

قافية الراء

الراء الساكنة :

مضر	الطويل	لبيد	١١٢
مستمر	الطويل	امرؤ القيس	١٣٧
هر	الطويل	امرؤ القيس	١٤٢
غير	الرجز	شاعر	٤٢٨
وتدر	الرمل	امرؤ القيس	١٤٦
فيسر	الرمل	امرؤ القيس	١٤٦
يسر	الرمل	طرفة	١٤٩
الشجر	المتقارب	ضباب بن وقدان	١٨٣

الراء المفتوحة :

مقيرا	الطويل	قصيدة امرىء القيس كلها بدءاً من ص ١١٩	١١٩
مجاورا	الطويل	ضرار بن الأزور	١٤٥
أخضرا	الطويل	الأعرابي	٣٧٥
المعورا	الطويل	ابن مقبل	٣٨٦
وظاهرا	الطويل	النابغة	٤٦٧
مجاورا	الطويل	النابغة	٤٦٨
تكوثرا	الطويل	القعقاع بن عمر	٤٧٤

الراء المكسورة :

قافية الزاي

الزي المضمومة :

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة

قافية الصاد

الصاد المضمومة :

وقلوص	الطويل	امرؤ القيس	١٠٢
وبيض	الطويل	امرؤ القيس	١٦٠

قافية الضاد

الضاد المضمومة :

غموض	الطويل	عبيد بن الأبرص	٢٥٢

الضاد المكسورة

بيض	الطويل	امرؤ القيس	١٦٣
فالعريض	الطويل	امرؤ القيس	١٦٣
للأريض	الطويل	امرؤ القيس	١٦٣

قافية الطاء

الطاء المكسورة :

أراط	الرجز	الهرار بن حكيم	٣٥٨
أراط	الرجز	الحطيئة	٣٦٠
الأمراط	الرجز	راجز من بني نمير	٣٦٨

قافية الظاء

قافية العين

العين المفتوحة :

العين المضمومة :

القافية	البحر	الشاعر	الصفحة

قافية اللام

اللام المضمومة :

قافية النون

النون الساكنة :

بالنون المفتوحة :

الألف اللينة

ثانياً ــ أشطر الأبيات مرتبة ترتيباً ألف بائياً:

حرف الهمزة

حرف الباء

حرف النون

حرف الهاء

حرف الواو

حرف الياء

خامساً: فهرس الموضوعـات

محتويات الجزء الأول

★ ★ ★

ذكر الأماكن التي وردت في المعلقات

محتويات الجزء الثاني

يبدأ الجزء الثاني بالمعلقة الخامسة من المعلقات

ما نشر من مؤلفات
الأستاذ الدكتور محمد بن سعد بن محمد آل حسين

١ ـ الأدب الحديث في نجد.
٢ ـ الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد وآثاره الأدبية جـ١، ٢.
٣ ـ المعارضات في الشعر العربي.
٤ ـ الشعر السعودي بين التجديد والتقليد.
٥ ـ تحقيق ماتقارب سماعه وتباينت أمكنته وبقاعه للشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد.
٦ ـ كتب وآراء الكتاب الأول.
٧ ـ كتب وآراء الكتاب الثاني.
٨ ـ الأدب الحديث تاريخ ودراسات.
٩ ـ محمد سعيد عبدالمقصود خوجه حياته وآثاره.
١٠ ـ من شعراء الإسلام.
١١ ـ حافظ إبراهيم ونظرات في شعره.
١٢ ـ الإلتزام الإسلامي في الأدب.
١٣ ـ تاريخ الأدب الحديث.
١٤ ـ ابتسامات الأيام ديوان الشيخ محمد بن عبدالله بن بليهد مراجعة وتصحيح وتعليق وتوثيق وتكملة.
١٥ ـ بقايا الابتسامات من الشعر العامي لمحمد بن عبدالله بن بليهد.
١٦ ـ كلثوم بن عمرو العتَّابي.
١٧ ـ المدائح النبوية بين المعتدلين والغلاة.
١٨ ـ الجغرافية الأدبية.
١٩ ـ الشاعر حمد الحجي.

مطابع الفرزدق التجارية - الرياض
المعذر ٤٨٢٤٩٨٣/٤٨٢٤٨٦٥